احمد الصباحي عوض الله



تقديم :

فضيلة الإمام الاكبر
الدكتور محمد الفحام

فضيلة الأستاذ
سيد سابق

دار إقرأ

حياة
و
أخلاق الأنبياء

الطبعة الرابعة

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار اقــرا

بيروت - الرملة البيضاء - سنتر ملكارت التجاري - ص. ب. ١٣٥٨١٨٠ - هاتف : ٨٠٦٢٥٢

تقديم: فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الدكتور محمد محمد الفحام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تخلق بخلقه واتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد اصطفى الله سبحانه أنبياءه على سائر خلقه، وكملهم بأكرم الشمائل، وجلهم بأكمل الفضائل، فكانوا آية لمن توسم، وقدوة لمن اعتصم، وحديثاً لمن روى، وسعدت البشرية على امتداد تاريخها الطويل بما حفلت به حياتهم من مُثُلٍ عُليا، اسست دعائم الأخلاق وأعلت صرح الفضيلة.

وكل ما كتب ويكتب عن حياة أنبياء الله وأخلاقهم ما هو إلا غيض من فيض، وقطرة من بحر، وإنه ليسرني أن أقدم اليوم كتاب: (أخلاق الأنبياء) الذي عرض فيه مؤلفه الأستاذ أحمد الصباحي عوض الله لحياة كثير من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فتجلى قبساً من أنوارهم، وصورة حية لشمائلهم وأخلاقهم التي تناولها المؤلف في صدق وإبداع وحسن تحليل مع الاستشهاد بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. ولقد أعانه على ذلك سعة اطلاع وطبع صافٍ وروح مؤمنة شفافة.

ولا أريد أن أسبق القارىء الكريم ببيان بعض ما في الكتاب حتى يدخل روضته الفواحة، ويتفحصها زهرة زهرة، ويقف بنفسه على ما فيه من بيان صادق متصل بجلال خالقه، ومصطفى أنبيائه.

والله المسؤول أن ينفع به وأن يجزل لمؤلفه أجر العاملين، وثواب المحسنين والله ولي التوفيق.

٢٧ من صفر ١٣٩٠ هـ	شيخ الأزهر
٣ من مايو (أيار) ١٩٧٠ م	د. محمد محمد الفحام

لماذا صدر هذا الكتاب؟

حفزني إلى إصدار هذا الكتاب الطيب، إلهام يقظة، هز وجداني هزاً عنيفاً، حينما قرأت كتاباًمطبوعاً بالعربية يتداوله القراء في مكتباتنا الحكومية، وفيه أن الأديان معادية للأخلاق، وأن الأنبياء لا خلاق لهم، ذلك أن الأديان تدعو إلى الزهد والتبتل والرهبانية، وأن الاعتزال والرهبانية معناهما، الانقطاع عن الناس، وحيث لا يكون ثمة أناس لا تكون ثمة معايير أخلاقية، لأن الأخلاق: قواعد تقويمية للمعاملات بين الناس، والصوفي الذي يرتفع عن الجماعة ويقطع صلته بالناس، لم تعد له صلة إلا بالله، ويسقط عنه التكليف الذي يتعلق بالصلة بينه وبين غيره من الناس، وبانقطاع هذه الصلة الاجتماعية ينقطع كل ما يقوم عليها من أخلاق.

كما أنّ الأديان تدعو إلى التواضع والتسامح وإنكار الذات، وتسميها أخلاقاً وأخلاقها هذه تدعو إلى المذلة والاستعباد والاستغلال. فلا يتواضع إلا الوضيع، ولا يتسامح إلا الضعيف، ولا ينكـر ذاتـه إلا الحقير المستعبـد، أي أنها أخلاق العبيد، وأخلاق هذا شأنها بين الناس، لا بد أن تهدم الفرد والمجتمع، أما الترفع والكبرياء، وتحقيق الذات ـ وهي أخلاق السادة والأقوياء ـ فهي أخلاق صالحة لبناء الفرد والمجتمع.

كما أن النبي إبراهيم حينما أراد أن يذبح ابنه في أحضان الجبل بحجة أن الله مره بذلك ـ وقد تله للجبين ـ كان سفاكاً مرتكباً لأكبر جريمة خلقية، ولو أن

الله قد أمره بها ، لكان الله يأمر بالجريمة ، ومعنى أن إبراهيم نبي ذو دين ، وأن دينه قد أمره بهذا : أن ذلك الدين يعمل على هدم الأخلاق ، إذ الأخلاق تنهى عن قتل النفس ولو كان ذلك قرباناً يقدم لله ـ وما يقال عن إبراهيم يمكن أن يقال عن نوح النبي الذي تسبب في غرق الناس بالطوفان ، لأنهم رفضوا دعوته ، وكذا يقال عن هود ، وصالح : النبيين اللذين قتلا قومهما : عاداً وثمود لمجرد عزوفهم عما كانا يدعوان إليه ، وكذا يقال عن موسى الذي قتل المصري ، تعصباً لفرد من شيعته وقتل آلافاً كثيرة من بني إسرائيل في سيناء لعبادتهم غير إلٰهة . ويقال مثل هذا عن داود وسليمان اللذين تزوجا المئات من النساء لإشباع فرجيهما على حساب غيرهما ، كما يقال عن عيسى بن مريم الذي ولد من غير أب ، ثم دعا قومه إلى المذلة والهوان بقوله : إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر ، وكذا يقال عن النبي محمد ﷺ الذي حارب عشيرته وقومه ، وأقام دينه بالسيف وسفك الدماء !!

وهذا التعليل يؤكد مرة أخرى فكرة أن الدين مضاد للأخلاق ، وبالجملة فالأخلاق تنتهي حيث يبدأ الدين !! .

وإذا نظرنا إلى هذا الكلام لوجدناه سفسطة وجودية قائمة على أساس خاطىء ، وهو فكرة الذات المنصرفة المنعزلة ، التي يكون التقويم فيها ذاتياً ، بمعنى أن الذات ـ وهي عالم قائم بذاته ـ تستمد قوامها وأخلاقها من نفسها فقط ، ولا تخضع لأي تقويم من خارجها ، وتقويم الذات لنفسها ـ على حد قولهم ـ كلام سفسطي متناقض لا معنى له ولا وجود ، بل هو أمر مستحيل عقلاً ، فالنفس لا تستطيع أن تقوّم نفسها بنفسها ، وإنما تحتاج إلى دعم من الخارج ، شأنها في ذلك شأن كل كائن في الحياة ، فلو انعزل إنسان عن الناس ، لما استطاع أن يعيش ، ولما استطاع أن يقوم ذاته ، لانعدام المدد الخارجي لذاته .

وعلى هذا تكون فكرتهم غير صحيحة ، وغير أخلاقية ، وتكون دعوتهم هادمة للأخلاق ـ ذلك مبلغهم من العلم إن ربك أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى .

أما التقويم الموضوعي للذّات الذي يقوم على أساس أن الذات وإن كانت عالماً قائماً بذاته إلا أنها لا تستطيع أن تعيش وحدها بعيدة عن الناس، بل لا بد أن تعيش بينهم، ومعهم فتستمد منهم، وترشد بهم. فهو ما تقول به الأديان، ولذلك جاءت الكتب السماوية والأنبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً ـ بالتقويم الخارجي للناس بالهداية والإرشاد والتعليم.

فالأنبياء والرسل حينما أرسلوا إلى أممهم ومجتمعاتهم، كانوا مقومين برسالات وشرائع هادية، مصلحة، ذات أخلاق بناءة للناس، في دينهم ودنياهم، وقد أفرغوها في ذوات أممهم لتقويم هذه الذوات ـ أي كانوا مستقبلين ومرسلين ـ شأنهم في هذا شأن الحياة: استقبال وإرسال في كل شيء، لتظل الحياة عامرة وما كان لهم أن يخطئوا أو يضلوا لأن الله سبحانه وتعالى قد أعدهم وأدبهم بأدبه وجلهم بأخلاقه، وعصمهم من الخطأ والضلال ليكونوا رسله. والرسول دائماً على عهد من أرسله.

فإذا نظرنا مرة ثانية إلى دعوى الوجوديين في حق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لوجدناها غير جديدة علينا وعلى الناس. إذ هي ترديد لدعوى أجدادهم الكفار الذين سبقوهم من أقوام الأنبياء: نوح وهود وصالح وإبراهيم وسوسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام.

أما الصوفي الذي يخلو إلى ربه متعبداً بعض الوقت، فإنه يعود بالطبيعة إلى مجتمعه الذي يعيش فيه ليكمل حلقة الصلة ـ صلة المخلوق بالخالق، وذلك ليصب في ذوات الناس من الأخلاق الكريمة الفاضلة ما شاء الله أن يكون.

وعلى هذا فخلوته التعبدية ليست انعزالا عن الناس، أو ترفعاً عن الجماعة ولكنها أصل من أصول صلته بالناس. إذ هو لا يستطيع أن يعيش بدونهم، وهي أساس عبادته التي يتقرب بها إلى الله.

أما الأخلاق التي دعا إليها الأنبياء والرسل، صلوات الله وسلامه عليهم

جميعاً، فهي أخلاق الله تعالى التي هدى إليها في شرائعه ورسالاته ودعوته ـ والله يصطفي أنبياءه ورسله، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ـ وأنبياؤه ورسله المصطفون الأخيار، هم مظهر لجميع كمالاته تعالى. والكمال صفة الله وأسلوبه في أنبيائه ورسله وأوليائه وخلقه ـ وحاشا لله أن يرسل طغاة أو قساة أو قتلة أو سفاكين أو يدعو إلى جريمة، أو يرضى بفاحشة أو بظلم أو بقهر أو استعباد.

فالله تعالى هو الخير كله، وهو الكمال كله، وهو النور كله، وهو الأخلاق كلها ـ ولكن الكافرين منذ أن بدأت الدنيا وعلى مدى مسيرتها وتاريخها حتى الآن، وإلى أن تقوم الساعة هم أشرارها الذين يمثلون الجانب العفن البغيض في الحياة ـ وهذه سنة الله في خلقه ـ فلو شاء لهدى الناس جميعاً، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولعل حكمة الله في هذا وجود التدافع القائم على السلبية والإيجابية والذي به تعمر الحياة وتنتظم أمورها.

فالتواضع والتسامح وإنكار الذات لله ومع خلق الله ـ أخلاق جامعة للخير والكمال، شاملة لجوانب الحياة الدينية والعلمية والنفسية والإنسانية ـ وعلى أساسها تسير الحياة مسيرتها الطبيعية.

فمن تواضع لله ومع الناس، رفعه الله وأحبه الناس، ومن تسامح لله ومع الناس ـ أكرمه الله وأجله الناس، ومن أنكر ذاته لله واتقى فتنة الناس ـ أنار الله قلبه بنوره وفضله الناس.

وبديهي أن نربأ بأنفسنا عن مناقشة الكفار على اختلاف نحلهم ومسمياتهم ـ فهم قوم لا إيمان لهم ولا عهد، وهم لا يسمعون. ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم وقد قال الله في حقهم ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ وقال أيضاً: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾.

وقد ترددت كثيراً في كتابة هذا الموضوع، ولكني وجدت نفسي أخيراً مسوقاً إلى كتابته وإثباته بدافع من شعوري.

وقد قال الله سبحانه وتعالى في شأن المؤمنين المخلصين وفي شأن الكافرين المنكرين في الآية رقم ١٩ من سورة الحديد: **﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾** .

ويقول: **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾** سورة الحديد، الآية ٢٥ .

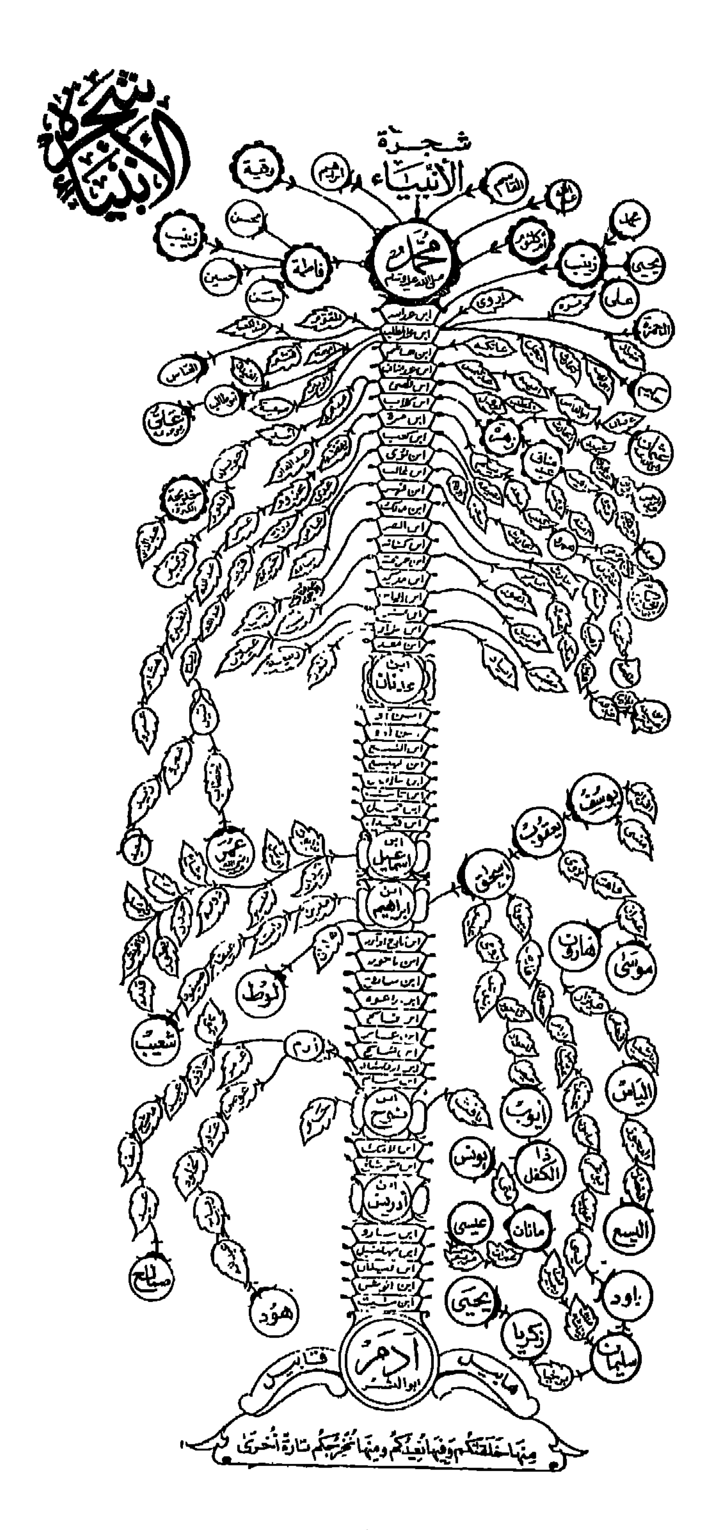
وهكذا نرى الكفار والمنكرين لله ورسالاته ورسله في كل مكان بالدنيا، وقد قسموا أنفسهم إلى معسكرات مختلفة، وباسم الفلسفة والعلم يحاربون الإسلام فيشيعون الفتنة بين المسلمين، ويشككونهم في دينهم، ويتربصون بهم الدوائر متعاونين في ذلك مع الشيطان: بل **﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾** سورة المجادلة، الآية ١٩ . إنهم يحادون الله ودينه وأنبياءه ورسله، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وقد **﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾** .

أما المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ودينه وخلقه **﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾** .

وهذا بحمد الله كتاب أخلاق الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن الكريم عليهم الصلاة والسلام في طبعته الثانية، يتحدث عن الأخلاق في ذروة كمالها عند الأنبياء ـ على قدر ما فتح الله به علي ـ وما كنت أطمع إلا في توفيق الله لي، وحنانه علي ـ وقد تحقق ذلك بفضله تعالى، فلله الحمد من قبل ومن بعد .

المؤلف

أحمد الصباحي عوض الله


شجرة الأنبياء
شجرة الأنبياء
محمد صلى الله عليه وسلم
فاطمة
زينب
رقية
ابن عدنان
ابن إسماعيل
ابن إبراهيم
ابن نوح
ابن إدريس
يوسف
يعقوب
إسحاق
هارون
موسى
لوط
شعيب
إلياس
أيوب
يونس
ذا الكفل
اليسع
عيسى
ماثان
داود
يحيى
زكريا
سليمان
صالح
هود
آدم
أبو البشر
قابيل
هابيل
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى

الشجرة الطيبة

والشجرة الطيبة ـ هي شجرة الأنبياء أصلها: آدم أبو البشر، والنبي الأول وقمتها محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وبين آدم ومحمد عليهما السلام أنبياء ورسل لا يعلم عددهم غير الله سبحانه وتعالى ـ وقد قص الله أخبار بعضهم في القرآن الكريم على نبيه محمد ﷺ، وهم ثمار هذه الشجرة الطيبة.

فقمة الشجرة كما نرى:

سيدنا محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نـزار بن معد بن عدنان بن او بن اليشع بن الهيشع بن سلامان بن تابت بن حمل بن قيدار بن النبي إسماعيل بن النبي إبراهيم عليهما السلام بن تارح أو آزر بن ناحور بن ساروخ ابن رعوه بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن النبي نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشالخ بن النبي إدريس عليه السلام بن ياور بن مهلائيل بن فينان ابن أنوش بن النبي شيت بن النبي آدم أول الأنبياء وأبي البشر عليه السلام.

وبفرع الشجرة الأيمن:

نرى النبي هوداً عليه السلام هو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن

عوص بن أرم بن سام بن النبي نوح عليه السلام، وكـذا نـرى النبي صـالحاً عليـه السلام بن عبيد بن آسف بن شامخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عامـر بن ارم بن سام بن النبي نوح عليه السلام.

ثم نرى النبي لوط بن هاران أخا النبي إبراهيم عليهما السلام، وكذا نرى النبي شعيب بن صيفون بن غيضا بن نايت بن مدين بن النبي إبراهيم عليهما السلام.

وبفرع الشجرة الأيسر:

نجد النبي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وهي ابنة عمران بن مانان بن ملك رجيم بن ملك ايناشاه بن النبي سليمان بن النبي داود الذي يصل نسبه إلى جده النبي إسحاق بن النبي إبراهيم عليهم السلام، ومن النبي سليمان يتفرع حفيده النبي زكريا وابنه النبي يحيى عليهم السلام.

ومن النبي إسحاق بن النبي إبراهيم يتفرع النبي يعقوب ثم ابنه النبي يوسف عليهم السلام، ومن النبي يعقوب أيضاً يتفرع النبيان موسى وهارون ابنا عمران عليهم السلام، ومن النبي هارون يتفرع النبيان إلياس واليسع عليهم السلام أما النبي الخضر عليه السلام الذي لم يوضح فرعه بالشجرة فهو إيليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.

الأنبياء في القرآن الكريم

قال الله تعالى في كتابه العظيم، عن أنبيائه ورسله الكرام، آيات بينات، يشبه بعضها بعضاً، ويكمل بعضها بعضاً، ويفسر بعضها بعضاً، ويخدم بعضها بعضاً

* ففي سورة البقرة: يقول عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (١٣٦).

وفي سورة آل عمران:

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وال عمران على العالمين (٣٣) ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ (٣٤).

ومنها أيضاً: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (٨٤).

وفي سورة النساء:

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا (١٣٦) ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً (١٦٤) رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على

الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (١٦٥) .

وفي سورة الأنعام:

﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم (٨٣) ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين (٨٤) وزكريا ويحيي وعيسى وإلياس كل من الصالحين (٨٥) وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين (٨٦) ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ (٨٧) .

وفي سورة الأنبياء:

﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين (٨٥) وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾ (٨٦) .

وفي سورة الأحزاب:

﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ (٧) .

وفي سورة صۤ:

﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار (٤٥) إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧) واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾ (٤٨) .

وفي سورة الفتح:

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ (٢٩) .

مواليد وأعمار الأنبياء

آدم عليه السلام:	نزل آدم إلى الأرض ليعمرها ، وعاش فيها ألف عام .
إدريس علبه السلام:	أدرك من حياة آدم ٣٠٨ سنوات ، وقد رفعه الله إلى السماء وعمره ٣٦٥ سنه .
نوح علبه السلام:	ولد بعد وفاة آدم بـ ١٧٠ عاماً وعاش ٩٥٠ عاماً .
هود عليه السلام:	ولد بعد الطوفان وأرسل وعمره أربعون عاماً ، ومات وسنه ١٥٠ عاماً .
صالح عليه السلام:	ولد بعد الطوفان وأرسل وعمره أربعون عاماً ومات وسنه ٥٨ عاماً .
إبراهيم عليه السلام:	ولد بعد الطوفان بـ ١٢٦٣ عاماً ومات وعمره ١٧٥ عاماً .
إسماعبل عليه السلام:	عاش ١٣٧ عاماً .
إسحاق عليه السلام:	عاش ١٨٠ عاماً .
يعقوب عليه السلام:	عاش ١٤٧ عاماً .
يوسف عليه السلام:	عاش ١٢٠ عاماً .
أيوب علبه السلام:	عاش ٩٣ عاما .
ذوالكفل عليه السلام:	ولد بمصر في عهد الملك رمسيس الثاني ومات في سيناء أثناء تيه بني إسرائيل .
إلياس عليه السلام:	ولد بعد دخول بني إسرائيل فلسطين وهو الآن حي يطير مع الملائكة .

داود عليه السلام: عاش ١٠٠ عام وكانت مدة حكمه ٤٠ عاماً.

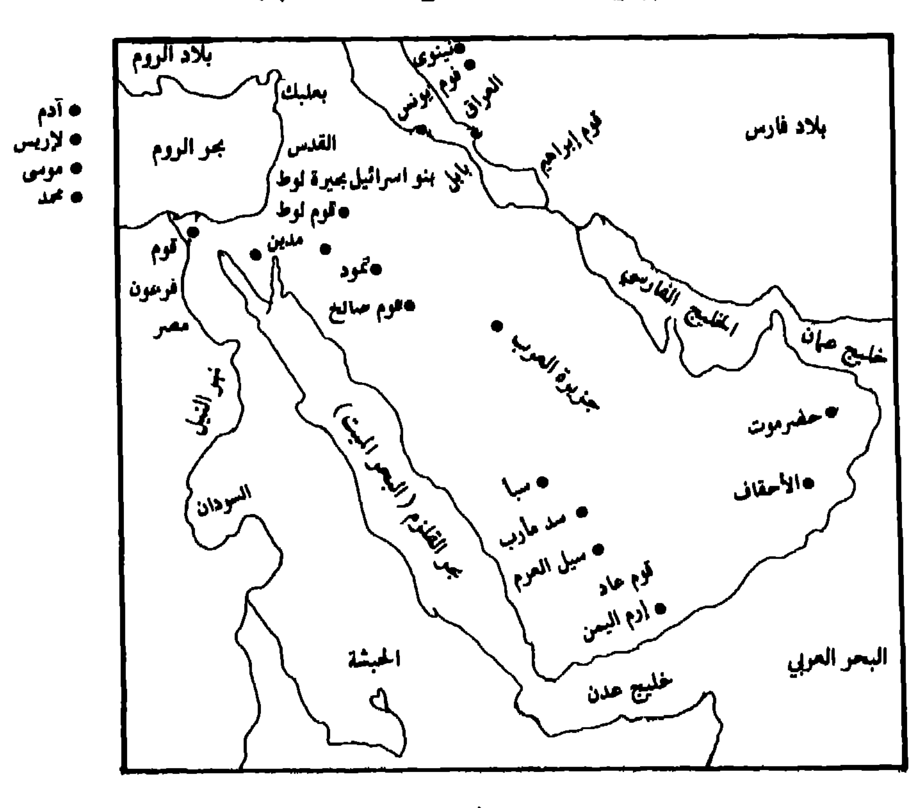
سليمان عليه السلام: عاش ٥٣ عاماً وكانت مدة حكمه ٤٠ عاماً.

زكريا عليه السلام: عاش ١٥٠ عاماً وقتله بنو إسرائيل بعد قتل ابنه يحيى مباشرة.

يحيى عليه السلام: ولد في العام الذي ولد فيه المسيح وقتله ملك بني إسرائيل تنفيذاً لأمر امرأة.

عيسى عليه السلام: ولد في شهر كيهك أيام الملك هيرودوس أي في السنة الميلادية الأولى وقد رفعه الله إليه وهو ابن ٣٣ عاماً.

محمد عليه السلام: صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل الموافق سنة ٥٧١ ميلادية وأرسل وعمره أربعون عاماً ومات عن ٦٣ عاماً مباركاً.



(خارطة مواقع ظهور الأنبياء والرسل)

الله ... المثل الأعلى

الله . . . جل جلاله . . . وتقدست أسماؤه . . .

القوة الروحية الخفية الخارقة للعادة . .

التي تتفرد بالوحدانية والإيجاد والخلق . . .

وتتعزز بالقدرة والإرادة . .

وتتحكم بالقوة والقهر في هذا الكون . .

خالق هذا الكون . . وموجد هذا الوجود . . .

له المثل الأعلى في السموات والأرض . . .

حينما أراد خلق هذه الدنيا . .

قبض قبضة من نوره وقال لها : كوني محمداً . . . فكانت . . ثم خلق من نور محمد ﷺ أرواح الملائكة والنبيين وأرواح الخلق . .

ثم خلق الأرض والسموات . .

﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . . .﴾

خلق الإنسان . . علمه البيان . . .

وَشرفَه بالعقل والإيمان . .

لم يترك خلقه دون هداية . . فهداهم إليه . .

إلى دينه . . إلى علمه . . إلى نوره . . إلى أوليائه وأنبيائه ورسله . . إلى كتبه . . إلى أخلاقه ومثله الأعلى .

ناداهم: **أن تخلقوا بأخلاقي فأنا الله الخالق العظيم والخلق الأعظم لجميع مخلوقاتي.. تخلقوا بأخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور.**

إن لله أخلاقاً هدى إليها - أرشدنا إليها نبيُّه ورسوله الصادق الأمين سيدنا ومولانا محمد صاحب الخلق العظيم صلوات الله وسلامه عليه في حديثه النبوي الشريف المروي عن عبد الله بن راشد عن خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال - قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى مائة وسبعة عشر خلقاً من جاء بخلق منها دخل الجنة بغير حساب». فقلنا بينها لنا يا رسول الله - قال: كظم الغيظ. والعفو عند المقدرة. والصلة عند القطيعة. والحلم عند السفه. والوقار عند الطيش. ووفاء الحق عند الجحود. والإطعام عند الجوع. والعطية عند المنع. والإصلاح عند الفساد. والتجاوز عن المسيء. والعطف على الظالم. وقبول المعذرة. والإنابة للحق. والتجافي عن دار الغرور. وترك التمادي في الباطل.. ألا وليس في أخلاق الله شيء أحب إليه من الجود والكرم.. فإذا أراد الله بعبده خيراً وفقه لأخلاقه فتخلق بها، وإذا أراد بعبده شرّاً خلّى بينه.وبين أخلاق إبليس. وإن من أخلاق إبليس أن يغضب فلا يرضى، وأن يسمع فيحقد، وشراهية النفس وهنتها، وأخذ ما ليس لها ونزقها إلى اللهو والباطل».

فالله هو الكمال كله... والخير كله...

جمع مكارم الأخلاق في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

أدب أنبياءه ورسله بآدابه فأحسن تأديبهم، وخلقهم بأخلاقه فكانوا على خلق عظيم..

ولقد أكد ذلك رسولنا الكريم بقوله: أدبني ربي فأحسن تأديبي. فقال الله سبحانه وتعالى له: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**.

إن جماع مكارم الأخلاق في الكون، هي جماع الخير كله... خير الدنيا والآخرة. فمن جمع مكارم الأخلاق فقد جمع الخير كله. وأخذ بأدب الله وتخلق بأخلاقه واتبع مثله الأعلى في السموات والأرض.

اللهم إنا نسألك نوراً فيّاضاً من أخلاقك العليّة وخيراً مدراراً من أسرار صفاتك الكمالية، وخلقنا يا رب بأخلاقك العظيمة التي أودعت نورها وسرّها في أنبيائك ورسلك وكتبك وأوليائك وأهلك.

فإياك نعبد، ولك نركع ونسجد، ولنعمائك نشكر ونحمد، وباسمك الأعظم بسم الله الرحمن الرحيم وبصفاتك العليا وأخلاقك العظمى نحيا وعليها نموت وبها نبعث إن شاء الله.

اخلاق الأنبياء

كل رسول خلقه رسالته ، وكل نبي خلقه دينه . .
فالقرآن الكريم كان خلق النبي محمد ﷺ ،والإنجيل كـان خلقـاً للمسيـح . والتوراة كانت خلقاً لموسى وهارون عليهم السلام . .
والأنبياء جميعاً من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام كان دينهم لا إلّه إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وكانت أخلاقهم مستمدة من روح الله وصفاته .

محاسن الأخلاق هي أصل الأديان السماوية والرسالات الإلهية . . .

فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: « حسن الخلق » فأتاه عن يمينه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: « حسن الخلق » فأتاه عن شماله فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: « حسن الخلق » .

وقال ﷺ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وقال عليه الصلاة والسلام: « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما » .

وقال عليه السلام: « حسن الخلق خلق الله الأعظم » .

وقيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: « أحسنهم أخلاقاً » .

فخلق كل نبي شريعته ، وخلق كل رسول رسـالتـه ، والشرائـع والرسـالات

السماوية كلها هي أخلاق الله تعالى: فأخلاق الأنبياء من أخلاق الله.. فهم مظهر لجميع الكمالات الإلّهية والكمال صفة الله وأسلوبه في أوليائه وخلقه..

إن الأنبياء منهاج صالح وقدوة حسنة ومدرسة إصلاحية.

فيهم المنهاج الواضح. وهو الطريق إلى الله مصدر وجود هذا العالم وإليه مصيره بالرسالات السماوية مصدر الخير والكمال التي جاءت لتنير الوجود بنور الله، وتغمره بنعمة مكارم الأخلاق وتصلح الدنيا بالدين، والتي جاؤوا بها ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.

وفيهم القدوة الحسنة، التي تحاول تربية الناس على الخير الخالص بما تقول وبما تفعل.

فالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، هم القدوة الطيبة الكريمة، والمثل الأعلى الرفيع الذي هيأه الله تعالى للناس في جميع مجالات الحياة...

فالله سبحانه وتعالى حين اصطفاهم وأعدهم لحمل رسالاته وتبليغها للناس، قد صبغهم بصبغته. ومن أحسن من الله صبغة.. ولعل هذا واضح في قوله تعالى: **﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾** وقوله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** وقوله تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾** وقوله لنبيه موسى عليه السلام: **﴿واصطنعتك لنفسي﴾**.

وفيهم المدرسة الإصلاحية الكاملة (مدرسة الله) ذات المنهج الإلهي والقدوة النبوية التي تحتضن التربية الإلهية الكاملة للخلق وتعمل على إنمائها وتعميمها بين الناس ليعم الخير والسلام من ينابيع الحكمة ومحاسن الأخلاق.

اخلاق القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين. ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم. وما يلقاها إلاَّ الذين صبروا وما يلقاها إلاَّ ذو حظ عظيم﴾ سورة فصلت.

صدق الله العظيم

القرآن الكريم هو نور الله العظيم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى في كتابه المكنون للناس كافة على وليه ونبيه ورسوله العربي القرشي الأمي الصادق الأمين سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، بجزيرة العرب منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ليكون نوراً وهدى وموعظة وشفاء ورحمة للعالمين بلسان عربي مبين، وباسلوب فوق مستوى العقل البشري إعجازاً له، وتعاليم وتشريعات وأحكام وعلوم ينحني أمامها العلماء والمفكرون والمتخصصون. حيث يسلمون جميعا أن ما جاء به القرآن العظيم من العلوم والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق والفضائل والمثل العليا في التشريع والحكم ونظم المجتمع الإنساني ومن علاج ما يطرأ على المجتمعات من أمراض اجتماعية، إنما هو أكبر من أن تكون نتيجة لبحث العقل الإنساني.

ذلك أنه آية من آيات الله العظمى، ومعجزة من معجزاته الخالدة على الزمن، لم

يمسه منذ أربعة عشر قرناً من الزمان وحتى الآن أي تحريف أو تغيير أو تبديل، ولن يحدث ذلك أبداً لأصالته وحصافته ومسايرته للأحداث ولاشتماله على الأحكام والتشريعات والمبادىء الخلقية الكريمة والنظم الاجتماعية الرشيدة التي تصون سلامة الوجود البشري إلى الأبد وصلاحيته لكل زمان ومكان قال الله جل شأنه: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾.

وذلك أيضاً أنه من روح الله قال تعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان**﴾ وما كان من روح الله فهو قوي غالب تسجد له الطاقة البشرية المحدودة..

أنزله الله سبحانه وتعالى خالق الكون والخلق وواهب الحياة على قلب نبيه ورسوله الحبيب سيدنا محمد العربي القرشي صلوات الله وسلامه عليه سنة ٦١١ ميلادية ليكون رحمة للعالمين في مشارق الأرض ومغاربها، بعدما عجزت المجتمعات السابقة للإسلام عن تحقيق الخير والطمأنينة لأفرادها، وبعدما اشتد الأمر على الناس وبلغ الشر مبلغه، أنزل الله القرآن العظيم بدستوره الأخلاقي الذي عجزت عن مطاولته وملاحقته كل دساتير المدنيات والحضارات العلمية الغربية القديمة والحديثة.

وبنوره الإلهي الذي ملأ أركان الوجود رحمة وهداية وعلماً وأخلاقاً وآداباً كريمة فاضلة كانت وما زالت زينة هذه الحياة، فكان أول ما عني به من محاسن الأخلاق، كرم الدعوة إلى الله تعالى فقال جل علاه: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾.

ثم دعى إلى الفضائل ومكارم الأخلاق فأمر بالعدل والإحسان وصلة ذوي القربى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فقال: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾.

ومن الآيات الكريمة الآتية يتبين لنا وضوح أخلاق القرآن الحسنة ودعوته الصريحة القوية إلى التحلي بها والتخلي عما نهى عنه من سيء الأخلاق ومفاسد الأعمال والعقائد.

وفي هذه الآيات العظيمة التي سنقرؤها ونتدبرها بعمق سنجد فيضاً إلهياً كبيراً..

يهدينا إلى معرفة الخير وصالح الأعمال ونوراً ربانياً عظيماً..

ينير لنا طريق حياتنا الغامض..

ومنهلاً عذباً..

نشبع منه نهمنا العلمي والديني والاجتماعي والسياسي في هذه الحياة التي نعيشها في صراع..

بين الشك واليقين

بين الحق والباطل

بين النور والظلام.

قال الله تعالى:

● **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق[1] نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (١٥١) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ (١٥٢) الأنعام.**

● **﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (٢٤) تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم**

---

(١) إملاق: فقر.

يتذكرون (٢٥) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة إجتثت[١] من فوق الأرض ما لها من قرار (٢٦) يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ (٢٧) إبراهيم.

● ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص[٢] فيه الأبصار (٤٢) مهطعين[٣] مقنعي[٤] رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء[٥] (٤٣) وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (٤٤) وسكنتم في مسكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال (٤٥) وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، (٤٦) فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام (٤٧) يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار (٤٨) وترى المجرمين يومئذ مقرنين[٦] في الأصفاد[٧] (٤٩) سرابيلهم من قطران وتغشي وجوههم النار (٥٠) ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب (٥١) هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب (٥٢) سورة إبراهيم.

● ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون (٩٠) وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون (٩١) ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً[٨] تتخذون أيمانكم

---

(١) اجتثت: استؤصلت وأخذت بجثتها كاملة.

(٢) تشخص: لا تقر في أماكنها.

(٣) مهطعين: مسرعين إلى الداعي.

(٤) مقنعي: رافعي.

(٥) هواء: خلاء من الفهم لفرط الدهشة.

(٦) مقرنين: قرن بعضهم ببعض.

(٧) الأصفاد: القيود.

(٨) أنكاثاً: جمع نكث وهو حل طاقات فتلها.

دخلاً[1] بينكم أن تكون[2] أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم[3] الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون (٩٢) ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون (٩٣) ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم (٩٤) ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون (٩٥) ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (٩٦) سورة النحل.

● ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١٢٥) وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (١٢٦) واصبروا ما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون (١٢٧) إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (١٢٨) سورة النحل.

● ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما (٢٣) واخفض لهما جناح الذل[4] من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً (٢٤) ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا[5] صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً (٢٥) وآت ذات القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً (٢٦) إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً (٢٧) وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسورا (٢٨) ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً[6] (٢٩) إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء

---

(١) دخلاً : مفسدة.

(٢) أن تكون الخ : أي بسبب أن كانت أمته أوفر عدداً من أمة أخرى تغدرون في عهدكم.

(٣) يبلوكم : يختبركم.

(٤) جناح الذل : جناحك الذليل.

(٥) ان تكونوا الخ : كلام جديد لا صلة له بما قبله ـ الأوابين الرجاعين إليه.

(٦) محسوراً : نادماً.

ويقدر[1] إله كان بعباده خبيراً بصيراً (٣٠) ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق[2] نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً (٣١) ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا (٣٢) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا[3] فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً (٣٣) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا (٣٤) وأوفوا الكيل إذا أكلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا[4] (٣٥) ولا تقف[5] ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا (٣٦) ولا تمش في الأرض مرحاً[6] إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾ (٣٨) سورة الإسراء.

● ﴿قد أفلح المؤمنون (١) الذين هم في صلاتهم خاشعون (٢) والذين هم عن اللغو[7] معرضون (٣) والذين هم للزكاة فاعلون (٤) والذين هم لفروجهم حافظون (٥) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين (٦) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون[8] (٧) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (٨) والذين هم على صلواتهم يحافظون (٩) أولئك هم الوارثون (١٠) الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ (١١) سورة المؤمنون.

● ﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا[9] وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (٢٧) فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا

---

(١) وبقدر: يضيق.

(٢) إملاق: فقر.

(٣) سلطاناً: تسلطاً.

(٤) تأويلاً: عاقبة.

(٥) تقف: تتبع.

(٦) مرحاً: اختيالاً، أنك لن تخرق الأرض الخ. تهكم به واشعاره بأنه ضعيف.

(٧) اللغو: مالا يفيد من قول وعمل.

(٨) العادون: الكاملون في العدوان.

(٩) تستأنسوا: تستأذنوا.

تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم إرجعوا فارجعوا هو أزكى[1] لكم والله بما تعملون عليم (٢٨) ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٢٩) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠) وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن[2] ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة[3] من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنين لعلكم تفلحون﴾ (٣١) سورة النور.

● ﴿يأيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت إيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات[4] لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (٥٨) وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم (٥٩) والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾ (٦٠) سورة النور.

● ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة[5] أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح[6] إن الله لا يحب الفرحين

---

(١) أزكى: أطهر.

(٢) جيوبهن: فتحة الثوب التي تدخل فيها الرأس.

(٣) الأربة: الحاجة إلى النساء. لم يظهروا: لم يستطيعوها لضعف أو صغر.

(٤) ثلاث عورات: من شأن الإنسان أن لا يحتشم فيها وذلك أعظم تأديب من الله لنا حتى مع الأطفال والماليك.

(٥) لتنوءبالعصبة الخ: أي تثقل على الجماعة الأقوياء فكيف بغيرهم.

(٦) تفرح: تبطر وتزهو.

(٧٦) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين (٧٧) قال إنما أوتيته على علم عندي[١] أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسألُ[٢] عن ذنوبهم المجرمون (٧٨) فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم (٧٩) وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون (٨٠) فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (٨١) وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن[٣] الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون (٨٢) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ (٨٣) سورة القصص .

● ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم[٤] عظيم (١٣) ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن[٥] وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير (١٤) وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥) يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير (١٦) يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور[٦] (١٧) ولا تصعر[٧] خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا[٨] إن الله لا

---

(١) على علم عندي : أي علم بطريق جمع المال ينكر فضل الله عليه فيه .

(٢) ولا يسأل الخ : بل يأتيهم العذاب بغتة .

(٣) وي كلمة تعجب ، كأن : حرف تشبيه .

(٤) ظلم : مجاوزة للحد ، وهو تسوية بين خالق ومخلوق .

(٥) وهنا على وهن : تضعف ضعفاً فوق ضعف ـ فصاله ـ فطامه .

(٦) عزم الأمور : معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها .

(٧) تصعر : تمل تكبرا .

(٨) مرحاً : اختيالاً .

يحب كل مختال فخور (١٨) واقصد[١] في مشيك واغضض[٢] من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (١٩) سورة لقمان.

● ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين (٣٣) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن[٣] فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) وما يلقاها[٤] إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (٣٥) وإما ينزغنك[٥] من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ (٣٦) سورة فصلت.

● ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا[٦] أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا[٧] ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (١٣) سورة الحجرات.

---

(١) أقصد: توسط بين الدبيب والإسراع.
(٢) اغضض: انقص.
(٣) بالتي هي أحسن، أي بالطريق التي هي أحسن في الدفع.
(٤) يلقاها: يعمل بتلك الخصلة.
(٥) ينزغنك: من نزغه نخسه، شبه الوسوسة بالنخس.
(٦) تلمزوا: تعيبوا، تنابزوا بالألقاب: ينادي بعضكم بعضاً بما يكره بعد الإيمان أي مع الإيمان.
(٧) تجسسوا: تبحثوا عن عوراتكم. أيحب أحدكم الخ: تمثيل لما يناله المغتاب من أخيه على أفحش وجه وأقبحه.

من اخلاق الصحف والكتب السماوية السابقة

الوصايا العشر:

اعطى الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام ولقومه هذه الوصايا العشر . . .

بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب من عند الله الملك العزيز القهار ورسوله موسى بن عمران . . .

- ان سبحني وقدسني . لا إله إلا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيئاً .
- واشكر لي ولوالديك إلي المصير . . . أحيك حياة طيبة .
- ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك فأضيق عليك السماء بأقطارها والارض برحبها .
- ولا تحلف باسمي كاذبا فإني لا أطهر ولا أزكي من لا يعظم اسمي .
- ولا تشهد بما لا يعي سمعك ولا تنظر عينيك ولا يقف عليه قلبك . فإني اوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة واسألهم عنها .
- ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ورزقي . فإن الحاسد عدو نعمتي ساخط لقسمتي .
- ولا تزن ولا تسرق فأحجب عنك وجهي وأغلق دون دعوتك أبواب السموات .
- ولا تذبح لغيري فانه لا يصعد إليّ قربان اهل الارض إلاّ ما ذكر عليه اسمي .

- ولا تفجرن بخليلة جارك فإنه أكبر مقتاً عندي .
- وأحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك .

الآيات التسع :

قال الله تعالى في قرآنه العظيم : **﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾** .

وفي الحديث النبوي الشريف عن صفوان ، أن يهودياً سأل النبي محمد ﷺ عن الآيات التسع التي ذكرها الله تعالى في قوله : **﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾** فقال :

- لا تشركوا بالله شيئاً . .
- ولا تسرقوا . .
- ولا تزنوا . . .
- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق . .
- ولا تسحروا . . .
- ولا تأكلوا الربا .
- ولا تمشوا ببريء لدى السلطان ليقتله . . .
- ولا تقذفوا محصّنة . . .
- ولا تفروا من الزحف . .

وعليكم خاصة اليهود « ألاّ تعدوا في السبت » فقبل اليهودي يده ورجله .

التوراة :

قال وهب بن منبه ، وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفاً كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعو. فيقرؤونها ويتدارسونها ويدعون إليها وهي :

١ ـ لا كنز أنفع من العلم . .

٢ ـ ولا مال أربح من الحلم . .

٣ ـ ولا حسب أوضع من الغضب .
٤ ـ ولا قرين أزين من العمل .
٥ ـ ولا رفيق أشين من الجهل .
٦ ـ ولا شرف أعز من التقوى .
٧ ـ ولا كرم أوفى من ترك الهوى .
٨ ـ ولا عمل أفضل من الفكر .
٩ ـ ولا حسنة أعلى من الصبر .
١٠ ـ ولا سيئة أخزى من الكبر .
١١ ـ ولا دواء ألين من الرفق .
١٢ ـ ولا داء أوجع من الخرق .
١٣ ـ ولا رسول أعدل من الحق .
١٤ ـ ولا دليل أنصح من الصدق .
١٥ ـ ولا فقر أذل من الطمع .
١٦ ـ ولا غنى أشقى من الجمع .
١٧ ـ ولا حياة أطيب من الصحة .
١٨ ـ ولا معيشة أهنأ من العفة .
١٩ ـ ولا عبادة أحسن من الخشوع .
٢٠ ـ ولا زهد خير من القنوع .
٢١ ـ ولا حارس أحفظ من الصمت .
٢٢ ـ ولا غائب أقرب من الموت .

وقد جمع الله سبحانه وتعالى كل ما في الآيات التسع والوصايا العشر، وكل ما في الصحف والألواح والكتب السماوية في القرآن الكريم، وأعطاها لنبيه وحبيبه سيدنا محمد ﷺ الذي قال تعظيماً لشأنه: « وإنك لعلى خلق عظيم » ولأمته المحمدية الإسلامية التي قال تكريماً لها: « كنتم خير أمة أخرجت للناس ».

اخلاق الأمم

قال الله تعالى مخاطبا أمة الإسلام:
﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ صدق الله العظيم.

انما الامم الاخلاق ما بقيت … فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

(شوقي)

خلق الله الناس وجعلهم قبائل وشعوباً وأمماً.. ليتعارفوا ويتحابوا دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ وجعل لتقريبهم وتقييم أعمالهم وإيمانهم واخلاقهم ميزانا واحدا صادقا لا يكذب ولا يختلف في تقديره مهما اختلف الناس في شتى العصور فقال تعالى: (﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ .

ولتكون العدالة الإلٓهية شاملة وواضحة للخلق جميعا فقد أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فقال تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ .

وعلى اساس الحجة والميزان كان التفضيل بين الشعوب والأمم ، كما قال الله تعالى لأمة محمد ﷺ : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ .

وقد أرسل الله إلى كل أمة برسول، لبعالج أمراضهم الاجتماعية والدينبة، ويهديهم إلى الله خالقهم ورازقهم، ويدعوهم إلى عبادته وتوحيده، وقد فضل الله بعض النبين على بعض، وإن كانوا قد أرسلوا برسالة واحدة وكلهم يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان التفضيل بينهم بميزان آخر هو ميزان العزم والصبر كقوله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: **﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾** وقوله تعالى: **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾** .

ولكن أمم البشر منذ أن خلق الله أمة آدم عليه السلام إلى أن بعث الله محمداً ﷺ إلى أمته الإسلامية اختلفت وتفاوتت في القيم والموازين الأخلاقية . . . فمنهم من كان يرى خيره في الجريمة والقتل، ومنهم من كان يراه في السرقة والنهب وقطع الطريق، ومنهم من كان يراه في الجاه والطغيان والبغي، ومنهم من كان يراه في العصيان وعبادة الأصنام وإتيان الفاحشة، ومنهم من كان يراه في قتل الانبياء وعبادة البقر .

والأخلاق نمط من السلوك الإنساني يتعارفه مجتمع من المجتمعات الإنسانية، ويعتبره قانوناً مقدساً، بعد مخالفه خارجاً على آداب الجماعة .

فمثلاً من المعلوم عندنا أن السرقة عمل غير شريف وأن صاحبه يستحق الاحتقار من أجل مجتمعه بينما يروي لنا التاريخ أن أمم نوح وعاد وثمود كانت تعد ذلك من الشجاعة والرجولة والمهارة، وأن قوم لوط كانوا لا ينظرون إلى الزنا والفاحشة وقطع الطريق كجرائم خلقية على خلاف ما هو معروف عندنا من أنها من الكبائر وأن قوم إبراهيم كانوا يعتبرون عبادة النمروذ والأصنام خلقاً عظيما بينما هي محرمة عندنا في شريعتنا وفي قانوننا وبذلك نجد الأخلاق تختلف باختلاف الأمم . وأمثلة الأمم الآتية توضح لنا هذا التباين والاختلاف:

١ ـ **فقابيل ابن آدم:** رأى خيره في قتل أخيه هابيل، لينفرد بزواج أخته إقليمان وخالف بذلك أمر ربه ورسوله آدم .

٢ ـ **وقوم إدريس:** عليه السلام، وكانوا من ولد قابيل حادوا عن توحيد الله واتخذوا لهم أصناماً خمسة هي: ودّ وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر: يعبدونها من دون الله، فكان يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، ولما لم يستمعوا إليه، وآذوه رحل عنهم إلى مصر لعله يجد من يستمع إليه.

٣ ـ **وقوم نوح:** كانوا يضربونه بالعصي والنعال ويقذفونه بالحجارة عندما كان ينهاهم عن عبادة الأوثان ويدعوهم إلى عبادة الله كما قص القرآن: قال لهم: **﴿يا قوم إني لكم نذير مبين (٢) أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون (٣) يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾**. وقد صبر نوح عليهم واحتمل أذاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فكان صبره خارقاً، وكان آية خلقية كبرى... ولما يئس من هداهم دعا عليهم فقال: **﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾** فأهلكهم الله بالطوفان.

٤ ـ **وقوم عاد:** بعد أن كانوا فقراء يسكنون الخيام أنعم الله عليهم بالقصور والمدائن والحدائق وكثرة الزروع والأنعام فكثرت خيراتهم، وطابت ثمراتهم فعاشوا في نعمة عظيمة زادتهم طولاً على طول وضخامة على ضخامة ولكنهم سرعان ما بطروا بنعمة الله ونسوا عبادته وانقلبوا إلى عبادة الأصنام وراحوا يخرجون إلى الصحراء ليقطعوا الطريق على الناس مؤمنين أن هذه الأعمال هي عمل الرجال وأخلاق الأقوياء فأرسل الله إليهم هوداً من بينهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده وبالكف عن ظلم الناس وقتلهم فقال: « **يا قوم اعبدوا الله ما لكم إله غيره أفلا تتقون... قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين... قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين، أو عجبتم إن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون... قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما**

كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين» .

وعندما يئس من إيمانهم بالله دعا عليهم فاستجاب الله دعاءه وعذبهم بالقحط وبالريح العقيم ـ حبس عنهم المطر وشدد عليهم الحر والضر فقحطوا وقحطت زراعتهم ومواشيهم فلم يجدوا ماء ولا زاداً ولا هواء ثم أرسل الله عليهم الريح الصرصر العقيم فأهلكتهم وجعلتهم كالرميم.

٥ ـ **وقبيلة ثمود:** كانت تعبد الله أولاً ثم طغت وأفسدت في الأرض وخالفت أمر الله وعبدت غيره واتخذت من الأصنام آلهة يعبدونها مع عبادة الله فبعث الله فيهم نبيه صالحاً فمحضهم نصيحته وذكرهم بنعمة الله عليهم ودعاهم إلى العودة إلى عبادة الله وحذرهم من عذابه وبصرهم بما حدث لقوم نوح ولكنهم طلبوا منه آية تدل على نبوته وحددوها بأن يخرج لهم من صخرة معينة بالجبل ناقة ذات ألوان . . . فقام وصلى لله ركعتين وطلب من الله تحقيق هذه الآية فتمخضت الصخرة عن الناقة المطلوبة وهي تنادي: لا إله إلا الله صالح رسول الله . . . فآمنوا بعض الوقت ثم ارتدوا إلى الكفر والبغي وإلى سيء الأخلاق وقلبوا ظهر المجن لرسالة السماء وآيتها الكبرى فعقروا الناقة وكفروا بأنعم الله عليهم فأرسل الله إليهم عذاب الصيحة فأسقطت قلوبهم من صدورهم وماتوا بها جميعاً كما قال الله تعالى: **﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعدا لثمود﴾** .

٦ ـ **وقوم إبراهيم:** كانوا يعبدون الأصنام ويسجدون لملكهم النمروذ الذي تكبر وتجبر في الأرض بغير الحق ودعا الناس إلى عبادته والسجود له وللأصنام فكان يقول لهم أنا ربكم أحيي وأميت وكان لا يعطي أحداً طعاماً إلا إذا سجد له وقال له أنت ربي فأرسل الله إليهم إبراهيم عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام وحاج النمروذ إبراهيم أمام قومه فقال النمروذ من ربك يا إبراهيم؟ قال إبراهيم: «ربي الذي يحيي ويميت» فقال النمروذ «أنا أحيي وأميت» . . قال إبراهيم: «إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب»

فبهت النمروذ وقومه ولزمنهم الحجة فراحوا يؤذونه ويتربصون به الدوائر..
وعندما قام إبراهيم عليه السلام بتكسير أصنامهم أقاموا له محرقة كبيرة وألقوه في وسطها فأنقذه الله منها وقال: ﴿**يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**﴾ فتحول وسط النار إلى روضة من رياض الجنة.

وكان من رسالة إبراهيم أن يحسن خلقه للناس جميعاً كما جاء في الحديث القدسي عن الله عز وجل: (اوحى الله إلى إبراهيم: يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله في عرشي وأن أسكنه حظيرة قدسي وأن أدنيه من جواري) رواه الترمذي عن أبي هريرة.

فكان إبراهيم عليه السلام يعامل الناس بأخلاق حسنة وسعة صدر و لمول بال وحلم وأناة وعفو ولكن قومه أصروا على كفرهم فتركهم بعد ما أبان لهم الحق والدين القويم.

٧ ـ **وقوم لوط:** كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه وكانوا يقطعون السبيل على الناس ويأتون في أنديتهم المنكرات والفواحش وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء فأرسل الله إليهم نبيه لوطاً ينهاهم عن تلك الفاحشة الكبيرة والمنكرات الفظيعة فقال لهم: ﴿**أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون**﴾ ولكنهم لم ينتهوا عما هم فيه من الإثم والكفر والفاحشة وقالوا: (**لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين**) ولما عاودهم بالنصيحة قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين.

وعندما يئس من هداهم سأل ربه أن ينصره عليهم فأجاب الله دعاءه وأرسل عليهم العذاب، أرسل إليهم ثلاثة ملائكة جعلوا عالي دورهم وأرضهم وقراهم سافلها ثم أمطرهم بحجارة من سجيل ذلك قول الله تعالى: ﴿**فجعلنا عاليها سافلها**

وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾ .

٨ - **نبي الله يوسف:** وأهم ما في قصنه فتنة امرأة العزيز ومراودنها إياه عن نفسه فاستعصم وقال: **﴿معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾** شأنه في ذلك شأن من أعده الله لمنصب الرسالة وهيأه لزعامة الناس ولما علم الملك بعفته وامانته وولائه وإخلاصه واستقامته أخرجه من السجن واستخلصه لنفسه وقال له: **(إنك اليوم لدينا مكين أمين)** ثم جعله وزيراً بالدولة لما يمتاز به من العلم ومحاسن الاخلاق .

٩ - **وقوم شعيب:** كان قومه يبخسون الناس أشياءهم وينقصون المكيال والميزان في البيع فدعاهم إلى الصدق في البيع والشراء فلا يخسرون الميزان إذا باعوا ووزنوا للناس ولا يطففون الكيل إذا اكتالوا عليهم فهددوه بالقتل إن لم يرجع عن دعوته أو يخرجوه هو والذين معهم من بلدهم وعندما عز عليه تنفيذ رسالته قال لهم: **﴿اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب﴾** .

١٠ - **أما بنو إسرائيل:** فكانوا على أخلاق رديئة وطباع جافة وأمزجة شاذة فوقعوا بين أنياب فرعون مصر فكان يسومهم سوء العذاب يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم فمن الله عليم بنبوة موسى عليه السلام ليخرجهم من غيهم ومحنتهم كما من عليهم بنعمه الوافرة فرزقهم من الطيبات وظللهم بالغمام وأنزل عليهم المن والسلوى ونجاهم من فرعون وقومه ولكن سرعان ما نسوا فضل الله عليهم ورحمته ونعمه فظلموا أنفسهم وتناسوا المعجزة في مجاوزتهم البحر ونجاتهم من فرعون وظلمه فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه حينما مروا في سيناء على قوم يعكفون على أصنام لهم **﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال: أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين﴾** ثم ما لبثوا أن عبدوا العجل واتخذوه إلهاً فغضب الله عليهم وهددهم بالإبادة فقال تعالى: **﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم**

غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين﴾ .

فأخذ موسى يضرع إلى الله ويقول: **﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾** فقال الله تعالى: **﴿عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا مؤمنون﴾** .

وهكذا كانت أخلاق وسلوك بني إسرائيل مع جميع أنبيائهم أربعة الآلاف فمنهم من آذوه ومنهم من عصوه ومنهم من قتلوه ومنهم من صلبوه، قوم لا أخلاق لهم ولا إيمان ولا عهد .

١١ - **شعب المسيح:** لما طال الأمد على بني إسرائيل قست قلوبهم وانحرفوا عن الطريق الصحيح الذي أقامهم عليه الأنبياء فأخرجوا التوراة عن روحها المراد لله تعالى وتهالكوا على المادة، واستغرق تفكيرهم حب المال، وتفرقوا إلى شيع وأحزاب فراح فريق منهم ينكر غيبيات الدين كالبعث والحساب وراح فريق آخر ينكر الرسالات والأنبياء وانصرف فريق ثالث إلى إشباع ملذاته وشهواته الحرام واتجه باقي الفرق إلى استغلال الناس استغلالاً سيئاً فأصبحت أحوالهم تستدعي إصلاحا قويماً ومصلحاً مخلصاً . . . فجاء المسيح عيسى بن مريم عليه السلام رسولاً ونبيا من عند الله ليدعوهم إلى التوحيد وليخلصهم من الأحوال التي ارتطموا في حمأتها . . . وليبشرهم بالشريعة الإلهية الجديدة التي سيرسل الله تعالى بها النبي الأمي الجديد المذكور في آية ١٥ وما بعدها من الإصحاح ١٨ سفر التثنية .

كان معظم رسالة المسيح عليه السلام عظات ونصائح وحكماً وأمثالاً لتوجيه نظر الجماهير من قومه اليهود إلى إخلاص العبادة لله تعالى والتخفيف من مادياتهم التي غرقوا فيها إلى آذانهم وترك الربا والنفاق وأن يلتبسوا بروح الدين الذي ورثوه عن موسى كما جاءهم وأن يطلقهم من أسار الكهنة الذين يحرفون شريعة الله عن مواضعها ارضاء لشهواتهم ويتخذونها مستغلاً لإشباع جشعهم ويبشرهم باقتراب ملكوت السموات أي الشريعة الإلهية الدائمة وبمجيء محمد ﷺ .

ثم نهاهم عليه السلام عن الأخلاق الرديئة كالمكر والخداع وأكل الأموال بغير حق والربا والنفاق وشدد النكير على المتصفين بالأخلاق الرديئة من اليهود فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

ولما زادت رسالة المسيح عمقاً ونفذت تعاليمه السمحة إلى أعماق كثير من المؤمنين المخلصين وفي مقدمتهم الحواريون الاثنا عشر وهم أصحابه وخاصته لذين اختارهم ليكونوا تلاميذه اشتعلت نار الكيد والحقد في قلوب كهنة اليهود على المسيح ورسالته وأنصاره فدبروا لقتله ووشوا به لدى الوالي قائلين: إن المسيح يقول: إنه ملك اليهود وإنهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية فأرسل الوالي جنده للقبض على المسيح بقصد قتله ولكن الله نجاه من مكرهم وكيدهم ولم يمكنهم منه فرفعه إليه وذلك قول الله تعالى: **﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾**.

ولقد كذب القوم كعادتهم وقالوا لقد صلبنا المسيح وقتلناه ولكن الله الصادق العظيم كذبهم ورد عليهم بقوله تعالى: **﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه وما صلبوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾**.

۱۲ ـ **أما أمة محمد ﷺ**: فإن خير ما يشرفها وخير ما يقال في شأنها قول الله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** وخير ما يشرفها ويشرف نبيها محمداً عليه الصلاة والسلام وخير ما يقال فيه قول الله عز وجل: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** ... وخير ما يشرفها ويشرف نبيها ويشرف دينها الإسلامي الحنيف قول الله سبحانه وتعالى: **﴿إن الدين**

عند الله الإسلام﴾ وبمقارنتها بسابقاتها من الأمم من حيث السلوك والأعمال والأخلاق ومعرفة حق الله تعالى وحق انبيائه ورسله وكتبه وملائكته وحق الناس، لعلمنا علم اليقين الذي لا يتطرق إليه الشك أن الأمة الإسلامية هي خير الأمم جميعاً دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ وإن دينها هو خير الأديان جميعاً فالدين الحق عند الله هو الإسلام وإن نبيها ورسولها محمداً ﷺ هو خير الأنبياء على الإطلاق لقوله تعالى في حديث قدسي: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم وإن محمداً خير الأنبياء وأمته خير الأمم باتباع ملته﴾ ولذلك استحقت أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه فضل الله الأول وتفضيله لها على سائر الأمم والشعوب ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ صدق الله العظيم.

من أخلاق الأمة الإسلامية: لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق ولقد قال النبي الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه: «إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الاعمال» وقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الخلق» وقال: «كرم المومن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله» وقال: «من سعادة المرء حسن خلقه» وقال: «اليمن حسن الخلق» وقال: «المؤمن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه» وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» وقد بين لنا كتاب الله وسنة رسوله محاسن أخلاق الأمة الإسلامية نذكر منها ما يأتي:

(١) الحكمة (٢) الشجاعة (٣) العفة (٤) العدل (٥) السخاء (٦) الحياء (٧) الحلم (٨) النجدة (٩) الشهامة (١٠) الصبر (١١) الثبات (١٢) التسامح (١٣) القناعة (١٤) الورع (١٥) التواضع (١٦) إنكار الذات (١٧) حسن المعاشرة (١٨) لين الجانب (١٩) بذل المعروف (٢٠) حسن الجوار (٢١) العفو عن الناس (٢٢) العفو عند المقدرة

(٢٣) الجود (٢٤) الكرم (٢٥) السماحة (٢٦) الإصلاح بين الناس (٢٧) عيادة المريض (٢٨) تشييع الجنازة (٢٩) إطعام الطعام (٣٠) إفشاء السلام (٣١) الابتداء بالسلام (٣٢) كظم الغيظ (٣٣) كف الأذى (٣٤) صدق اللسان (٣٥) قلة الكلام (٣٦) كثرة العمل (٣٧) كثرة الصلاح (٣٨) قلة الزلل (٣٩) قلة الفضول (٤٠) الوقار (٤١) الشكر (٤٢) الرضا (٤٣) الرفق (٤٤) الشفقة (٤٥) الرأفة (٤٦) الرحمة (٤٧) توقير الكبير (٤٨) رحمة الصغير (٤٩) قلة الخلاف (٥٠) حسن الإنصاف (٥١) ترك طلب العثرات (٥٢) تحسين ما يبدو من السيئات (٥٣) التماس المعذرة (٥٤) احتمال الأذى (٥٥) الرجوع بالملامة على النفس (٥٦) طلاقة الوجه والبشاشة للصغير والكبير (٥٧) لطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه (٥٨) الحب في الله والبغض في الله (٥٩) الرضا في الله والغضب في الله (٦٠) بذل الندى (٦١) لا يخاصم ولا يخاصم (٦٢) إرضاء الناس في السراء والضراء (٦٣) طلب الحلال (٦٤) التوسعة على العيال (٦٥) اجتناب المحارم فلا يكون لعاناً (٦٦) ولا سباباً (٦٧) ولا نماماً (٦٨) ولا مغتاباً (٦٩) ولا حقوداً (٧٠) ولا حسوداً (٧١) ولا بخيلاً (٧٢) ولا كذاباً (٧٣) ولا ماكراً (٧٤) ولا خادعاً (٧٥) ولا قاطعاً للرحم (٧٦) ولا متكبراً (٧٧) ولا فخوراً (٧٨) ولا مختالاً (٧٩) ولا مستطيلاً (٨٠) ولا باذخا (٨١) ولا فاحشاً (٨٢) ولا متفحشاً (٨٣) ولا متطيراً (٨٤) ولا باغيا (٨٥) ولا ظالماً (٨٦) ولا معتدياً .

آيات في الأمم التي خالفت الأنبياء

قال الله تعالى عن الأمم التي خالفت الأنبياء في القرآن الكريم ما يأتي:

في سورة الأعراف: ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون (٩٤) ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون (٩٥) ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (٩٦) أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون (٩٧) أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون (٩٨) أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (٩٩) أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون (١٠٠) تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين (١٠١) وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم الفاسقين﴾ (١٠٢).

وفي سورة التوبة: ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (٧٠).

وفي سورة هود: ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ (٨٩).

ومنها أيضاً: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد (١٠٠) وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب (١٠١) وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ (١٠٢).

وفي سورة إبراهيم: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله

من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ (٤).

ومنها أيضاً: ﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد (٨) ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾ (٩).

وفي سورة الإسراء: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً (١٥) وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا (١٦) وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ (١٧).

وفي سورة الحج: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (٤٤) فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ (٤٥).

ومن سورة الفرقان: ﴿وقوم نوح لما كذبوا للرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذاباً أليماً (٣٧) وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً (٣٨) وكلا ضربنا له الأمثال وكلاًّ تبرنا تتبيراً (٣٩) ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ (٤٣).

وسورة الشعراء: ﴿وما أهلكنا من قرية إلاَّ لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين﴾ (٢٠٩).

ومن سورة العنكبوت: ﴿وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (٣٨) وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾ (٣٩) فكلاًّ أخذنا بذنبه، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (٤٠).

ومن سورة فاطر: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور﴾ (٤).

ومنها أيضاً: ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير (٢٥) ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾ (٢٦).

ومن سورة غافر: ﴿وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب (٣٠) مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ (٣١).

ومن سورة فصلت: ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (١٣) إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾ (١٤).

ومن سورة ق: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢) وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الأيكه وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد﴾ (١٤).

وفي سورة الحاقة: ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة (٤) فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية (٥) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (٦) سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٧) فهل ترى لهم من باقية (٨) وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة (٩) فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ (١٠).

ومن سورة الفجر: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد (٦) إرم ذات العماد (٧) التي لم يخلق مثلها في البلاد (٨) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (٩) وفرعون ذي الأوتاد (١٠) الذين طغوا في البلاد (١١) فأكثروا فيها الفساد (١٢) فصب عليهم ربك سوط عذاب (١٢) إن ربك لبالمرصاد﴾ (١٤).

اخلاق آدم عليه السلام

خلق الله آدم للطاعة والرحمة والحمد ... فعندما أتم الله خلق آدم أجرى على لسانه كلمة « الحمد لله رب العالمين » فردت عليه الذات العلية « يا آدم للرحمة خلقتك » فكانت أول كلمة قالها الإنسان « الحمد لله رب العالمين » وهي تعني الشكر لله والثناء عليه ، والطاعة والعبادة له والاستعانة به وكانت الرحمة أول كلمة سمعها ليتخلق بها لأنها أول صفة من صفات الله الرحمن الرحيم - .

لماذا خلقنا ؟

قال بعض العلماء: إن الله خلق الخلق ليعرف به . فقد قال الله سبحانه وتعالى في حديثه القدسي: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت أو خلق فبه عرفوني فغاية الخلق أن يرى الله نفسه في صورة تتجلى فيها صفاته وأسماؤه . فوجود الخلق يتجلى فيه الوجود الإلهي وبه عرفت صفات الله وأسماؤه أو عرفت الوهيته

وقال **البعض الثاني:** إن الله خلق الخلق ليظهر وجوده وليظهر كمال علمه كمال قدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لأنها لا تتأتى إلا من قادر حكيم ، وبعد فإنه يحب عباده العابدين ويثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم ، كان غنيا عن عبادة خلقه . لا تزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص ملكه معصية العاصين ، قال تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ما أريد منهم

من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ وليظهر إحسانه لأنه محسن. فأوجدهم ليحسن إليهم وليتفضل عليهم فيعامل بعضاً بالعدل وبعضاً بالفضل.

وقال البعض الثالث: إن الله خلق الخلق لحكمة لا يعلمها إلا هو وحده أخفاها على أقرب الخلق إليه، كما أخفى حكمة استخلاف آدم في الأرض على الملائكة فقال لهم: **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾** ولم يقل لهم السبب أو الحكمة في خلقه، كما أخفى ذاته العلية عن جميع خلقه، فخلق الخلق سر إلهي ومن علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه. ولكنه هداية للناس جعل الخلق دليلاً عليه ثم قال: **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾** ؟ ومن هذا يفهم أن الحكمة في خلق الخلق قد لا تخرج عن أحد هذه الأمور أو قد تكون جامعة لهذه الأمور.

خلق آدم:

إن أصدق الحديث في خلق آدم عليه الصلاة والسلام كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. فهما البرهان والحجة في هذا الموضوع الذي سبق التاريخ والعلم - فقد قال الله تعالى في سورة البقرة: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾**.

وفي سورة ص: **﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين﴾**.

وفي سورة الحجر: **﴿قال يا إبليس ما لك ألا تكون من الساجدين؟ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون. قال فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين. قال رب أنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم. قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين. قال هذا صراط علي مستقيم. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين. وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾**.

وفي سورة الإسراء: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً. قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلاً. قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً. واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً**﴾.

وفي سورة البقرة: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ـ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ـ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم. فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ صدق الله العظيم فيما خلق وفيما أخبر.

كيف خلق آدم:

في صحيح الترمذي بإسناد عن سيدنا رسول الله ﷺ في تفسير أول سورة البقرة: ﴿**إن الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض من السهل والجبل والأسود والأبيض والأحمر فجاءت الأولاد على ألوان الأرض**﴾ وسأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ. كيف خلق آدم عليه السلام؟ فقال: «خلق الله رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس وفخذيه من أرض اليمن وساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من المغرب ثم ألقاه على باب الجنة».

وذكر الشيخ الثعلبي في كتابه قصص الأنبياء، عن هذه القصة، قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعانٍ متفقة أنه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أوحى الله إلى الأرض أني خالق من أديمك خلقاً فمنهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار. ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتي بقبضة منها فلما أتاها جبريل ـ أقسمت عليه وقالت إني

أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن لا تأخذ مني شيئاً يكون للنار فيه نصيب... فلم يأخذ منها شيئاً. فأمر الله تعالى ميكائيل أن يمضي إليها ويقبض قبضة من ترابها فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لجبريل فبر بقسمها ولم يأخذ منها شيئاً فأرسل الله إليها عزرائيل فلما هبط إليها وكرها محربة كانت معه فاضطربت فمد يده إليها فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لأخويه فقال لها إني أعوذ بالله أن أعصى له أمراً ـ وقبض قبضة من زواياها الأربع من جميع أديمها من أسودها وأبيضها وأحمرها من سهلها وجبالها وأعاليها وأسافلها ثم أتى بتلك القبضة بين يدي الله تعالى فأمره أن يجعلها طيناً ويخمرها فعجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طيناً وخمرها ـ فأمره الله تعالى أن يضع تلك القبضة على باب الجنة فلما وضعها أمر الله رضوان خازن الجنان أن يعجنها بماء النسيم ثم أمر الله تعالى جبرائيل بأن يأتي بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض فخلق منها الأنبياء ثم خلط الطين بالماء حتى صارت معجنة كبيرة. فلما عجنت تركت أربعين سنة حتى صارت طيناً لازباً ثم تركت أربعين سنة أخرى حتى صارت صلصالاً كالفخار ثم جعل من تلك العجينة جسداً مصوراً وألقاه على طريق الملائكة التي تصعد منها وتهبط وترك أربعين سنة ملقى على تلك الهيئة قال تعالى: **﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾** قال ابن عباس رضي الله عنهما الإنسان هو آدم عليه السلام والحين من الدهر هو أربعون سنة.

معاينة خلق آدم:

بعد أن خلق الله آدم على هذه الصورة رأته الملائكة على باب الجنة فبهرتهم رؤيته ـ وحين مر عليه إبليس وعاينه وجده فارغاً فدخل منه وخرج ثم قال: والحسد يأكل قلبه: ما هذا المخلوق الأجوف؟ وكيف يرى هكذا على باب الجنة؟ ولست أدري: أيفضله الله علينا؟ وإني لن أطيعه ـ يعني ربه ـ حين يقع هذا التفضيل ـ وأصر على مغاضبة ربه حين ينفخ في آدم الروح.

الاحتفال بخلق آدم:

أراد الله الإعلام بخلق آدم في حفل تكريم تحضره الملائكة فأخبر الملائكة أنه سيخلق بشراً من طين ليكون خليفته في الأرض وأمرهم إذا سواه ونفخ فيه من روحه أن يقعوا له ساجدين سجود تحية وتكريم واعتراف لا سجود صلاة وعبادة.

وعند تمام خلق آدم ونفاذ أمر الله نفخ الله فيه من روحه فإذا هو إنسان حي من لحم ودم وعظم وعصب يتحرك بإرادته يسمع ويبصر ويعقل فأجرى الله على لسانه كلمة (الحمد لله رب العالمين) فردت عليه الذات العلية: **يـا آدم للرحمة خلقـتـك** فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين ـ فقال الله تعالى لإبليس ﴿**ما منعك ألا تسجد إذ أمرتـك**﴾ ؟ قـال: ﴿**أنـا خير منـه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ . قال: ﴿**فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين**﴾ .

نزول آدم من الجنة

خلق الله آدم في الجنة وأنزله منها إلى الأرض الخلاء على نحو ما جاء في الكتب السماوية وعلى لسان الأنبياء والرسل ـ وذلك ليقيم خلافة الإنسان فيها وليعمرها بالطاعة والرحمة والحمد بعقلـه واختيـاره وعملـه وخلقـه وسلـوكـه وآدابـه.

نزل آدم من الجنة عملاقاً كبيراً طوله ستون ذراعاً وعرضـه سبعـة أذرع بيـده عصا وعلى رأسه تاج من الجنة وعندما هبط إلى الأرض جف التاج بعد نضارته وقيل رواية عن النبي ﷺ (حين نزل آدم من الجنة وهو مستور بورق الجنة يبس هذا الورق وتطاير بأرض الهند فامتلأت بالرائحة أشجار العود والصندل والمسك والعنبر والكافور).

ندم آدم:

عندما هبط آدم إلى الأرض ورأى التاج الذي نزل معه من الجنة على رأسه قد جف ورأى ورق الجنة الرطب الذي كان يستره قد يبس وسقط عن جسده وأنه

أصبح عرياناً يتأذى من حرارة الطبيعة وبرودتها حزن حزناً شديداً وبكى. قال شهر بن حوشب: بلغني أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى ـ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة، فلما أراد الله أن يرحم عبده لقنه كلمات ـ قال بعض العلماء ألهمه الله أن يقول: ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾ فتاب الله عليه وهداه ـ وأنزل عليه ثمانية أزواج: من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، وأرسل إليه جبريل ليعلمه شؤون الحياة فأمره أن يذبح كبشاً فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم ثم صنع لنفسه منه جبة ولحواء خماراً.

عمارة الأرض:

ولما رأى آدم سعة الأرض ولم ير فيها أحداً غيره وحواء قال: يا رب: أما لأرضك هذه من عامر يسبحك بحمدك ويقدسك غيري؟ قال الله تعالى: **سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني ويقدسني وسأجعل فيها بيوتاً ترفع بذكرى ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي. وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني حق عبادتي وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصه بكرامتي وأوثره باسمي فأسميه بيتي وأنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي ـ وأجعل في ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمته ما حوله وما فوقه وما تحته. فمن حرمه استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي، وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركاً يأتونه شعثاً غبراً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجاً، ويضجون بالبكاء ضجيجاً، ويعجون بالتكبير عجيجاً، فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد إلى وزارتي واستضافني فحق على الكريم أن يكرم رفده وأضيافه وأن يسعف كلاً بحاجته ـ يا آدم تعمر ما دمت حياً ثم تعمر الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن.**

ثم مسح الله تعالى على ظهر آدم بيده وأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ـ ثم أخذ الله عليهم الميثاق وكلمهم قائلا : **﴿ألست بربكم؟ قالوا : بلى « فقالت الملائكة » شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إن كنا عن هذا غافلين﴾**

وروي أن آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم، والحسن والقبيح، والأسود والأبيض فقال: يا رب . . . هل سويت بينهم فقال الله تعالى في حديث قدسي: « إني أحب أن أشكر » .

حياة آدم: منح الله آدم بسطة في الجسم والعلم والخلق ليتمكن من إقامة الخلافة في الأرض، ومن عماراتها . فكان طوله ستين ذراعاً وعرضه سبعة أذرع وكانت خطوة سيره واسعة وكبيرة مقدار مسيرة ثلاثة أيام، فكان لا بضع قدمه على أرض إلا أخصبت وزرعت وأينعت ورخت. ثم أنزل عليه عشر صحف تحتوي على الدين والعلم والخير والخلق، وقد أوحى إليه فيها : **(يا آدم إني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات: واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين الناس .**

فأما التي لي: فتعتقد بي ولا تشرك بي شيئاً .
وأما التي لك: فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إنيه .
وأما التي بيني وبينك: فمنك الدعاء ومني الإجابة .
وأما التي بينك وبين الناس: فإن ترضى لهم ما ترضاه لنفسك) .

عاش آدم ألف عام ولم يمت حتى ولد له أربعون ألفاً من البنين والبنات ـ كان أولهم قابيل وتوأمته اقليمان، وآخرهم عبد المغيث. فقد كانت حواء تلد في كل بطن ولداً وبنتاً ما عدا شبثا فجاء وحده ذكراً وقد منحه الله النبوة بعد أبيه آدم ولتكاثر النسل أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل فتى من فتيانه بتوأمة أخيه ـ وبهذا اوعز آدم إلى أبنائه فكان التزاوج في عصر آدم أن يتزوج الولد غير توأمته كأنهما من بطنين مختلفين وإن كانت الأم واحدة .

آدم والحكم الخلقي

خلق الله الإنسان (آدم وحواء) وأنزله إلى الأرض ليعمرها بخلقه. فتناسل الإنسان وتكاثر بإذن الله. وكون جماعات إنسانية صغيرة، مثل الأسرة والعائلة وكبرت هذه الجماعات على مر الزمن فصارت عشائر وقبائل، وتضاعفت العشائر والقبائل فصارت قرى ومدناً. ومن القرى والمدن تكونت الأمم والدول.

وقد جبل الإنسان بفطرته من بدء وجوده في الحياة وفي جميع مراحل نموه الاجتماعي التي ذكرناها على تدبير معاشه وعلى الصفات التي يجب أن يتصف بها هو وأفراد جنسه والأسس والقواعد التي يجب أن تقوم عليها الحياة الانسانية الجماعية.

ثم وجه الإنسان إلهاماً لا إعلاماً إلى معرفة ما ينفعه وما يضره فكانت معرفة الخير والشر القاعدة الأخلاقية الأولى في المجتمع البشري الأول ومن هذه القاعدة بدأ الانسان يدرك الفضائل والرذائل. حيث أفاضت العناية الإلهية من رحماتها بالبشر فأرسلت الأنبياء والرسل لهداية الإنسان إلى الصراط المستقيم وللأخذ بيده إلى المعرفة الصحيحة للخير والشر ـ وكانت الكتب السماوية موضحة ومحددة لجميع سبل الخير ومحذرة وناهية عن كل ما هو شر. وبإرسال الأنبياء والرسل، ونزول الكتب السماوية تحدد وتأكد الخير والشر وأصبح الإيمان بالله وبالتعالم السماوية هي الحكم الفيصل في اتجاهات الإنسان وأفعاله.

ومن فضل الله ورحمته على الدنيا أن خلق الله آدم (الإنسان) وجعله نبيا ورسولا الى زوجه واولاده ـ فكانت دنيا فاضلة ـ حيث بدأ نهارها بأول رسالة الهية الى الانسان على يد أبي الإنسان آدم عليه السلام.

نزل ادم متعلما متخلقاً بعلوم وأخلاق الله، وقد تلقاه جبريل عليه السلام فاحتضنه يدربه على امور حياته ومعاشه. علمه الغـزل والنسـيج والذبـح والطبـخ والحرث والزرع والحصد والطحن والعجن والخبز والأكـل والشرب ـ فكـانـت

الإنسانية في عهد آدم مجبولة ومفطورة على إدراك معنى الخير والشر إدراكاً خالصا سائغا .

يؤيد ذلك الاديان السماوية والكتب المقدسة ويؤيده أيضاً طائفة من الفلاسفة في مقدمتهم فولتير ، وجان جاك روسو (الفرنسيان) و (كانت) الفيلسوف الالماني .

أما فولتير فيقول: (إني لمعتقد أن فكرة العدالة كانت في الإنسان منذ البدء جلية واضحة وضرورية بأكثر من وضوح فكرة الصحة والمرض والحق والباطل) .

وأما روسو فيقول: (إن في قرارة النفس لمبدأ فطرياً للعدالة والفضيلة وعليه نعتمد في أحكامنا على أعمالنا ، وأعمال الآخرين بالخيرية أو الشرية وهذا المبدأ هو ما نسميه (بالضمير) تلك الكلمة التي أسمع حولها في كل مكان صياح أدعياء الحكمة يقولون (ان الإنسان لا يملك بالفطرة شيئاً من فكرة الخير والشر . . . ولولا التربية والتجارب ما فهم للخير أو الشر أي معنى) .

ويريد روسو بادعياء الحكمة هنا أصحاب مذهب التطور والارتقاء ، الذين لا يؤمنون بأن فكرة الخير والشر فطرية في الإنسان ويدعون أن جرثومة الحكم الخلقي كانت في الإنسان قديماً لا تعدو ذلك الشعور الغامض الذي يوجد في بعض أنواع الحيوانات .

أما (كانت) فيقول: (إنني أرفض العقل النظري هنا رفضاً باتاً لأنه لا يصلح أساسا لشريعة الاخلاق ، إذ أنه يعتمد في حكمه على قضايا ومقدمات كثيراً ما تكون خاطئة وكيف يؤمن خطؤه وهو يعتمد على الحواس التي طالما ظهر خداعها . . ؟ فلترتفع شريعة الأخلاق المقدسة عن مستوى العقل النظري لأنه يجب الا يشاد بناؤها إلا على مبادىء مسلمة لا جدال فيها ولا حاجة بها إلى البرهان .

أما العقل العملي فهو الجدير بأن يوضع أساساً لهذه الشريعة القدسية ، لأنه

معصوم من الخطأ والضلال وأحكامه مسلمة ـ وهذا العقل هو ما نسميه بالضمير ونعتقد أنه قوة باطنية فطرية في الإنسان منذ خلق لا ينفرد بها شخص دون آخر ـ وهو النور الذي لا يخشى عليه خمود، والهدى الذي لا يخشى عليه ضلال. والمنجد الذي يرسل أشعته من أعماق النفس حين تعمى علينا الأنباء ونظم الطرق ولا تغني القضايا والأقيسة ولا ينفع البرهان ـ وهو المرشد الأمين في مراحل ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا) حيث يكل العقل النظري ويتشكك ويتخاذل ولا يجد له هناك طريقاً.

● ومن قصة آدم عليه السلام نستطيع أن نستنبط أنه كان مجبولاً على الخير مفطوراً على محاسن الأخلاق ـ لأن إرادة الخير في الدنيا الجديدة كانت مناط التكليف الإلهي والخضوع لتعاليم الله السامية.

اخلاق شيت عليه السلام

كان النبي شيث عليه السـلام في جبهته نور محمد ﷺ الذي انتقل إليه من أبيه آدم فقد كان سرَّ أبيه.. وكان أول من نطق بالحكمة وأول من قضى بالحق بين إخوته وأول من أظهر البيع والشراء بالصدق والعدل، وأول من اتخذ الكيل والميزان، وأول من بدأ المعاملة بين الناس بالذهب والفضة.

العصا من الجنة: كان أولاد آدم عليه السلام أربعين ولداً وبنتاً. أولهم قابيل وتوأمته إقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته.

وقد تناسل أولاده في حياته حتى بلغ عددهم أربعين ألفاً ذكوراً وإناثاً ـ وروي أن آدم عليه السلام لما تكاثر نسله أخذوا يتشاجرون ويتخاصمون، فشكى آدم حال أولاده إلى ربه فأنزل الله تعالى لآدم عصا من الجنة ليؤدب بها أولاده إذا عصوه ـ ولذلك يقال العصا من الجنة.

أول جريمة على وجه الأرض: بجبل قاسيون شمالي دمشق مغارة مشهورة باسم مغارة الدم فقد وقعت فيها أول جريمة إنسانية على ظهر الأرض ـ إذ قتل قابيل الولد الأول لآدم ـ أخاه هابيل الولد الثاني من أجل امرأة.

ففي عهد آدم ـ اقتضت الحكمة الإلهية ـ لتكاثر النسل ـ أن يزوج آدم كل فتى من فتيانه بتوأمة أخيه ـ فطلب آدم تنفيذاً لأمر الله أن يتزوج قابيل ولده

الاول بلبودا توأمة أخيه هابيل الولد الثاني، وأن يتزوج هابيل بإقليما توأمة قابيل بدلاً اختا بأخت ـ فرفض قابيل أن يزوج أخته الجميلة إلى أخيه هابيل ورأى أن يستأثر بها عليه . وقال لا أتزوج إلا إقليما لأنها ولدت معي في بطن واحدة ولانها جميلة وأجمل وأحب إلي من أخت هابيل فقال آدم اذهب أنت وأخوك فقربا إلى الله قرباناً وليكن من أطيب ما عندكما . ثم يقف كل منكما وينتظر فمن يتقبل قربانه فهو أحق بإقليما ـ فقرب هابيل كبشاً سميناً من خيار غنمه لأنه كان صاحب غنم . وقرب قابيل حزمة من قمح لأنه كان صاحب زرع، ثم وقف قابيل وهابيل ينظران ما يكون من أمرهما . فنزلت من السماء غمامة بيضاء فأشرقت على قربان قابيل ثم أعرضت عنه ومالت إلى قربان أخيه هابيل فاحتملته وصعدت به الى السماء . فقال قابيل لأخيه هابيل: إن أخذتها قتلتك ولا أدعك لأختي الحسناء وما انا بآخذ أختك القبيحة ـ وبقي قابيل متحيراً كيف يقتل هابيل . فأتاه إبليس اللعين على صورة بعض إخوانه فأخذ حجرين من الأرض وضرب أحدهما بالآخر فانفلق الحجر نصفين وقابيل ينظر إلى ذلك . فقال: سأفعل بهابيل مثل ذلك . فنهض لوقته وأتى إلى أخيه هابيل فوجده نائماً تحت جبل من الجبال فعمد قابيل إلى صخرة فحملها وألقاها على رأس أخيه فقتله . وكان هابيل أول من قتل ظلماً من اولاد آدم وكان عمره عشرين عاماً .

ولما قتله بقي متحيراً . كيف يصنع به ـ فأدخل جثته في جراب وحملها على ظهره مدة عام ـ وكانت السباع والطيور تحوم حوله وتنتظر حتى يتركه لتأكله حتى بعث الله غرابين يقتتلان فقتل أحدهما الآخر . فلما قتله حفر له الأرض بمنقاره ورجليه ووضعه في الحفرة وواراه بالتراب فعند ذلك قال قابيل: **﴿يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين﴾** .

والقصة في قول الله تعالى في سورة المائدة:

﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا

بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين، إني أريد أن تبوء باسمي واسمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين، فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين﴾ .

شيت النبي: علم آدم عليه السلام بقتل ولده هابيل فحزن حزناً شديداً وظل عاما كاملاً لا يضحك ولا يقرب زوجته حواء . فأوحى الله تعالى إليه: **يا آدم إلى متى هذا الحزن والبكاء؟ إني معوضك عن هذا الولد بولد يكون صديقاً نبياً وأجعله من نسل الأنبياء إلى يوم القيامة وعلامته أنه سيرضع وحده في بطن واحدة فإذا ولد فسمه شيتا** أي عبد الله ، فلما حملت به أمه حواء لم تجد لحمله نقلاً وولدته من غير مشقة . وقد ولد شيت بعد مضي مائة عام على قتل أخبه هابيل .

نبوة شيت وأخلاقه: لما كبر شيت اعتزل إلى عبادة الله فانتقل إلى جبهته من ابيه آدم نور محمد ﷺ ـ فقد كان سر أبيه وكان يحمل جميع أسراره . فوهبه الله النبوة والحكمة وفصل الخطاب وأنزل عليه خمسين صحيفة تسمى بصحف شيت . فعكف على قراءة الصحف، وعلى تنفيذ ما جاء بها من أوامر وتعليمات إلهية فكان أول من نطق بالحكمة ، وأول من قضى بالحق بين إخوته وأول من أظهر البيع والشراء بالصدق والعدل وأول من اتخذ الكيل والميزان وأول من استخرج المعادن من الأرض، وأول من أخرج المعاملة بين الناس بالذهب والفضة (كتاب بدائع الزهور الصفحة) (٤٠) .

ويقول ابن عربي، إن آدم هو التجلي الإلهي الأول لأنه الصورة الإلهية الجامعة لكل حقائق الوجود، وإن شيتاً هو التجلي الإلهي الثاني أي التجلي في صورة المبدا الخالق الذي يمنح الوجود لكل موجود، أو الظهور في وجود كل موجود .

ويقول الصوفية: إن شيثا وحده هو الذي كان بيده مفاتيح الغيب، ولـ[illegible] مفاتيح الغيب هذه إلا الأسماء الإلهية (التي أنزلت عليه في الصحف) لأ[illegible]

على الغيب المطلق الذي هو الذات الإلهية؛ أو هي مفاتيح الكنز الخفي الذي أحب الظهور فأظهرته (كتاب فصوص الحكم صفحة ٢٧ الجزء الثاني).

وصية الله لشيت: بينما آدم في خلوته يعبد الله تعالى إذ أوحى الله إليه: **﴿يا آدم أوص ولدك شيتاً بما أوصيتك به، فإني مذيقك الموت الذي كتبته عليك وعلى أولادك إلى يوم القيامة﴾** فأحضرآدم ابنه شيتاً وأوصاه بما أوصاه الله به وعلمه أوقات العبادة من الليل ثم نزع خاتمه ودفعه إلى شيت وسلمه الصحف التي أنزلت إليه وقال يا بني حارب أخاك قابيل فإن الله ينصرك.

اخلاق ادريس عليه السلام

كان النبي إدريس عليه السلام خيّاطاً، وكان إذا خاط يسبح الله عند كل غرزة من الإبرة، فإذا غفل وخاط فتق ما خاطه بغير تسبيح.

كان يدعو إلى طاعة الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿**واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً، ورفعناه مكاناً علياً**﴾.

فالنبي إدريس عليه السلام هو ابن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيت ابن آدم عليهما السلام واسمه في التوراة العبرية (خنوخ) وفي الترجمة العربية (أخنوخ) وقد سمي إدريس لكثرة دراسته الكتب وصحف آدم وشيت... وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط فهو الذي صنع تفصيل الثياب وخياطته وقد كان الناس قبله يلبسون الملابس بدون تفصيل ولا خياطة - فلما صنع إدريس الخياطة استحسنوا ذلك ولبسوا المخيط وهو أول من نظر في علم النجوم والحساب وقد أدرك من حياة آدم ثلثمائة سنة وثمان سنين.

وقد قال طائفة من الناس إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله ﷺ عن الخط بالرمل فقال: إنه كان نبي يخط فمن وافق خطه فذاك.

وقال المؤرخون... إن إدريس ولد ببابل وبها نشأ وإنه أخذ في أول عمره

بعلم شيت وآدم ولما كبر إدريس أتاه الله النبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة فكان لا يفتر عن قراءتها ليلاً ونهاراً فبعثه الله تعالى إلى ولد قابيل الذين حادوا عن توحيد الله واتخذوا لهم خمسة أصنام يعبدونها من دون الله، وهي ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم... فكان يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، وينهى المفسدين منهم عن مخالفة شريعة آدم، وشيت فأطاعه أقلهم، وخالفه معظمهم فنوى الرحلة عنهم إلى مصر ـ وقد خرج من بابل ومعه عدد كبير من أتباعه وعندما وصل إلى مصر ووقف على نيلها سبح الله كثيراً فكان يقول (سبحانك ربي صاحب الملكوت).

اقام إدريس ومن معه بمصر يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل ـ وتكلم الناس في أيامه باثنين وسبعين لساناً وعلمه الله عز وجل منطقهم جميعاً.

دعوته في مصر: دعا الناس إلى دين الله والقول بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا وحضهم على الزهد في الدنيا والعمل بالعدل، وأمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها، وامرهم بصيام أيام معروفة في كل شهر وحضهم على الجهاد لأعداء دينهم، وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء بها، وأغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة، وحرم المسكر من كل شيء، من المشروبات، وشدد فيه أعظم تشديد، وجعل لهم أعيادا كثيرة في أوقات معروفة.

أوصافه وشمائله: قيل إن أوصاف إدريس عليه السلام أنه كان رجلاً تام القامة، حسن الوجه، كث اللحية، مليح الشمائل والتخاطيط، تام الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، براق العينين، أكحلهما، متأنياً في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الفكرة، ولا خطاطا [illegible] إذا تكلم، يحرك سبابته [illegible] إذا اغتاظ احتد [illegible]

يأكل إلا من كسب يده وكان يخيط للناس بالأجرة. وكان إذا خاط يسبح الله عند كل غرزة من الإبرة فإذا أغفل وخاط فتق ما خاطه بغير تسبيح ـ وكان يلبس خاتماً منقوشا على فصه (الصبر مع الإيمان بالله يورث الظفر) وعلى المنطقة التي يلبسها عبارة (الأعياد في حفظ الفروض، والشريعة في تمام الدين، وتمام الدين كمال المروءة) وعلى المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت (السعيد من نظر لنفسه ـ وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة).

مواعظه وآدابه وأخلاقه: كانت له مواعظ وآداب وأخلاق استخرجتها كل طائفة بلسانها جرت مجرى الأمثال نذكر منها:

١ ـ حب الدنيا وحب الآخرة لا يجتمعان في قلب واحد.

٢ ـ خير الدنيا حسرة، وشرها ندم.

٣ ـ إذا دعوتم الله سبحانه فاخلصوا النية.

٤ ـ لا تحلفوا كاذبين، ولا تحلفوا الكاذبين فتشاركوهم في الإثم، ولا تهجموا على الله سبحانه باليمين.

٥ ـ لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الإنعام على خلقه.

٦ ـ من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسيء العمل.

٧ ـ تجنبوا المكاسب الدنيئة.

٨ ـ حياة النفس الحكمة.

٩ ـ أطيعوا ملوككم، وأخضعوا لأكابركم، واملأوا أفواهكم بحمد الله.

١٠ ـ من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء.

وصفه للأنبياء: قال لقومه: إنه سيأتي من بعده أنبياء كثيرون وعرفهم صفة النبي فقال: **يكون بريئاً من المذمات والآفات كلها، كاملاً في الفضائل الممدوحات لا يقصر عن مسألة يسأل عنها مما في الأرض والسماء، ومما فيه دواء وشفاء من كل ألم ـ وأن يكون مستجاب الدعوة في كل ما يطلبه وأن يكون مذهبه**

ودعوته المذهب الذي يصلح به العالم.

رفعه إلى السماء: قال الله تعالى: ﴿**ورفعناه مكاناً علياً**﴾ قال وهب بن منبه رفع إدريس إلى السماء وهو ابن ثلاثمائة وخمس وستين سنة وقال ابن الجوزي إن ادريس وعيسى بن مريم عليهما السلام حيان في السماء - إدريس في السماء الرابعة تارة يعبد الله وتارة ينعم في الجنة - وجاء في الصحيحين في حديث الإسراء: أن رسول الله ﷺ مر به في السماء الرابعة - وقال البخاري: ويذكر عن ابن مسعود، وابن عباس أن إلياس هو إدريس، واستأنسوا بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء: إنه لما مر به عليه السلام قال: مرحباًبالأخ الصالح.

وقصة رفعه إلى السماء هي أن إدريس عليه السلام دخل إلى محرابه وسأل الله تعالى أن يريه الجنة كما أراه النار من قبل. فأوحى الله إلى رضوان خازن الجنة بأن يدلي إلى إدريس غصناً من أغصان الجنة. فأدلى له غصناً من أغصان شجرة طوبى فتعلق به وصعد إلى السماء فأدخله رضوان الجنة فرأى ما فيها من نعيم.. فلما أطال إدريس الجلوس في الجنة قال له رضوان أخرج فقد نظرت الجنة وما فيها. فقال له إدريس ما أنا بخارج منها - وقد قال الله تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته**﴾ وقال تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها وقد وردتها**﴾ - وقال تعالى: ﴿**وما نحن بمخرجين فما أنا بخارج منها**﴾ فأوحى الله تعالى إلى رضوان: **قل لعبدي إدريس لا تخرج منها** (كتاب بدائع الزهور - صفحة ٤٢ للشيخ محمد بن إياس الحنفي).

اخلاق نوح عليه السلام

كان النبي نوح عليه السلام من أولي العزم، ومثلاً عالياً في الخلق الطيب والسيرة المرضية، وكان عالي الهمة كبير النفس شريف الغاية.

وكان من خلقه الصبر الجميل على طول الجهاد والعفو عمن أهانه وضربه من قومه، وكان غني الدين والخلق.

نسبه: نبي الله ورسوله نوح عليه الصلاة والسلام - هو نوح بن لامك بن متوشالخ بن إدريس عليه السلام - أرسله الله تعالى إلى قومه وهم أبناء قابيل ومن تابعهم من أولاد شيت - الذين كانوا قد عكفوا على عبادة غير الله تعالى وأخذوا لهم أصناماً يعبدونها من دون الله.

دعوته: اختار الله نوحاً للرسالة وكان عمره خمسين سنة ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده وينذرهم من عظيم عذابه إذا ظلموا وتمادوا في غيهم - فخرج إليهم، ووقف على تل عال ونادى بأعلى صوته **﴿يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون - يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى. إن أجل الله لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾** فسخروا منه وهزؤوا به، وكذبوه، وأعرضوا عنه - فصار نوح يخرج إليهم في كل يوم وينادي: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره لا شريك له واعلموا أنني رسول الله إليكم فيخرج إليه القوم من بيوتهم ويضربونه بالعصى والنعال ويرمونه

بالحجارة حتى يغشى عليه فيجرونه من رجليه ويلقونه في القاذورات ـ وعندما يفيق، يقوم فيمسح دمه ويصلي ركعتين لله، ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن نوحاً كان يضربه قومه ضرباً مميتاً ثم يلقونه في لبد ثم يلقونه في بيته زعماً منهم أنه قد مات فإذا هو يخرج عليهم فيدعوهم إلى وحدانية الله ـ وهكذا قضى نوح حياته قبل الطوفان جهاداً لله ولدينه فكلما دعاهم إلى عبادة الله وتنزيهه رموه بالحجارة وضربوه وعذبوه ـ لم يرتضوه نبياً وارتضوا أصنامهم آلهة فعجباً لهم لم يرضوا للنبوة ببشر ورضوا للألوهية بحجر!!.

الشكوى إلى الله: وعندما ضاق بهم وضاقوا به قالوا: **﴿يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾** فرد عليهم نوح **﴿إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين﴾** ودعا نوح ربه قال: **﴿رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً. ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إنني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً ـ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾** ـ قال نوح: **﴿رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده، إلا خساراً ومكروا مكراً كباراً ـ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾**.

دعاء نوح على قومه: لما يئس نوح من هداية قومه وكان الله يعلم أنه لم يبقَ في أصلاب رجالهم ولا في بطون نسائهم مؤمن يجيب دعوته، أوحى إلى نوح أنه لن

يؤمن من قومك إلا من قد آمن فتوجه نوح إلى ربه بالدعاء عليهم قائلاً : **﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾** .

استجابة دعاء نوح: أجاب الله دعاء نوح وأمره بأن يصنع الفلك فقال تعالى: **﴿وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾** قال نوح: **يا رب وما الفلك؟** قال: **بيت من الخشب يجري على وجه الماء أحفظ فيه أهل الطاعة وأغرق بدونه أهل المعصية وأريح أرضي منهم** ـ قال نوح: **يا رب أين الماء؟** قال: **يا نوح: إني على ما أشاء قدير. . .** قال نوح: **وكيف السفينة؟** فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن يعلمه كيف يصنع السفينة **ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾** .

الطوفان والعقاب: وعندما تم صنع السفنة أوحى الله إلى نوح أنه إذا فار التنور (وهو الفرن الذي يخبز نوح فيه الخبز) وهو علامة الطوفان فاركب السفينة أنت والذين آمنوا معك **﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾** وفي يوم الجمعة الموافق ١٠ رجب جاء وعد الله وفار التنور بالماء فعلم نوح بذلك. فقال سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ـ وكان قد جهز ما يحتاج إليه في السفينة. . . ولما رأى بوادر الطوفان نادى بأعلى صوته يا قوم النجاة. . . فحضر من آمن معه وكان عددهم أربعين رجلاً وامرأة وقيل أربعون رجلاً وأربعون امرأة ثم أدخل في السفينة من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين وأهله إلا زوجته ـ فلما استووا على ظهر السفينة انفجرت عيون الأرض وهطلت أمطار السماء وقال: **﴿اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾** فحملت المياه السفينة وسارت بإذن الله ما شاء لها أن تسير ومكثت فوق الماء ما شاء لها أن تمكث ثم استوت على الجودي وهو جبل في نواحي دبار بكر من بلاد الجزيرة فهلك ما على وجه الأرض من إنسان وحيوان

وطير ووحش ولم يبق إلا نوح ومن معه في السفينة عندئذ قيل: **﴿يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾** .

وقال ابن عباس ـ لما ركب نوح السفينة وأدخل معه كل من آمن معه كان ذلك في شهر رجب فلما دخلها وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الأرض وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى: **﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض﴾** فالتقى الماء على أمر قد قدر يعني التقى ماء السماء وماء الأرض حتى كثر واشتد **﴿ثم حملناه على ذات ألواح ودسر﴾** أي احتمل الماء السفينة بأمرنا .

كنعان بن نوح:

ركب مع نوح في السفينة أولاده الثلاثة سام وحام ويافث، وتخلف عنهم ولده كنعان فلم يركب معهم فخاف عليه أبوه نوح من الهلاك فناداه وكان في معزل عنه: **﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾** فأبى كنعان تلبية نداء أبيه لأنه كان لا يصدقه ولا يثق في قوله وقال: **﴿سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾** قال: **﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾** .

شفاعة نوح لابنه كنعان: استشفع نوح ربه في ابنه فقال **﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾** فرد الله عليه **﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾** قال: **﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾** .

باسم الله مجراها ومرساها:

قال الضحاك كان نوح عليه السلام إذا أراد أن تسير السفينة وتجري قال باسم الله مجراها فتسير وتجري وإذا أراد أن ترسو السفينة قال باسم الله مرساها فترسو

وذلك قوله تعالى: ﴿**باسم الله مجريها ومرساها**﴾.

الشكر لله:

ركب نوح ومن معه السفينة في يوم الجمعة الموافق ١٠ من رجب وخرج منها في اليوم العاشر من شهر المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء فكانت مدة إقامتهم على ظهر السفينة ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من السفينة سالمين صاموا هذا اليوم شكراً لله.

الشفاء من الله:

قيل إن نوحاً ومن كان معه في السفينة كانت قد أظلمت عليهم أعينهم من دوام نظرهم إلى الماء. فأمروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة - وقال ابن عباس رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ: «من اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبداً».

أخلاق نوح عليه السلام المستفادة من قصته:

١ - كان نوح عليه الصلاة والسلام من أولي العزم من الرسل وكان من أخلاقه الصبر الجميل على طول الجهاد في سبيل الله والعفو عمن أهانه وضربه من قومه مع زهده في الدنيا.

٢ - كان يقابل سفه قومه بحلمه.

فعندما دعاهم إلى عبادة الله وحده بقوله: ﴿**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**﴾ رموه بالضلال وقالوا له: ﴿**إنا لنراك في ضلال مبين**﴾ فكان رده عليهم ﴿**يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالة ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون**﴾.

٣ - لم يرد نوح عليه السلام أن يفضل قومه إلا من حيث أداء الواجب والاضطلاع بمهام الرسالة والصبر على الإيذاء والاحتمال في ذلك السبيل مما جعله

مضرب الأمثال في الخلق الطيب والسيرة المرضية وبذلك استحق أن يكون عالي الهمة كبير النفس شريف الغاية فقال لهم: **﴿أوعجبتم إن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون﴾** وذلك رداً على قولهم له: **﴿وما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذالنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾** .

٤ ـ ثم قال لهم: لا يجوز أن يسمى المؤمنون أراذل مهما كانوا فقراء وضيعين فالمؤمن غني الدين والخلق، ونسبه نسب التقوى، وطاعة الله فلا يمكن أن يقبل الله كافراً لغناه، وأن يطرد مؤمناً لفقره.

٥ ـ القصة دعوة إلى الصبر والثبات على الدعوة وعدم تسرب اليأس إلى النفس كما هي صورة صادقة لنزاهة القول ومقابلة السيئة بالحسنة واللجوء إلى الله تعالى عند الشدة.

٦ ـ قيل لنوح لما حضرته الوفاة ـ كيف وجدت الدنيا؟ قال: كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

٧ ـ كان ينصح ابنه سام فيقول له: **﴿أوصيك باثنين، وأنهاك عن اثنين، أما اللذان أنهاك عنهما فالإشراك بالله والكبر فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فإني رأيتهما يكثران الولوج إلى الله تعالى: قول لا إله إلا الله وسبحان الله: فإن قول لا إله إلا الله لو جعلت السموات السبع والأرضون السبع لخرقتها حتى تبلغ إلى ربها، ولو جعلت لا إله إلا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع وما فيها ـ وأوصيك بسبحان الله فإنها صلاة الخلق وبها يرزقون﴾** .

اخلاق هود عليه السلام

نشأ نشأة الصالحين، وكان محبّاً للخير والسلام، دمث الأخلاق وقوراً، رزيناً، رحيماً بالناس، لين الحديث والمعاملة معهم وكان يكره الشر والبغي والظلم والجريمة . . .

اتهمه قومه بالسفاهة والكذب فكان رده عليهم غاية في الأدب والإغضاء: فقال: يا قوم لبس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين وترك مماثلتهم مع علمه أنهم أضل الناس وأسفلهم، وفي ذلك من الأدب الحسن والخلق الطيب ما يتناسب مع مركز الدعوة إلى الله .

نسبه: نبي الله هود عليه السلام هو: هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وكان من قبيلة يقال لها قبيلة عاد .

قبيلة عاد: لما رست سفينة نوح على جبل الجودي وجفت الأرض من ماء الطوفان نزل المؤمنون من السفينة يسعون للرزق. فزرعوا الأرض وتزاوجوا فتناسلوا وكثر عددهم فلما ضاقت بكثرتهم الأرض التي نزلوا فيها هاجروا منها وتفرقوا جماعات. وكل جماعة اختارت لها مكاناً أقامت به وعاشت على خيراته وكانت قبيلة عاد من هذه القبائل وكان رجالهم ونساؤهم يمتازون بضخامة أجسامهم وكان عاد زعيمهم عملاقاً وضخماً طويل الجسم شديد القوة ظل يسير

بقومه وأولاده وأقاربه حتى انتهى إلى جبال الأحقاف الممتدة في جنوب بلاد العرب ما بين اليمن وخليج عمان.

مساكنهم ومعيشتهم: نزل عاد وقومه أمام جبال الأحقاف وكانت معهم إبلهم وخيولهم وأغنامهم في أرض واسعة ممتدة فيها خضرة وفيها ماء. فأعدوا لهم مكاناً ونصبوا فيها خيامهم ثم مرت أعوام وأعوام فمات عاد وبقي أولاده وقومه يتزاحمون ويتناسلون ويزرعون الأرض وينشئون الحدائق والبساتين والله يرسل عليهم السحب والأمطار تروي الزرع فكثرت الخيرات وطابت الثمرات وتوافرت عندهم الفواكه التي لم يوجد مثلها في أي مكان. فعاش قوم عاد في نعمة عظيمة وزادتهم هذه النعمة طولاً على طول وضخامة على ضخامة، فكانوا ذوي قوة وبأس شديدين. وكانوا في أول عهدهم يسكنون الخيام ثم تركوها إلى الجبال فنحتوا لهم مساكن واسعة كبيرة وأنشؤوا مصانع لتسوية الأحجار الصماء فصنعوا منها أدوات الحرب والصيد والزراعة وأدوات المنازل وغير ذلك من كل ما يحتاجون إليه في أعمالهم ومعاشهم.

عبادتهم: وبمرور الزمان نسوا عبادة الله وعبدوا الأصنام فصنعوا من الحجارة تماثيل كبيرة كانوا يسجدون لها من دون الله ويقدمون القرابين أمامها كي ترضى عنهم وتباركهم وتسقط عليهم الأمطار وتمنع عنهم السوء ومصائب الزمان وفي خبر مروي عن ابن عباس أنهم اتخذوا صنماً يقال له (الهتار) ثم بنوا مدينة كبيرة عظيمة عند سفح الجبل لم يخلق الله مثلها في البلاد سموها إرم ذات العماد وكانت شوارعها منسعة ومبادينها فسيحة وقصورها شامخة مزينة بأعمدة ضخمة ونقوش جميلة فسكنوها وعاشوا فيها يأكلون من خيرات الأرض ويتفكهون بفواكهها.

لم يقتصر قوم عاد على الخيرات التي كانت تأتيهم من واديهم فكانوا يخرجون إلى الصحراء يصبدون القوافل التجارية فينهبون التجارة ويقتلون أصحابها، وافتنوا في ذلك فعملوا طرقاً كاذبة مهدوها في الصحراء لتضليل المسافرين حتى يقعوا في فخهم فينقضوا عليهم كالوحوش الضارية والنسور الكاسرة.

هود: وكان يعيش معهم في هذه المدينة رجل منهم اسمه هود، ولكنه لم يكن مثلهم، نشأ نشأة الصالحين. وكان محباً للخير والسلام، يتألم لوحشيتهم، ويهرب من اجتماعاتهم. فإذا فرغ من عمله لجأ إلى الجبل فجلس يفكر في قومه الذين يعبدون الأصنام ويفسدون في الأرض ـ ينهبون أموال التجار، ويقتلون الأبرياء بغير حق فكان دائماً يحاول نصحهم ويسعى إلى إصلاحهم ولكنهم كانوا يسخرون منه ويهزؤون به.

كان هود من أوسطهم نسباً وأصبحهم وجها وكان في مثل أجسامهم أبيض بادي العنفقة طويل اللحية.

الوحي: ولما زاد فساد قومه وعمّ طغيانهم جميع جبال الأحقاف تجلت رحمة الله تعالى فهبط على هود نور من السماء وسمع هاتفاً ما سمع مثل صوته في زمانه في صوته قوة ورقة وحنان.

إنه صوت الروح الأمين جبريل عليه السلام **يا هود، إن الله قد اختارك نبياً وبعثك رسولاً إلى قومك العتاة الظالمين. فاذهب إليهم ومرهم أن يعبدوا الله وحده لا شريك له. ويبتعدوا عن أعمال التوحش والإجرام. فلا ينهبون ولا يقتلون فإن تولوا عنك وخالفوا أوامرك فأنذرهم بعذاب عظيم** سكت الصوت ورفعت الأنوار.

أخذ هود بما رأى وسمع، وسرت في جسمه رعشة خفيفة، وظل قائماً في مكانه ينظر إلى السماء مدة، ثم بدأ يفيق من ذهوله ويسترد نشاطه ففكر فيما ألم به. وعلم أنه رسول الله. وإن عليه واجباً يجب أن يؤديه. ففكر وقدر ثم هبط إلى قومه ليؤدي الأمانة في ثبات وعزم وإيمان.

دعوة هود: دعا هود قومه إلى عبادة الله وأمرهم أن يوحدوه وأن يكفوا عن ظلم الناس. قال: ﴿**يا قوم إني لكم رسول أمين يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون**﴾ قال الملأ الذين كفروا من قومه: ﴿**إنا لنراك في**

سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ قال: **﴿يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم إن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم، واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾** قالوا: **﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾**

دعاء هود على قومه: راجعهم هود في أمر دعوته وأشهدهم أنه بريء من آلهتهم التي يزعمون لها القدرة. وظل يدعوهم إلى عبادة الله ويخوفهم غضبه وبطشه فآمن به قلة من الناس وكذب به كثرة من قومه ولما يئس من إيمانهم دعا عليهم وطلب من ربه أن يأخذهم بعذابه فاستجاب الله دعاءه.

العذاب:

١ ـ **القحط:** بدأهم الله بعذاب القحط فحبس عنهم المطر وشدد عليهم الحر والضر فقحطوا وقحطت زراعتهم ومواشيهم ولم يجدوا زاداً ولا ماء ولا هواء وجفت أرضهم ودبارهم وألسنتهم من الخيرات فذهبوا إلى آلهتهم يستسقون فلم يجدوا ماء فيرجعون خائبين خائري القوى. وكلما مروا بهود ومن آمن معه وجدوهم في أمن وهدوء كأن لم يصبهم شيء من هذا القحط وذاك البلاء. فأقبلوا على هود فقالوا له ما قولك فيما أصابنا قال: **قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ها أنتم تذهبون كل يوم إلى آلهتكم فلا تستطيع رفع الضر عنكم. فاتقوا الله يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم فإن لم تؤمنوا به فسوف يعجل بنهايتكم ما من دابة في الأرض إلا هو آخذ بناصيتها.** ثم وبخهم قائلاً: **﴿أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان﴾** فانصرفوا عنه مكذبين فقال لهم: **﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾**.

٢ ـ **الريح العقيم:** وحينئذٍ نزل جبريل عليه السلام فأمر هود أن يجمع المؤمنين من قومه ويذهبوا إلى مكان في الناحية الأخرى من سفح الجبل ويأخذوا

معهم من الماء والطعام ما يكفيهم ثمانية أيام فخرج هود وأتباعه من المدينة إلى الجبل.

أمـا قومه فأرسل الله عليهم الريح العقيم ـ ريحاً صرصراً وإعصاراً مدمراً هب عليهم هبوباً عنيفاً لمدة سبع ليال وثمانية أيام متتابعة فاقتلع الأشجار وهدم القصور وردم الشوارع والميادين وحملت الرياح قوم هود الذين لم يؤمنون بدعوته وطيرتهم في الهواء وكانوا يسقطون على رؤوسهم فتدق أعناقهم وإذا هم قد غرسوا في الرمال كأنهم أعجاز نخل خاوية.

وقصة الريح العقيم في قوله تعالى في سورة الذاريات: **﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾** وفي سورة القمر: **﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر، إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر. فكيف كان عذابي ونذر﴾** وفي سورة الحاقة: **﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية﴾** ؟.

أما هود والذين آمنوا معه فقد لجؤوا إلى كهف في الجبال فحماهم الله من هذه الريح الصرصر التي سلطها على الكافرين سبع ليال وثمانية أيام حسوماً متتابعة. فظلوا في مكانهم آمنين حتى هدأت العاصفة فخرجوا يتفقدون أحوال قومهم فإذا أرم ذات العماد أطـلال خراب وإذا المزارع والبساتين أرض يباب ولم يبق من آثار قوم عاد إلا تلك البيوت التي نحتوها في الجبال تشهد بظلمهم وسوء عاقبتهم ـ قال تعالى: **﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾**

اتجه هود بمن آمن معه إلى حضرموت فعاشوا فيها يعبدون ربهم ما بقي من حياتهم.

موت هود: أرسل هود عليه السلام وكان عمره أربعين عاماً ومات وعمره

مائة وخمسون عاماً ودفن بحضر موت بأرض اليمن.

وروى أبو الطفيل عامر بن واثلة ـ أن رجلاً أتى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له من أي أرض أنت؟ ـ قال من حضر موت بأرض اليمن فقال له: أعندك خبر عن قبر نبي الله هود؟ فقال نعم: خرجت في أيام شبابي ومعي جماعة من أصحابي فسرنا حتى أتينا إلى جبل عالٍ وفيه مغارة وفيها ثقب ضيق فسرنا حتى أفضى بنا إلى مكان وإذا بسرير من ذهب وعليه رجل ميت وعليه أكفان بالية فلمست بدنه فإذا هو لم يبل ولم تتغير هيئته فتأملته فإذا هو رجل واسع العينين مقرون الحاجبين أسيل الخدين مكتوب في لوح كان تحت رأسه: هذا هو نبي الله هود عليه السلام بعث إلى قوم هود فكذبوه فأخذهم الله بالريح العقيم ولم يبق منهم أحد.

وفي رواية أخرى عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبياً. وإن قبر هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة.

وفي رواية أخرى، كان النبي من الأنبياء إذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتي مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا.

من أخلاق هود عليه السلام المستنبطة من القصة

١ ـ كان يكره الشر والجريمة ويحب الخير والسلام.

٢ ـ كان لا يقابل الشر بمثله فعندما اتهمه قومه بالسفاهة والكذب كان رده عليهم غاية في الأدب والإغضاء فقال: ﴿**يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين**﴾ وترك مقابلتهم بالمثل مع علمه أنهم أضل الناس وأسفههم وفي ذلك من الأدب الحسن والخلق العظيم ما يتناسب مع مركز الدعوة إلى الله.

٣ ـ كان رحيماً بالناس . ليناً معهم في الحديث والمعاملة فكان يقول لقومه: **إن بطشكم بالناس كبطش الجبارين فاتقوا الله وأطيعوه** فكانوا يقولون له: **إن خلقنا هذا هو خلق آبائنا الأولين وما نحن بمعذبين.**

٤ ـ كان دمث الأخلاق وقوراً رزيناً يزن الكلام قبل إلقائه .

٥ ـ كان يتحدث دائماً بأنعم الله عليه ويتلطف مع الناس في تذكيرهم بنعم الله عليهم .

٦ ـ كان لطيفاً في إسداء النصح .

٧ ـ كان واسع الصدر حليماً مع الناس .

اخلاق صالح عليه السلام

« كان صالح عليه السلام مأمول الخير عند قومه تلوح فيه مخايل الرشد ويعرف فيه لين الجانب وحسن الخلق وأمانة النصيحة ».

كانت العبودية للشهوة والهوى لدى قوم صالح، أعدب من الحزم والعزم وكان الضمير يجد نفسه أخرس أمام تلك الأنفس الوضيعة ـ فجاء صالح النبي علبه السلام يقول لهم: ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ (٧٤) سورة الأعراف.

قبيلة ثمود:

لما أهلك الله قبيلة عاد بالريح العقيم التي سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً لعنادها وفسادها، استخلف الله في الأرض قبيلة ثمود فعمرت الأرض واتخذت مساكنها بالحجر، وموقعها بين الحجاز والشام وكانت بيوتهم مجوفة بالنحت في الجبال. ويقول أهل حضر موت، إن ديار ثمود من مستعمرات عاد مستدلين على ذلك بقول صالح عليه السلام لقومه قبيلة ثمود: ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتاً**﴾ وكانت قبيلة ثمود في بحبوحة من العيش وسعة من الرزق فكانوا أهل خصب ورفاعة حال. وكان لهم الكثير من الماشية والوفير من البساتين والجنات والعديد من العيون والآبار التي يستقون منها هم وماشيتهم وزروعهم

بدليل قول نبيهم صالح عليه السلام لهم: ﴿**أتتركون فيما ها هنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين**﴾ ؟ .

ديانتهم:

كانت قبيلة ثمود تعبد الله أولاً ثم طغت وأفسدت في الأرض وخالفت أمر الله وعبدت غيره واتخذت من الأصنام آلهة يعبدونها مع عبادة الله يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**﴾ .

إرسال النبي صالح:

ولما زاد فسادهم وأصبحوا غير جديرين بعمارة الأرض إلا بالهداية والصلاح وعبادة الله وحده وطاعته، بعث الله سبحانه وتعالى إليهم هداية لهم رجلاً منهم أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً هو صالح نبي الله ورسوله وكان عمره أربعين عاماً .

نسبه:

هو صالح بن عبيد بن أسف بن شامخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود عميد قبيلة ثمود .

دعوته لهم:

دعاهم إلى عبادة الله وحده ومحضهم نصيحته وذكرهم بنعم الله عليهم وحذرهم من عذاب الله وبصرهم بما حدث لقوم نوح من الموت بالطوفان ولقوم عاد من الموت بالريح العقيم حينما رفضوا الدعوة إلى الله عن طريق أنبيائهم وأصروا على عبادة الأصنام تناقش القوم في أمره فتبعه ناس وأنكره آخرون ـ فقال المنكرون من قومه: ﴿**أو نزل عليه الذكر من بيننا ؟**﴾ حقد منهم وحسداً . **أين نحن إذاً؟ إن النبوة تميزه علينا وتمنحه السيادة والكبرياء فيسوسنا وهو أقل منا** . . . وقال المؤمنون منهم: ﴿**أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ـ قالوا: إنا بما**

أرسل به مؤمنون﴾ فأجاب الذين أنكروا استكباراً: **﴿إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾** .

وفي عد القوم ذهب صالح إليهم وهم محتفلون بملكهم فتقدم إليه وقال له أيها الملك إني أدعوك وقومك إلى عبادة الله وتوحيده ثم توجه إلى الناس وقال: **﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾** قالوا: **﴿يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾** . قال: **﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي، وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير﴾** .

تحدي ثمود بطلب المعجزة:

قالوا له: **إن كنت صادقاً في نبوتك علينا، ورسالتك إلينا ودعوتك لنا فأرنا آية تكون مصدقة لما تقول** فقال لهم: **وأي آية تريدون؟** قالوا: **تخرج لنا من الصخرة هذه** (وهي صخرة منفردة عن الجبل في ناحية الحجر تسمى بصخرة الكاتبة) **ناقة ذات ألوان أحمر وأخضر وأصفر** فقال صالح: **﴿إن ربي على كل شيء قدير﴾** ثم قام فصلى ركعتين لله ورفع يديه إلى السماء ودعا الله تعالى أن يريهم هذه الآية التي طلبوها ليعتبروا بها فاضطربت الصخرة وتمخضت وأنت مثل أنين الحامل ثم تحركت الهضبة فخرجت من الصخرة ناقة على الصفة التي أرادوها يتبعها فصيلها وهي تنادي لا إلّه إلا الله صالح رسول الله ـ قال ابن عباس كان طول الناقة سبعمائة ذراع وكان لها سبعة آلاف حمل من العشب فلما نظر الملك إليها قام من ساعته وقال أشهد أن لا إلّه إلا الله وأن صالحاً رسول الله .

الناقة المعجزة:

آمن الملك مع جماعة كبيرة بالمعجزة وجحدها الحاقدون والمعاندون والمستكبرون والكارهون فقال صالح: **﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾** قالوا: وما شربها؟

(يسألون عن الماء لأنه عندهم قليل وعزيز) قال لهم إن الماء قسمة بينكم وبينها. لها يوم تشرب فيه ولا تشربون، ولكم يوم تشربون فيه ولا تشرب هي **﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾** قالوا: ولماذا؟ قال إن الله خلقها على خلاف سنته في خلق الإبل كمعجزة وآية لكم فلم يخلق في الإبل ناقة تختص بالشرب يوماً وأهل الماء يوماً آخر وهي ستعطيكم من اللبن بقدر ما تأخذ منكم من ماء فستمنحون يوماً لبناً ويوماً ماء وآية الله في الناقة ألا يتعرض أحد منكم بسوء لها في نفسها ولا في أكلها ولا في شربها ولا سيما في الماء الذي هو قسمة بينكم وبينها إنها فتنتكم التي ستفتنون بها والامتحان الذي ستمتحنون به. فإن فتنتم وسقطتم في الامتحان ومسستموها بسوء أخذكم الله بعذابه القريب. أطلق سراح الناقة فسارت وفصيلها وراءها في الجبال والأودية ترعى وتأكل من خيرات الأرض فكان القوم يخرجون بالأواني ويضعونها تحت ثديها حتى تمتلئ الأواني فكانت كل دار تحلب لبناً يعوضها عن الماء الذي تشربه الناقة منهم.

عقر الناقة:

اشتد حقد الحاقدين على النبي صالح لعلو شأنه بين الناس وظهور نبوته الناجحة الواضحة وزاد استكبارهم عليه وخروجهم على نبوته ودينه حسداً منهم فعقروا الناقة وذبحوها وسلخوها غيظاً وتهزيئاً له وتحقيراً لنبوته ورسالته ـ وشاع الخبر في المدينة فجاء الناس إلى مذبحها وصاروا يقطعون من لحمها فلم يبقَ بيت إلا دخله من ذلك اللحم وصاروا يأكلون ويضحكون.

العذاب:

لما أتى صالح وكان غائباً أخبروه بعقر الناقة وكان يوم الأربعاء ثامن عشر من شهر صفر فقال للقوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام سترون فيها عقاباً مختلفاً ألوانه ثم يأتيكم بعد ذلك أمر الله وهو الهلاك بالطاغية فسألوه تهكماً عن وقت العذاب وعلامته فقال: إنكم ستصبحون غرة مؤنس (أي يوم الخميس) وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة (أي يوم الجمعة) ووجوهكم محمرة ثم تصبحون

يوم شبار (أي يوم السبت) ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الأول (أي يوم الأحد) فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالكركم صغيرهم وكبيرهم ذكورهم وإناثهم فأيقنوا بالعـذاب وعـرفـوا أن صـالحاً قـد أصدقهم فطلبوه ليقتلوه.ولكنهم لم يجدوه لأنه كان مختفياً في منزل بالمدينة فلما أصبحوا يوم الجمعة فإذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضحكوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم لا محالة فلما أصبحوا يوم السبت فإذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار وصاحوا جميعاً قد حضرنا الموت.

ولما أصبح قوم ثمود في يوم الأحد تحنطوا بحنوط الموت وتكفنوا ثم ألقوا بأنفسهم بالأرض استعداداً للموت ثم أخذوا يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة ولا يدرون من أين يأتيهم العذاب.

فلما اشتد الضحى من يوم الأحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة فسقطت قلوبهم من صدورهم وماتوا جميعاً - ولم يبقَ منهم صغير ولا كبير إلا هلك كما قال عز وجل: ﴿**وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعداً لثمود**﴾ ٦٨ سورة هود.

نجاة صالح:

أما صالح عليه السلام فقد نجاه الله ومن معه من المؤمنين فقد أوحى إليه في ليلة الأحد وقبل حدوث الصيحة أن يخرج من بين القوم هو ومن آمن معه إلى نحو الشام فخرجوا متسللين إلى فلسطين فنجاه الله ومن معه كما قال عز وجل: ﴿**فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا**﴾ ومن فلسطين توجه صالح ومن معه إلى مكة.

بكاء صالح على الناقة:

وصل النبي صالح ومن معه إلى مكة وأقاموا فيها بقية حياتهم يعبدون الله ليلاً

ونهاراً وكان صالح يبكي على الناقة بكاء كثيراً فبشره جبريل عليه السلام أن الله سيبعثها يوم القيامة وسيكون صالح راكباً عليها .

موت صالح:

أرسل صالح عليه السلام إلى قومه وسنه أربعون سنة وتوفي بمكة عن ثمانٍ وخمسين سنة فكانت مدة رسالته إلى قومه ثمانية عشر عاماً .

من أخلاق صالح عليه السلام المستفادة من القصة:

من قراءة القصة يتبين لنا كثيراً من مكارم أخلاق سيدنا صالح عليه السلام:

١ ـ ففي القصة العبرة والموعظة ببيان سنن الله الكونية في خلقه .

٢ ـ وفيها أمانته في النصيحة إذ كانت العبودية للشهوة والهوى لدى قومه أعذب من الحزم والعزم وكـان الضمير يجد نفسه أخـرس أمـام تلـك الأنفس الوضيعة فنصحهم صالح بقوله: ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾ .

٣ ـ وفيها أن دعوته للخير ليست للجاه والسيطرة أو الكسب وإنما هي لله وللخير .

٤ ـ كان صالح عليه السلام مأمول الخير عند قومه تلوح فيه مخايل الرشد ويعرف عنه لين الجانب وحسن الخلق فقالوا له: ﴿**يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا**﴾ أخذوا ينكرون عليه نهيهم عن عبادة الأوثان فقالوا: ﴿**أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب**﴾ ثم استحبوا العمى على الهدى .

٥ ـ وفيها أن بكاءه على عقر الناقة هو كان مجرد عبادة الله، وخوفاً على قومه من عذاب الله فالناقة آية الله إلى قومه وعقر الناقة مخالفة لأمر الله .

اخلاق ابراهيم عليه السلام

كان سيدنا إبراهيم عليه السلام حليماً أوّاها، رقيق القلب، عطوفاً، رؤوفاً باراً بوالده مع قسوته عليه، وأنه كلما باعد والده بينه وبينه تلطف هو في التودد والمقاربة وترفق في دعوته وهدايته وتحذيره فقال له: سأستغفر لك ربي، وكان سيدنا إبراهيم خليل الرحمن وأبو الأنبياء كريماً مضيافاً، منيباً إلى الله، شاكراً لأنعمه، وكان مستجاب الدعوة. فدعا الله أن يبعث من ذريته رسولاً في أمة العرب يتلو عليهم آياته ودلائل قدرته وعلمه وحكمته، فاستجاب الله دعوته فأرسل محمد ﷺ كما ورد في الحديث الشريف «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى ورؤيا أمي آمنة» إنه كان معلماً للخير؛ وكان جماع خير أمة، وكان حنيفاً مسلماً وفياً ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

أبو الأنبياء:

إبراهيم عليه السلام، هو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالخ بن ارفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام

مولده:

ولد إبراهيم عليه السلام بعد الطوفان بألف ومائتين وثلاث وستين سنة ١٢٦٣

سنة أو بعد خلق العالم بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة (الثعلبي ـ قصص الأنبياء).

إعادة تقسيم الأرض:

قال الكسائي: لما استقر نوح في الأرض بعد الطوفان قسم الجهات والبلاد بين أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث فأعطى لسام الجهة الغربية فكان من نسله الروم والفرس والغرب وكان كبير أولاده، وكان يرى في وجهه نور النبوة فأضاف إليه الحجاز والعراق واليمن والشام ـ وأعطى لحام الناحية القبلية مع الجنوب فكان من نسله الزنوج والحبشة ـ وأما يافث فقد أعطاه الناحية الشرقية فكان من نسله الترك ويأجوج ومأجوج بنو عم الترك.

وروى الحسن عن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال:

« ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السود ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج ».

الأمة الجديدة:

لما عمرت الأرض من جديد تكونت الأسر والجماعات وتفرقت في أنحاء الأرض قبائل وشعوباً وبمرور السنين والأجيال نسي الناس ربهم الذي خلقهم ونجاهم وأحسن إليهم وهداهم وعادوا إلى عبادة الأصنام فطغوا وبغوا ـ ولما زاد فسادهم وضلالهم وكفرهم أرسل الله إليهم نوره من جديد ـ فأرسل إلى قوم عاد نبيه هودا ولم يؤمن به إلا نفر قليل فسخر الله على الكافرين ريحاً شديدة أهلكتهم، وأرسل إلى قوم ثمود نبيه صالحاً ولكنهم عصوه فعذبهم وأهلكهم بالصواعق.

قوم إبراهيم:

وكانوا ممن طغوا في الأرض وبغوا، وأقاموا الأصنام وعبدوها: قوم إبراهيم

عليه السلام وهم جماعات وقبائل سكنت بلاد الأهواز وفارس والعراق وما حولها وكانت عاصمتهم بلدة (فذان أرام) بالعراق وكان عليهم ملك جبار عنيد اسمه النمروذ فكان النمروذ أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض ودعا الناس إلى عبادته والسجود له وللأصنام وكان له منجمون وكهان وسحرة يجتمع بهم ليعرفوه ما يقع في ملكه من الأحداث في مستقبل الأيام لتطمئن نفسه على سيطرته على أوسع رقعة في الأرض. فقد كان النمروذ أحد الأربعة الذين ملكوا العالم فقد قال النبي ﷺ : « ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ وبختنصر » .

رؤيا النمروذ بولادة إبراهيم عليه السلام:

رأى النمروذ في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ـ ففزع من ذلك فزعاً شديداً ودعا الكهنة والسحرة والفاقه وهم الذين يخطون في الأرض وسألهم عن ذلك فقالوا رؤياك تنبيء بأنه سيولد في ناحيتك هذه السنة مولود ذكر يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه. فصاح الملك متوعداً ويل له سوف لا أدعه يرى النور ـ ثم أمر بجمع النساء الحوامل في المدينة وإيداعهن في مكان أعده لهن ـ فكانت كل من تلد منهن ولداً يؤخذ منها ويقتل لساعته. كما أمر بعزل الرجال عن النساء ولكن القدر كان أقوى منه .

تحقق الرؤيا:

لقد كان يقيم في هذه المدينة رجل اسمه تارح بن ناحور ويغلب عليه اسم آزر وصناعته التجارة وصناعة التماثيل والأصنام التي كان يعبدها قومه وكان من نساء هذا الرجل فتاة صغيرة اسمها عوشاء لا يظن من يراها أنها بلغت مبلغ النساء فحينما طاف أعوان الملك يجمعون النساء تركوها لصغرها ولأنهم لم يشاهدوا عليها حملاً ويقول الكسائي ص ١١٥ ـ ١٢٠ أن أعوان الملك زاروا أم إبراهيم

للكشف عليها قبل أن يأتيها المخاض وجسوا جانبها الأيمن فاختفى الجنين في الجانب الأيسر وجسوا الأيسر فاختفى الجنين في الجانب الأيمن فانصرفوا دون أن يظفروا بطائل. ولما أثقلت أم إبراهيم بالحمل وجاءها المخاض خرجت سراً إلى مغارة بداخل جبل خارج المدينة فولدت إبراهيم عليه السلام فوجدته أحسن الناس وجهاً والنور يلمع في جبينه فأصلحت من شأن مولودها ثم تركته في المغارة وقد سدتها بصخرة كبيرة خوفاً عليه من الوحوش ورجعت إلى بيتها ـ وعندما رجعت إليه بعد سبعة أيام وجدته يشرب من إبهامه لبناً ومن أصابعه عسلاً وزبداً فتركته ومضت وصارت تتردد عليه سنة كاملة وهو في المغارة وكان يشب في كل شهر كما يشب الطفل كل سنة ولما خرج من المغارة كان يقاس بابن اثني عشر عاماً.

ولما سأل آزر أم إبراهيم عن حملها قالت له ولدت غلاماً جميلاً وافر النمو في وجهه نور يلمع فسر كثيراً وفرح به فرحاً شديداً وسماه إبراهيم.

خروج إبراهيم إلى الحياة:

لما شب إبراهيم عليه السلام في المغارة آتاه الله الرشد، وأنار بصيرته فقد قال تعالى في سورة الأنبياء: **﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين﴾** فسأل أمه حين زيارتها له في المغارة ـ يا أماه ـ من ربي؟ قالت: أنا. قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك؟ قال: فمن رب أبي؟ قالت: نمرود ـ قال: فمن رب نمروذ؟ قالت له: أسكت. فقال لا إله إلا الله ربي ورب كل شيء فبكت أمه خوفاً عليه ـ ثم رجعت إلى زوجها فقالت: أرأيت الغلام الذي يحدث عنه أنه سيغير دين أهل الأرض فإنه ابنك ـ ثم أخبرته بما قال لها فانطلق أبوه فدخل المغارة فوجده فتى جميلاً وضاء الجبين فسلم عليه وقبله وعرفه أنه أبوه فقال عليه السلام: يا أبتاه من ربي؟ قال: أمك قال: ومن رب أمي؟ قال: أنا ـ قال: ومن ربك؟ قال: نمروذ. قال: ومن رب نمروذ؟ فلطمه وقال له: اسكت. فقال ابراهيم عليه السلام ـ

أخرجاني إلى الحياة ولا تخافا علي فأنـا في حفـظ . . . فمـن حفظتي صغيراً يحفظني كبيراً فأخرجاه وذهبا به إلى بيتهما .

ظهور إبراهيم:

عندما ذهب إبراهيم إلى البيت وكان الوقت أصيلاً رأى الشمس قد مالت إلى الغروب ورأى الإبل والبقر والغنم والخيل يراح بها ونظر من فوق إلى ما أمامه من مناظر جميلة تمتد حتى امتداد الأفق ملكه العجب وبدأ يفكر ويسأل نفسه ثم يسأل أمه ما هذه الأشياء الجميلة؟ ولمن هي؟ ومن صنعها؟ قالت أمـه: هـذه إبـل وغنم وبقر وخيل وشمس وزرع وبيوت هي كلها لنا وقد أوجدت لخدمتنا ومتاعنا. فقال إبراهيم: إن هذه المخلوقات لا بد لها من خالق فالخلق يدل على خالقه والصنعة تدل على صانعها ثم نظر وتفكر في خلق السموات والأرض فقال: سبحان خالق هذه الأشياء العظيمة إن الذي خلقها في جمالها وعظمتها هو حتماً الذي خلقني على هذه الصورة الجميلة وهو الذي خلق هذه المخلوقات كلها.

قضى إبراهيم ليلته إلى جانب أمه لا يغمض له جفن يستعرض ما رأى ويفكر فيما صنع.

إبراهيم يناقش نفسه ويعمل تجربة لمعرفة إلهة:

ترك إبراهيم أمه وأخذ يسأل نفسه من جديد وفجأة رفع رأسه فوجد نجماً يلمـع وسط حلكة الظلام فقال: لا بد أن يكون هذا ربي فظل يرقبه فلما غاب النجم وغرب نكس الرأس وقال لا . . . ليس هذا رباً فالرب لا يأفل ولا يغيب ثم رأى القمر بنوره وجماله يتلألأ فقال هذا ربي ـ فلما غاب القمر عن نظره قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين.

انقضى الليل على إبراهيم وهو لا يزال يتخبط مع تخيلاته حتى طلعت الشمس بنورها الساطع وأشعتها المتوهجة ـ فصاح إبراهيم ـ هذا ربي هذا أكبر وظل

طول يومه يراقبها فلما غابت وغربت آخر النهار ولى وجهه شطر قوم أبيه وقال يا قوم إني بريء مما تشركون.

إبراهيم يناقش أباه وقومه:

ثم توجه إبراهيم إلى أبيه فوجده منهوكاً في صنع تماثيل الأصنام التي يعبدها وقومه ورأى إلى جانب أبيه بعضاً من قومه يسجدون لهذه الأصنام ويقدمون لها القرابين فقال إبراهيم لأبيه وقومه مستخفاً بالأصنام التي يعظمونها ويعكفون على عبادتها ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ـ قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين ـ قال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ـ قالوا: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ـ قال: بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين.

ظهور الدعوة ونضاله النمروذ:

فشت دعوة إبراهيم في الناس فعلم النمروذ ملك البلاد فدعاه إلى مجلس من كبراء قومه وعظماء جنوده وقال له يا إبراهيم:

ـ من ربك الذي تدعو له؟

ـ قال ربي الذي يحيي ويميت.

ـ قال النمروذ: أنا أحيي وأميت.

ـ قال إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟

ـ قال النمروذ ـ آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فأقتل أحدهما فأكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته.

ـ قال إبراهيم: إن ربي يأتي بالشمس من المشرق، فاتِ بها من المغرب؟

ـ عجز النمروذ عن الجواب وبهت فلزمته الحجة. فالتفت إلى آزر وقال له:

يا آزر ولدك هذا صغير ولا يدري ما يقول ولا يجوز لمثلي في قدري وعظم ملكي أن أعجل به فخذه إليك وأحسن إليه وحذره بأسي عسى أن يرجع عما هو عليه فأخذه أبوه وصار يلاطفه تارة ويحذره تارة ثانية ويخيفه تارة أخرى وإبراهيم ثابت على رأيه لا يحيد عن عقيدته ويقول لأبيه: **﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ـ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً ـ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً﴾** فينصرف أبوه عنه غاضباً ويهدده ويتوعده بالضرب والرجم إذا أصر على ما هو عليه ويقول له: **﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً﴾**. قال ابراهيم لأبيه: **﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا، واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾**.

تكسير الأصنام:

بلغ إبراهيم من العمر ستة عشر عاما وخالط الناس وتعرف عليهم حينما كان يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده وينهاهم عن عبادة الأوثان والأصنام وكان للناس في كل سنة عيد قومي يخرجون إليه ويجتمعون فيه فكانوا إذا رجعوا من عيدهم ودخلوا على الأصنام سجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم.

فلما جاء يوم العيد اصطحب آزر ابنه إبراهيم للذهاب إلى مكان العيد ليشاهد فيه بيت الآلهة لعله يهتدي إلى ديانتهم ويترك دينه ـ فخرج إبراهيم مع أبيه على مضض وهو يود لو يمكنه الله فينتقم من قومه ومن آلهتهم ـ سار إبراهيم وسط الناس وفجأة انتحى ناحية من الطريق وألقى نفسه على الأرض وقال آه إني سقيم أشتكي رجلي ولا أستطيع السير أبداً فتركوه وتولوا عنه فلما مضوا قال في نفسه: **﴿تالله لأكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين﴾** أي أقسم بالله لأدبرن تدبيراً أكسر به أصنامكم بعد أن تبتعدوا عنها لبظهر لكم ضلال ما أنتم عليه ـ ثم رجع إبراهيم من الطريق إلى بيت الآلهة فإذا هو ببهو عظيم يتصدره صنم كبير ذو رأس ضخم وعلى جانبيه صنعت أصنام

صغيرة الحجم تدريجياً حتى تنتهي إلى باب المعبد في دائرة واسعة وأمام هذه الأصنام وضع القوم طعامهم لتباركه الآلهة .

ونظر إبراهيم إلى الأصنام ثم إلى الطعام فلم يملك نفسه حتى قال لها وهو يضحك ساخراً منها مستهزئاً بها ألا تأكلون ؟ فلما لم يسمع منها جواباً لقوله ، عاد فقال: ما لكم لا تنطقون؟ ثم دار بعينيه في المكان فرأى فأساً من حديد ، سرعان ما أخذها بيمينه وانقض على الأصنام ذات اليمين وذات الشمال ينزل عليها ضرباً وتكسيراً حتى أتى عليها جميعاً حطمها وجعلها قطعاً إلا الصنم الكبير تركه ليرجعوا إليه ويسألوه عما وقع لآلهتهم فلا يجيبهم فيظهر لهم بطلان عبادتهم .وذهب إلى الصنم الكبير هذا ، وعلق الفأس في عنقه وترك المكان وانصرف وذلك قول الله تعالى: ﴿**فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون**﴾ .

فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت الآلهة ليسجدوا لها وليأخذوا طعامهم ـ ويأكلوه بعد أن باركته الآلهة ـ رأوا آلهتهم المحطمة فوقفوا في أمكنتهم مدهوشين مبهوتين ـ قالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ـ قال: بعضهم سمعنا فتى يذكرهم بالسوء ويتوعدهم بالشر يقال له إبراهيم هو الذي نظنه صنع هذا بآلهتنا لأنه كان دائم الهزء بها وكثيراً ما سبها ولعنها وكفر بها ودعانا إلى الانصراف عنها ثم انطلقوا جميعاً إلى ملكهم ينبئونه النبأ الخطير واستمع الملك ومن معه إلى ما يقولون عن جريمة إبراهيم واتهامهم له بكسر الأصنام ـ فقال الملك وأشراف قومه: ﴿فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾ عقابه .

المحاكمة:

توجه الملك وأرباب دولته إلى مقر الآلهة وعاينوا ما حل بها وجيء بإبراهيم فسألوه: ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟﴾ فقال وقد أشار إلى الصنم الكبير: ﴿**بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**﴾ إنه غضب من أن تعبدوا معه هذه الأصنام الصغيرة وهو أكبر منها فكسرهن . . . ألا تصدقون؟ .

تشاور القوم بعضهم مع بعض، منهم من قالوا: إنه لعلى حق ومنهم من قالوا ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ فكيف تطلب منا أن نسألهم؟ فقال لهم ـ إذا كان هذا حالهم من العجز ويكون هذا حالكم معهم: **﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾** فلما لزمتهم الحجة عجزوا عن الجواب فتداولوا في شأنه فأجمعوا على حرقه حياً وقالوا: ﴿احرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾.

المحرقة:

أمر النمروذ بسجن إبراهيم عليه السلام حتى يجمع له الحطب الذي سيحرق فيه وتنافس القوم في جمع الحطب والخشب وخرج في سبيل ذلك الرجال والنساء والأطفال حتى أن المرأة كانت تنذر قائلة لو تحقق لي كذا وكذا لأحطبن في نار إبراهيم، تفعل ذلك تقرباً منها إلى آلهتها التي سيحرق إبراهيم احتساباً من أجلها ـ جمعوا الحطب والخشب من الجبال على ظهور البغال وعلى أكتاف الرجال ورؤوس النساء طيلة شهر كامل. فلما تجمع ما أراد وأقيمت المحرقة لإبراهيم على ساحة كبيرة من الأرض الفضاء خارج المدينة وأوقدت النار حتى توهجت واشتعلت وتعالت ألسنتها فبلغت عنان السماء وتصاعد حرها واشتد لفحها وقد خرج أهل المدينة على بكرة أبيهم يتفرجون متشفين في حرق إبراهيم فامتلأت بهم الساحة العظيمة واكتظت على سعتها وجيء بإبراهيم محكم الوثاق يسير بخطى متزنة وسط حراسة الذين يقودونه ـ وقد أنزل الله على قلبه الهدوء والسكينة تحف به الملائكة بأمر ربها توحي إليه بالاطمئنان ولما صار إبراهيم على حافة النار وهم به الحراس ليلقوه رفع وجهه إلى السماء وقال: **اللهم أنت الواحد في السماء والأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري فحسبي الله ونعم الوكيل.**

وسرعان ما تناولته أيدي الحراس وألقوا به في النار عندئذٍ هلل الناس وانتشوا فرحاً وصاروا يرقصون ويصفقون ويهنيء بعضهم بعضاً بحرق عدوهم وعدو آلهتهم إبراهيم بن آزر.

المعجزة الكبرى - النجاة: ضجت السموات والأرض والجبال ومن فيها من الملائكة والخلق ضجة واحدة وقالوا: إلٓهنا وسيدنا. عبدك إبراهيم هو الوحيد الذي يعبدك في الأرض يحرق في النار. فنزل إليه جبريل سريعاً وقال له: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا. قال جبريل: فسل ربك. قال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي حسبي الله ونعم الوكيل - وإذا بالنداء من الله الأعلى: ﴿**يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**﴾ - فضرب جبريل بجناحه النار فانطفأ لهيبها وصارت برداً وسلاماً وتحولت من نار محرقة إلى روضة من رياض الجنة قال ابن إسحق: ثم بعث الله ملك الظل في صورة إبراهيم عليه السلام فقعد بجوار إبراهيم ليؤنسه، وأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير وقال: إن ربك يقول لك أما علمت أن النار لا تضر أحبابي وألبسه القميص.

ظلت النار موقدة مستعرة تأتي حطبها أياماً ثلاثة وقيل سبعة أيام وقد انفض الناس عن المحرقة رويداً رويداً وعادوا إلى ديارهم يقيمون بها الأفراح ابتهاجاً بنصر آلهتهم وأشرف النمروذ على المحرقة من صرح عال بني له وظل ينظر ويتابع حتى رأى إبراهيم جالساً في وسط النار في روضة عظيمة لم يصبه شيء وبجواره شخص آخر والنار حوله تأكل نفسها وتحرق ما جمعوا من الحطب فقال نمروذ: يا للعجب إبراهيم لا زال حياً بهذه النار التي تتلظى ولم يملك الملك نفسه ولا لسانه فقال: نعم الرب ربك يا إبراهيم كبر إلٓهك يا إبراهيم.

خمدت النار وانطفأت تماماً فإذا إبراهيم قائم لم يحرق ولم يمت ولم يمسه سوء ولم تنل النار إلا من الحبل الذي ربط به فأحرقته.

سمع الناس بهذا الخبر فجاؤوا جميعاً وهم في حالة ذهول لهذه الظاهرة الجديدة والمعجزة الكبرى التي لا مثيل لها وسارعوا إلى إبراهيم يلمسونه ويتحسسونه بأيديهم غير مصدقين فإذا هو جسد حي يتصبب عرقاً يتحرك ويتكلم في أحسن حال وعلى أتم صحة فرفعوه إلى الملك فقام الملك معظماً للمعجزة وقال: (كبّر

إلهك يا إبراهيم الذي حال بينك وبين النار بقدرته فلم تمسك بسوء) ثم سأله لقد رأيت معك في النار شخصاً يجلس بجوارك في مثل صورتك فمن هو؟ قال: إنه ملك الظل أرسله الله إلي ليؤنسني ويزيل وحشتي ويطمئن قلبي ـ فقال له: نعم الرب ربك يا إبراهيم ـ فدعاه إبراهيم إلى الإيمان بالله صاحب هذه المعجزة الكبرى التي رآها هو وقومه بأعينهم فقال له النمروذ: لا أستطيع ترك ملكي. أنا إن عبدت ربك ضاع ملكي وذهب جاهي وإني أطلب منك يا إبراهيم أن تخرج من ديارنا وبلادنا لئلا تفسد علينا أحوالنا وملكنا وديننا.

المعجزة الساحقة: شكر إبراهيم عليه السلام ربه وسبح بحمده على ما أولاه من النعم ثم قال يناجي ربه ليزيده علماً: رب أرني كيف تحي الموتى؟ قال الله تعالى: أولم تؤمن؟ قال إبراهيم: بلى ولكن ليطمئن قلبي ـ فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحها ويقطعها ويمزج لحمها بريشها ودمها وعظمها ويكون منها جميعاً كومة من لحم وعظم وريش ودم ثم يقسمها ويضع على كل جبل جزءاً منها فلما فعل إبراهيم ذلك قال له ربه، ادعهن يأتينك سعياً فدعا إبراهيم الطيور كما أمره ربه فجاءت إليه حية صحيحة تطير بأجنحتها في الجو وتمشي على أرجلها في الأرض ـ عندئذ شكر إبراهيم ربه العزيز الحكيم الذي هو على كل شيء قدير.

هجرة إبراهيم:

ولما تبين لإبراهيم عليه السلام عدم هداية قومه إلى الله لإصرارهم الشديد على الكفر واتضح له عنادهم وإيغالهم في اضطهاده والذين آمنوا معه عزم ومن معه على أن يخرجوا من ديارهم، وقالوا: ﴿**إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله**﴾.

وقال إبراهيم لأبيه، يا أبت إني عزمت على الرحيل من هذه البلاد أنا ومن آمن معي، فاخرج معي ولا تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ـ فمال آزر إلى اتباع ابنه ولكنه عاد فعز عليه فراق أهله وبلده ودينه.

ثم هاجر إبراهيم وصحبه المؤمنون من ديارهم يسعون في الأرض، ويمشون في

مناكبها تاركين أهلهم وديارهم وأموالهم وراء ظهورهم في سبيل الله، وإبراهيم يردد القول: **سلام عليك يا أبي سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً.**

رحلات إبراهيم عليه السلام:

١ - رحلته إلى حران:

لم يطب المقام لإبراهيم بين أهله وقومه ببلده (فادن آرام) فخرج مهاجراً إلى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام إلى مدينة حران بالقرب من شاطىء الفرات فمكث فيها ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم رحل منها إلى فلسطين - وكان إبراهيم قد ظفر من أبيه بموعدة هي أنه سيؤمن به فاستغفر الله له ولكنه علم بعد ذلك أنه مقيم على دين قومه فتبرأ منه - ذلك قول الله تعالى: **﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه. فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾**.

٢ - رحلته إلى مصر:

حدث جدب في أرض فلسطين فانتقل إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة إلى أرض مصر وذلك في عهد الهكسوس وكانت سارة ذات حسن وجمال فائقين فلما دخل بها إلى أرض مصر قيل له يا إبراهيم إن بأرض مصر ملكاً جباراً يحب النساء وكان من عادته إذا سمع بامرأة جميلة تزوج بها قهراً وكان اسمه طوطيس - فقال إبراهيم لسارة إن ملك مصر إذا علم أنك امرأتي غلبني عليك وأخذك مني فسأقول له إنك أختي حتى لا يقتلني فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام فإني لا أعلم في هذه الأرض مسلماً غيرك وغيري - فلما دخلا أرض مصر رآها بعض حراس الملك - فأخبروه بها وقالوا له لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك - فأرسل إليها وأتى بها فقال الملك ما هذه المرأة منك يا إبراهيم؟ فقال إنها أختي فقال: الملك زوجني بها. قال إنها متزوجة - فأخذها الملك قهراً عنه ولما أراد أن يتناولها شلت يده فلما رأى الملك ذلك غفر لها وقال لها ادعي الله

أن يطلق يدي فوالله لا آذينك فقالت سارة اللهم إن كان صادقاً فأطلق يده فأطلق الله يده، فمدها ثانياً: فشلت يده ورجله. فاستنجد بدعائها الله أن يطلق يده ورجله وقال لك الله يا سارة لا أخونك أبداً ففعلت فأطلق الله يده ورجله. فتاب إلى الله توبة صادقة على يديها كل ذلك وكان إبراهيم ينظر إليها من خلال صلاة كان يصليها لله وقتذاك ـ فقد كشف الله الحجاب عن بصره طمأنة لقلبه وتبرئة وتطهيراً لها، ثم دعا الملك حارسه الذي جاء بها إليه فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها ما شاؤوا ثم دعا الملك بإبراهيم وأحضره وأكرمه وعاتبه على أنه لم يصدقه القول في سارة، فقال له إنها أخته ولم يقل له الحقيقة إنها زوجته ثم أعطاه زوجته سارة بعد أن منحها تكريماً لها الجارية القبطبة هاجر وكثيراً من الحلي والمصوغات الغالبة والملابس الجميلة الفاخرة ـ وأعطاه هو أموالاً وماشية وعبيداً وأمره بالعودة إلى بلاده.

عاد إبراهيم وزوجته سارة ومعهما الأموال والمصوغات والمواشي والجواري والعبيد إلى فلسطين فأقام عند قوم بواد يقال له وادي السبع فاحتفر فيه بئراً عذبة تسمى الآن بئر سبع فأوسع الله عليه الرزق من المال والمواشي حتى كان له اثنا عشر قطيعاً من الغنم فكان إبراهيم عليه السلام أغنى الأنبياء في المعيشة ولما ضاق ذرعاً بالسكان اضطر إلى الهجرة من المدينة هذه وقاسم ابن أخيه لوطاً عن تراض جميع أمواله ومواشيه ومتاعه وأوصاه بالنزول في مدينة سدوم بالأردن ورحل هو إلى الشام.

زواج إبراهيم بهاجر وإنجابه إسماعيل عليه السلام:

تألمت سارة التي عاشت مع إبراهيم عليه السلام كزوجة أكثر من خمسين عاماً ولم تلد له، وعز عليها إخلاصاً له أن تراه بغير ذرية لا سيما وقد شاخت وعقمت ولم يعد هناك أمل في أن تلد ـ ولما رأت لديهم الوصيفة هاجر ـ رأت أن تزوجها لإبراهيم لعل الله يرزقه منها بذرية تعوضه عما فاته من العمر بسبب عقمها ـ

فقالت له يا إبراهيم إنني أرشح لك هاجر وهي فتاة وضيئة لتتزوجها عسى أن يهبك الله منها ذرية ـ فوافق إبراهيم على ذلك ودخل بها فرزقه الله منها بغلام قوي عظيم هو إسماعيل علبه السلام.

البشرى بإسحاق عليه السلام:

تحقيقاً لما هو كائن في علم الله الأزلي بشر الله سبحانه وتعالى إبراهيم وسارة بغلام عليم اسمه إسحاق وكانت هذه البشرى على يد ثلاثة من الملائكة تمثلوا في صور رجال وحضروا إلى منزله للضيافة، وحينما قدم إبراهيم لهم الطعام وهو عبارة عن عجل سمين مشوي وقربه إليهم أمسكوا أيديهم عنه ولم يأكلوا من طعامه فقال لهم: **أهم ألا تأكلون؟ قالوا: يا إبراهيم لا نأكل طعاماً إلا بثمن قال: فإن لهذا ثمناً. قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره**، فنظر جبريل إلى ميكائيل عليهما السلام وقال: **يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلاً** ـ فقالت الملائكة له: **إنا رسل ربك إلى قوم لوط جئنا إليك لنبشرك بغلام عليم** فراجعهم قائلاً أبشرتموني على أن مسني الكبر وامرأتي عاقر وقد كانت سارة تسمع المناقشة فضحكت من هذه البشرى العجيبة وقالت: كيف ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً؟ فأحال الملائكة الأمر على قدرة الله الذي لا يعجزه شيء وذلك قول الله تعالى في سورة هود: **﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً. قال: سلام. فما لبث أن جاء بعجل حينئذٍ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ـ قالوا: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ـ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب. قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب ـ قالوا: أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾** .

زوجات إبراهيم وأولاده:

تزوج إبراهيم بأربع نساء وخلف ثلاثة عشر ولداً على النحو الآتي:

١ ـ تزوج بسارة فولدت له إسحاق ثم ماتت عن مائة وسبعة وعشرين عاماً بالشام بقرية الجبابرة من أرض كنعان ودفنت بها،

٢ ـ ثم تزوج بهاجر فولدت له إسماعيل ثم ماتت قبل سارة بمكة ودفنت بالحجر.

٣ ـ لما ماتت سارة تزوج إبراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين بفلسطين اسمها قورا ابنة يقظان فولدت له ستة أولاد هم (يتشان وزمران ومدان ومدين واشيق وشوخ).

٤ ـ ولما ماتت هاجر بمكة تزوج بامرأة من عرب مكة اسمها حجون بنت أهيب فولدت له خمسة أولاد هم: (كيسان وفروح وأهيم ولوط ونافس) وكان إسماعيل بكره وأكبر أولاده، فأنزل إسماعيل أرض الحجاز وإسحاق أرض الشام ـ وفرق باقي أولاده في البلاد فقالوا لأبيهم ـ يا أبانا ـ أنزلت إسحاق معك، وإسماعيل بقربك، وأمرتنا أن ننزل بأرض الغربة والوحشة ـ قال بذلك أمرت ثم علمهم أسماء الله تعالى فكانوا يستسقون بها ويستنصرون.

بناء الكعبة:

أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة، فخرج من بيته إلى الشام ومعه جبريل عليه السلام ليدله على موضع الكعبة، وفي مكة التقى إبراهيم بابنه إسماعيل عليه السلام وأبلغه أمر الله ببناء الكعبة، فتهيأ لذلك فأرسل الله سبحانه وتعالى سحابة بيضاء على قدر اتساع البيت ونودي يا إبراهيم إن البيت على قدر اتساع السحابة وظلها ـ وذلك قوله تعالى: ﴿**وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت**﴾ فلما حفرا أساس البيت وجدا حجراً من رخام أخضر وعليه ثلاثة أسطر. السطر الأول مكتوب عليه: **أنـــا الله لا إله إلا أنا رب البيت معليها وهي غزار ومرجيها وهي قـــدار** ـ والسطر الثاني مكتوب عليه: **لا إلـــه إلا أنا رب البيت مهلك الطغاة ومفقر الزناة ـ ومخزي تارك الصـــلاة** ـ والسطر الثالث مكتوب عليه: ﴿**أنا الله لا**

إله إلا أنا رازق من لا حيلة له حتى يعلم من له حيلة أن لا حيلة له فأخذ إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ويدعوان الله أن يقبل عملهما وذلك قوله تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾** - فلما أتم إبراهيم بناء البيت أوحى الله إليه أن اصعد إلى سطح البيت **﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾** فقال إبراهيم: يا رب وما يبلغ صوتي للناس؟ فقال عليك الأذان وعلينا البلاغ فعلا إبراهيم سطح البيت ونادى بأعلى صوته يا أيها الناس إن الله قد بنى لكم بيتاً فحجوه وأجيبوا داعي الله فبلغ صوته مدى المشرق والمغرب وسمعه ما بين السماء والأرض وما بين الأبحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة فأجابه كل من آمن بالله إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك، فمن لبى كتب له أن يحج ومن لم يلبِّ لم يكتب له الحج.

هلاك النمروذ: ذكر الرواة أن النمروذ بن كنعان كان طاغياً تجبر في الأرض وادعى الربوبية من دون الله تعالى، وكان من جبروته أنه كان يختزن جميع الأطعمة والغلال في مخازنه فكان الناس يقصدونه من سائر البلاد والأقطار لشراء الأطعمة والغلال اللازمة لحياتهم ومعاشهم فكان النمروذ لا يبيع أحداً شيئاً حتى يسجد له ويقول له أنت ربي - وقد وقع القحط في البلاد التي يقيم فيها إبراهيم عليه السلام فجاء إبراهيم إلى النمروذ ليشتري غلالاً ووصل إليه ووقف أمامه فعرفه النمروذ وقال: يا إبراهيم من أنا؟ فقال إبراهيم له أمام الناس: أنت عبد من عبيد الله فغضب النمروذ ورد إبراهيم بغير طعام وقال له قل لربك أن ينزل من السماء إلى الأرض لأقاتله، فأوحى الله إلى إبراهيم أن قل للنمروذ أن يختار من مخلوقات الله ما يشاء لمحاربته. فاختار البعوض - فتجمعت جموع الجيشين - جند الله وهي البعوض وجند النمروذ على اختلاف أنواعها في أرض الكوفة فلما كان يوم الزحف ظهر جيش البعوض من البحر وسد ما بين الخافقين حتى حجب الشمس عن الأبصار - فأمر الله البعوض أن يهجم على عسكر النمروذ فتأكل لحومهم

وجلودهم ودروعهم وأسلحتهم وتشرب دماءهم ـ فهجمت وأكلتها وشربتها ولم يبقَ منهم غير العظام فهلكوا جميعاً ثم أرسل الله إلى النمروذ بعوضة صغيرة بجناح واحد فدخلت في أنفه وصعدت إلى دماغه ورأسه فصيرت حياته جحيماً لا يطاق وبدلت عزه ذلاً وأمته خوفاً وألوهيته هباء فانهزم هو وجيشه وضاعت دولته وملكه وأصبحت حياته كلها عواء.

وقد أراد الله أن يؤخر موته أربعين سنة ليتعذب فيها بالبعوضة الصغيرة فقد مكثت في رأسه أربعين سنة ـ فكان يأمر غلمانه أن يضربوه بالنعال على رأسه فيجد في ذلك راحة فلما طال عليه الأمر ضربه أحد خدامه ضربة قاتلة على رأسه فكسرتها نصفين فخرجت منها البعوضة في حجم العصفورة تقول هذا جزاء عدو الله ـ وبذلك هلك النمروذ وجنوده وذهب ملكه ومجده.

وفاة إبراهيم عليه السلام: توفي إبراهيم عليه السلام إلى رحمة الله بفلسطين عن مائتي سنة وقيل عن مائة وخمس وسبعين سنة ودفن بمدينة الخليل بالقرب من قبر سارة.

خصائص إبراهيم عليه السلام: خص الله سبحانه وتعالى خليله إبراهيم عليه السلام بخصائص وسمات لم يخص بها غيره من الأنبياء منها:

١ ـ اتخذ الله إبراهيم خليلاً.

٢ ـ هو سيد الفتيان لما روي في الحديث أنه قيل للنبي ﷺ يا سيد البشر قال: ذاك إبراهيم.

٣ ـ أوتي رشده قبل بلوغه قال تعالى: ﴿**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين**﴾.

٤ ـ أول من سماه الله حنيفاً مسلماً فقال تعالى: ﴿**ولكن كان حنيفا مسلما**﴾.

٥ ـ برأه الله من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالإسلام والإخلاص فقال تعالى: ﴿**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلما**﴾.

٦ ـ جعل الله له لسان صدق في الآخرين .

٧ ـ هو أول من ألقي في النار فكانت برداً وسلاماً عليه .

٨ ـ هو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله .

أخلاق إبراهيم عليه السلام:

من قصة سبدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام العاطرة المذكورة في القرآن الكريم والأحاديث القدسية والنبوية الشريفة نستطيع أن نستنبط بعض فضائله وآدابه وأخلاقه الآتية:

١ ـ كان إبراهيم عليه السلام معلماً للخير وكان جماع خير أمة ـ فقد اجتمعت فيه من خلال الخير وأنواع الفضائل ما يجمع في أمة بأكملها .

ولبس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

٢ ـ كان رقيق القلب عطوفاً رؤوفاً باراً بوالده مع قسوته عليه وإنه كلما باعد بينه وبينه تلطف هو في المقاربة وترفق في دعوته وهدايته وتحذيره فقال له سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً .

٣ ـ كان إبراهيم كريماً مضيافاً فكان لا يتغذى ولا يتعشى إلا مع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفاً .

٤ ـ شهد الله له بالوفاء فقال تعالى: **﴿وإبراهيم الذي وفى﴾** .

٥ ـ كان أمة بأكملها في الآداب والفضائل قانتاً لله حنيفاً .

٦ ـ دعا الخلق إلى الحق بلسان الحجة والبرهان.

٧ ـ كان حليماً أواهاً منيباً ـ قال تعالى: **﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾** والحليم هو السيد الذي يملك نفسه وقت الغضب والأواه الذي يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه إلى ربه .

٨ ـ كان شاكراً لأنعم الله عليه فاجتباه وهداه إلى صراط مستقيم.

٩ ـ مجادلة إبراهيم في قوم لوط رجاء ان يرفع عنهم العذاب وصفته برقة القلب والشفقة والرأفة والرحمة على الناس فقد طلب من الله إيقاف تنفيذ العذاب عن قوم لوط إذا وجد بينهم مؤمنين بالله ولكن لم يوجد فيهم مؤمناً غير لوط وبناته فوقع العقاب بالقوم الكافرين ونجى الله لوطاً وابنتيه فقط ـ قال تعالى: **﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى يجادلنا في قوم لوط﴾**.

١٠ ـ دعا الله أن يجعل النبوة في نسله فاستجاب الله له وجعل النبوة في شعبي ـ إسماعيل وإسحاق ـ فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت على ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني إسرائيل».

١١ ـ كان قدوة حسنة للناس جميعاً فهو أول من ضحى وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين وأول من قسم الفيء وأول من اختتن وأول من استحد وأول من نتف تحت إبطه وأول من قص شاربه وقلم أظافره وأول من استاك وأول من استنشق وهو أول من استنجى بالماء، وأول من هاجر إلى الله فجعله الله للناس إماماً ـ قال تعالى: **﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾** وقال تعالى في حديثه القدسي: **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم وإن محمداً خير الأنبياء وأمته خير الأمم باتباع ملته**.

الصحف التي أنزلت على إبراهيم:

أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشر صحف كانت كلها أمثالاً ـ فقد روى أبو ذر الغفاري قال: قلت يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله تعالى؟ قال: مائة صحيفة وأربعة كتب ـ أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيت خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف ـ وأنزل التوراة والإنجيل والزبور، والفرقان ـ قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلها مثل: أيها الملك المبتلي المسلط المغرور إني لم أبعثك

لتجمع الدنيا على بعض ولكنني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من كافر. وكان فيها: أمثال على العاقل ما لم يكن مغلـوبـاً على عقلـه إن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يتفكر فيها صنع الله تعالى، وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما ـ وعلى العاقل ألا يكون طاعناً في ثلاث تزود لمعاده ومؤنسة لمعاشه ولذة في غير محرم ـ وعلى العاقل أن يكون بصيراً وبزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه ـ ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن محذور يغنيه.

اخلاق اسماعيل عليه السلام

كان سدنا إسماعيل عليه السلام مطيعاً لأبيه، منفذاً لوصاياه، صابراً محتسباً راضياً بقضاء الله مسلماً لقدره، اشتهر بين جيرانه العرب بحسن الجوار، وكرم المحتد ودماثة الخلق، وشجاعة القلب والرأي، وعرف عنه قوة الإيمان، وصدق الوعد، وحسن الورع وتحمل المكاره، والصبر على الشدائد، وكان رجلاً صالحاً تقياً. فكان عند الناس مطاعاً، وعند ربه مرضياً، وقد قال الله في حقه في سورة مريم: **﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً﴾** .

الله لا يضيع أهله:

في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « أول من اتخذ من النساء المنطق أم إسماعيل، واتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة... ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء ووضعها هناك ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء - ثم مضى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس ولا شيء، فقالت ذلك مراراً وكان لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا الله ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان

عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت . ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه فقال: ﴿رب إني أسكنت ذريتي بوادٍ غير زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ .

ثم أخذت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها فكانت تنظر إليه وهو يتلوى من العطش ـ فانطلقت كارهة أن تنظر إليه . فوجدت الصفا أقرب جبل إليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر فبه هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت علبها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس: قال النبي ﷺ فذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت ـ صه تريد نفسها ـ ثم استمعت فسمعت الصوت أيضاً فقالت قد سمعت . . . إن كان عندك عون . فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ وقيل بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا ثم أخذت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف « قال ابن عباس: قال النبي ﷺ » يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عيناً معيناً ـ وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا ببت الله سببنيه هذا الغلام هو وأبوه وإن الله لا يضيع أهله ـ وكان البيت مرتفعاً عن الأرض كالرابية ـ تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة عرب من جرهم ـ أو أهل بيت من جرهم ، مقبلين عن طريق كأداء ـ فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً فقالوا إن هذا الطائر يدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين ، فإذا هما بالماء فرجعا فأخبراهم بالماء فأقبلوا قال وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء ، قالوا: نعم « قال ابن عباس ، قال النبي ﷺ فأرضى ذلك أم إسماعيل لأنها تحب المؤانسة . فنزلوا

وأهلوهم معهم وأقاموا متجاورين متعاونين متحابين فشب الغلام وتعلم العربية منهم وأعجبهم حين شب . فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ثم ماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعبل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . ثم سأل عن عيشتهم وهيئتهم فقالت : نحن في ضيق وشدة وشكت إليه ـ قال : فإذا جاءك زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له غير عتبة بابك ، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ـ وسألني كيف عيشتنا فأخبرته أننا في جهد وشدة قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك ، قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، إلحقي بأهلك فطلقها وتزوج بأخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد ذلك فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا ، قال كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله ؟ فقال : ما طعامكم ؟ قالت اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء قال : (اللهم بارك لهم في اللحم والماء) قال : فإذا جاء زوجك فاقرأي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشتنا فأخبرته أننا بخير ولله الحمد ـ قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن نثبت عتبة بيتك ، قال : ذاك أبي . . . وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ـ ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه محيياً ومعانقاً ، ومقبلاً ، ومكرماً فقال له : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك ـ قال : وتعينني عليه ؟ قال : وأعينك عليه ـ قال : فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً له وأشار إلى أكمة مرتفعة ـ قال : فعند ذلك قاما ورفعا القواعد من البيت فأخذ إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع للبناء جيء بهذا الحجر فوضع له ، فقام عليه يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت**

السميع العليم﴾ .

إسماعيل الذبيح:

قال الله تعالى: **﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾** اختلف السلف من العلماء المسلمين في الابن الذي أشير إليه بالذبح في رؤيا إبراهيم المنامية فمنهم من قال إنه إسحاق وأهل التوراة يرجحون ذلك، ولكن الأشهر أنه إسماعيل، فلما رأى إبراهيم عليه السلام في منامه أنه يذبح ابنه في صورة كبش أو أنه يذبح كبشاً في صورة ابنه أي أن الصورة التي تراءت له كانت مكثفة بصورتي ابنه والكبش بنسب متساوية أو مختلفة قليلاً - قام من نومه وفسرها بلفظها الصريح اعتقاداً منه بأن رؤيا الأنبياء صادقة ولم يؤولها لعدم رمزيتها في نظره . ثم قوى عزمه على تحقيق رؤياه على نحو ما رأى - وذلك بذبح ولده قرباناً إلى الله تعالى - فقال لابنه يا بني انطلق معي إلى الجبل لنقرب قرباناً إلى الله تعالى وأخذ معه سكيناً وحبلاً، فانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال - فقال له الغلام يا أبت أين قربانك؟ فقال يا بني إني أرى (أي رأيت) في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ ﴿قال يا أبت افعل ما تؤفر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ فلما أسلما وتله للجبين، قال إسماعيل - يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب وأكفف عني ثيابك حتى لا يصيبه شيء من دمي فتراه أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع بمر السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي فإن الموت شديد فإذا أتيت أمي فأقرئها مني السلام فإن رأيت أن ترد عليها قميصي فافعل عسى أن يكون قميصي مسلياً لها عني، فقال إبراهيم نعم العون أنت يا بني على ما أمر الله به ففعل إبراهيم ما أوصاه به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكي والابن يبكي - ولما وضع السكين على حلقه لم يجزع ولم تقطع السكين فقال إسماعيل عند ذلك يا أبي كبني على وجهي فأنت إن نظرت إلى وجهي رحمتني وأخذتك الشفقة علي ففعل إبراهيم ذلك ووضع السكين على قفاه وهنا نودي: يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك

نجزي المحسنين هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر إبراهيم عليه السلام فإذا بجبريل عليه السلام ومعه كبش أملح أقرن ـ فكبر الكبش وكبر إبراهيم وكبر إسماعيل فذلك قوله تعالى: ﴿**وفديناه بذبح عظيم**﴾ فأخذ إبراهيم الكبش وأتى به إلى المنحر في منى وذبحه.

نبوة إسماعيل:

لما أنجز إبراهيم الخليل وولده اسماعيل بناء الكعبة وأبلغا الناس بها عاد إبراهيم إلى فلسطين تاركاً لولده إسماعيل رعاية بيت الله والدعوة لحرم الله وبقي إسماعيل يرعى العهدة بشجاعة وصبر وأمانة وفي غضون ذلك بعثه الله رسولاً ونبياً إلى قومه من العماليق وقبائل اليمن ليدعوهم إلى عبادة الله وحده وحج بيته وينهاهم عن الرذائل وعن عبادة الأصنام فتبعه أناس كثيرون.

أولاده:

كانت ذرية إسماعيل اثني عشر ولداً ذكراً غير الإناث من زوجته السيدة بنت مضاض التي ارتضاها إبراهيم لابنه زوجة لإيمانها وأدبها وفضلها وهم: نابت وقيدار وادبيل وبسام ومسمع ودومه ومسا وحدار وفيما ونطور ونافس وقدما وقد صاروا جميعاً فيما بعد رؤساء قبائل ـ ومن نابت وقيدار انتشرت عشائر العرب. ومن نسل إسماعيل جاء محمد ﷺ.

وفاة إسماعيل:

عاش إسماعيل ١٣٧ مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر.

وروى عمر بن عبد العزيز أن شكا إسماعيل إلى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى إليه إني فاتح لك باباً من الجنة يجري عليك روحها إلى يوم القيامة.. وفي ذلك المكان دفن إسماعيل.

أخلاق إسماعيل عليه السلام:

من قراءة القصة نستطيع أن نستنبط بعض أخلاق إسماعيل عليه السلام الآتية:

١ ـ كان إسماعيل عليه السلام مطيعاً لأبيه، منفذاً لوصاياه، صابراً محتسباً راضياً بقضاء الله مسلماً لقدره ـ فعندما أخبره أبوه حينما بلغ معه السعي، أنه رأى في المنام أنه يذبحه فأجابه مطيعاً إلى ذلك غير متألم ولا متبرم ولا معترض قائلاً **﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾**.

٢ ـ كان إسماعيل عليه السلام مخلصاً من صغره متصفاً بالشجاعة والشهامة وحينما عرض عليه أبوه أن يعاونه في بناء الكعبة على الرغم من تركه مع أمه صغيراً في الصحراء بلا عائل ولا أنيس إلا الله تعالى عدة سنوات فقال لأبيه نعم وقام من فوره بمعاونته في بناء الكعبة في شجاعة وشهامة كبيرتين.

٣ ـ اشتهر إسماعيل عليه السلام بين جيرانه العرب بحسن الجوار وكرم المحتد ودماثة الخلق وشجاعة القلب والرأي، فقربوه إليهم وأكرموه وزوجوه من بناتهم والتفوا حوله ثم استمعوا إلى دعوته الجديدة في ترك عبادة الأصنام والإيمان بالله على دين أبيه إبراهيم.

٤ ـ إن إسماعيل كان إذا وعد صدق، فقد وعد والده الصبر على أن يكون قرباناً ووفى بوعده وصدق فيما قال ولقد ذكره الله سبحانه وتعالى بهذه الصفات والأخلاق في قوله تعالى: **﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا﴾**.

٥ ـ كان إسماعيل عليه السلام رجلاً صالحاً تقياً، ورعاً، يأمر أهله بعبادة الله صلاة وزكاة وصوماً وحجاً وإلى شكر نعم الله وإلى الصبر على الشدائد وتحمل المكاره فكان عند ربه مرضياً وعند الناس مطاعاً.

اخلاق اسحق عليه السلام

كان رجلاً صالحاً صادقاً مباركاً رؤوفاً رحيماً حليماً عليماً .

با مبارك ارع حق أمك ولا تخرق بطنها ولا تقتل أخاك يا بني لا تغضب فقد بقيت لك عندي دعوة فهلم ادع لك بها (اسحق لابنه) .

البشرى بمولد إسحاق: عندما رزق إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل من زوجته الثانية هاجر تغير قلب سارة زوجته الأولى لأنها لم ترزق ولداً وكان لها من العمر إذ ذاك ـ خمسة وثمانون سنة ، فبشره الله وإياها على لسان الملائكة بعد هذه المدة الطويلة بإسحاق والقصة في قوله تعالى :

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب. قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ .

عندئذ طاب قلب سارة بهذه البشرى ولم يحل الحول عليها حتى حملت بإسحاق .

مولد إسحاق عليه السلام: ولدت سارة عليها السلام وليدها الوحيد إسحاق في مدينة جرار بالشام وكان سنها حينئذ تسعين سنة ولما ولدته أسمته (يصحق) وترجمتها بالعربية (يضحك) تريد بهذه التسمية أن كل من يسمع بولادة هذا الولد من أبويه الشيخين الهرمين يضحك لمخالفة هذه الولادة للعادة.

نبوته: ولما بلغ إسحاق أشده بعثه الله نبياً ورسولاً إلى قومه بالشام لقوله تعالى: **﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾** وقوله تعالى: **﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾** وقوله تعالى: **﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً. ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾**.

زواجه:

ولما بلغ من العمر ستين عاماً وقد توفيت أمه سارة تزوج فتاة من أرض حوران تدعى رفقة بنت بتوئيل بن ناحور ورحل بها فحملت منه بغلامين في بطن واحدة وهما العبص ويعقوب ـ وقد ذكر السدى قصة هذا الحمل فقال: ان العيص تكلم في بطن أمه فسمعته فأخبرت أباه فقال لها إن سمعت فأعلميني. ولما سمعت أعلمته. فجعل إسحاق أذنه عند سرة زوجته فسمع العيص يقول ليعقوب: والله لئن خرجت قبلي لأخرقن بطن أمي وأقتلك. فقال له إسحاق يا مبارك أرع حق أمك ولا تخرق بطنها ولا تقتل أخاك. ولما كان الوضع اقتتل الغلامان في بطنها فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لأعترض في بطن أمي وأقتلها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمي عيصاً لأنه عصا فخرج قبل يعقوب وسمي الآخر يعقوباً لأنه خرج آخراً يعقب عيص. وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن عيصاً خرج قبله ـ ولما كبر الغلامان كان عيص أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبهما إلى أمه.

دعوة إسحاق ليعقوب:

لما كبر إسحاق عليه السلام كف بصره فقال لولده العبص ائتني بكبش أذبحه قرباناً لله تعالى وأدعو لك بدعاء دعاه لي أبي إبراهيم فعسى أن ينفعك إن شاء الله

واجعل يدك فوق يدي قبل الدعاء. وكان عيص رجلاً أشعر ويعقوب رجلاً أجرد. فخرج عيص ليأتي بالقربان وقد سمعت أمه الكلام فأخبرت به ابنها يعقوب وقالت له أسبق أنت عيص وائت بكبش سمين واذبحه وأشوه وألبس فروة مقلوبة ثم قدمه إلى أبيك وقل له أنا ابنك عيص فلعله يدعو لك وتفوز بدعوته ففعل ذلك وجاء يعقوب إلى أبيه وقدم له القربان وقال له يا أبتاه كل فقال من أنت؟ فقال أنا عيص فلمسه أبوه فوجد الشعر فقال إن اللمس لمس العيص والريح ريح يعقوب. فقالت له زوجته هو ابنك العيص فادع له فأكل من الكبش المشوي ثم قال أدن مني فدنا منه فوضع كفه على كف يعقوب وقال اللهم اجعل من ذريته الأنبياء والملوك ثم قام يعقوب من عند أبيه فرحاً بهذه الدعوة.

دعوة إسحاق لابنه العيص:

عقب خروج يعقوب من عند أبيه دخل عيص ومعه القربان الذي طلبه أبوه وهو كبش مشوي فوضعه بين يدي أبيه. فقال إسحاق من أنت؟ قال أنا ابنك العيص. فقال يا بني قد سبقك بالدعوة أخوك يعقوب وفاز بها فغضب العيص وقال والله لأقتلن يعقوب: فقال إسحاق يا بني لا تغضب فقد بقيت لك دعوة عندي فهلم ادع لك بها فتقدم إليه ورفع إسحاق يديه وقال اللهم اجعل ذريته عدد الرمل والحصى. ولا يملكهم أحد غيرهم. فكان من نسله بنو الأصفر وهم الفرنجة وملوك الفرنجة.

موت إسحاق:

عاش إسحاق عليه السلام مائة وثمانين سنة ودفن في حيرون ـ وهي مدينة الخليل اليوم بمغارة الكفيلة.

أخلاق إسحاق عليه السلام:

من قصة إسحاق عليه السلام نستنبط الأخلاق الآتية:

١ ـ كان إسحاق عليه السلام رجلاً صالحاً صادقاً مباركاً لقول الله تعالى: **﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾** وقوله تعالى: **﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾** وقوله تعالى: **﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاًّ جعلنا نبياً ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾** .

٢ ـ كان رؤوفاً رحيماً فعندما سمع صوت ابنه العيص في بطن أمه يهدد بقتل أمه وأخيه يعقوب قال له يا مبارك.إرع حق أمك ولا تخرق بطنها ولا تقتل أخاك .

٣ ـ كان حليماً عليماً فقال لابنه العيص حينما غضب على أخيه يعقوب لفوزه بدعوة أبيه إسحاق وتهديده له بالقتل يا بني لا تغضب فقد بقيت لك عندي دعوة فهلم أدع لك بها فتقدم إليه ودعا له بها .

اخلاق لوط عليه السلام

كان من خلقه كرم المحتد واستمساكه بالذمام ورعاية الجار والنزيل .

تدل قصة لوط علبه السلام على أنه كان مؤمناً عظيم الإيمان مطمئن القلب بالله ، وأنه في سببل الإيمان والدعوة إلى الله جاهد وصبر وهاجر إلى ربه تاركاً موطنه وأهله ومعاشه في سبيل الله طول حياته .

نسبه وموطنه:

هو لوط بن هاران ـ أخي إبراهيم ـ بن تارح ـ آمن بإبراهيم عليه السلام واهتدى بهديه كما قال الله تعالى: ﴿**فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي**﴾ وقد شخص لوط من أرض بابل مع عمه إبراهيم ثم هاجر معه إلى الشام ثم إلى مصر وهناك أغدق عليه ملك مصر كما أغدق على إبراهيم فكثر ماله ومواشيه ، وعند عودتهما من مصر إلى أرض السبع بفلسطين افترق لوط من إبراهيم عن تراض لأن سكان هذه المنطقة قد ضاقوا ذرعاً بإبراهيم لغناه عنهم ولأن الأرض لم تتسع لمواشيهما ، ومواشي القبائل الأخرى وترك لعمه أرض فلسطين والشام وهاجر إلى قرية سدوم بالأردن .

أخلاق أهل سدوم:

لما نزل لوط بقرية سدوم وجد أهلها على كفر وفسق وضلال وعلى أخلاق

رديئة فكانوا لا يستحيون من منكر فعلوه ولا يتعففون عن معصية يأتونها - كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء وكان الرجال يستغنون بالرجال والنساء يستغنون بالنساء وكانوا قطاع طرق يجلسون على الطريق فيسخرون من المارة ويعتدون عليهم ثم يسرقونهم وينهبونهم فإذا رجعوا إلى أنديتهم أتوا فيها من المنكرات الفاحشة ما تأباه الكرامة والرجولة.

رسالة لوط:

ولما تزايد بهم هذا الأمر بعث الله فيهم لوطاً عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم إلى عبادة الله وأمرهم بالتوبة وخوفهم من العذاب فقال لهم: ﴿**يا قوم إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون. وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون**﴾. فسخروا منه وهددوه بالرجم. فأعاد عليهم النصيحة قائلاً: ﴿**يا قوم أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين - إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون**﴾ قالوا: ﴿**لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين**﴾ فقال لهم: ﴿**إني لعملكم من القالين - إنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل، وتأتون في ناديكم المنكر**﴾ فقالوا له: ﴿**أئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين**﴾.

يأس لوط:

ولما يئس من هدايتهم سأل ربه أن ينصره عليهم فقال: رب انصرني على القوم المفسدين. فأجاب الله دعاءه وبعث له جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام لإهلاكهم.

العذاب:

كانت قرى قوم لوط التي أرسل إليها بالأردن خمساً هي سدوم وعامورة

ودومه وساعورا وصفرة، وكانت هذه القرى ما عدا القرية الأخيرة (صفرة) كافرة بالله وبرسالة لوط. فجاء إلى لوط الملائكة بهيئة غلمان مردة حسان الوجوه فضاق بهم لوط ذرعاً خوفاً عليهم من قومه ولما علم أهل القرية بقدومهم إلى منزل لوط عن طريق امرأته جاؤوا إليه طالبين ضيوفه ليفعلوا فبهم الفاحشة فجهد لوط في ردهم وبالغ في ذلك وقال لهم: يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي وناشدهم مستنجداً. أليس منكم رجل رشيد؟ ثم قال هم: هؤلاء بناتي هن أطهر لكم والقصة في قوله تعالى في سورة هود: ﴿**ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب، وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال: يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد، قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد**﴾ ولم يصغوا إليه، حينئذ التفت لوط إلى الملائكة وقال: ﴿**لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد**﴾ أي لجاهدتهم بكم وأوقعت بهم ما يستحقون وكان لا يعلم أنهم ملائكة إلى ذلك الحين وحينئذ أعلمه الملائكة بحقيقة أمرهم وأنهم جاؤوا لإيقاع العذاب بهؤلاء القوم والتنكيل بهم قالوا: ﴿**يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك**﴾ ولما حاول أهل القرية أخذ أولئك المردان بالقوة وهجموا على بيت لوط طمس الله أعينهم فلم يبصروا ولم يهتدوا إلى مكان يقتحمون منه عليه وعلى من معه.

قال ابن عباس: لما جاء قوم لوط يطلبون ضيوفه ليفعلوا فيهم الفاحشة أغلق لوط الباب عليهم وأخذ يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب والتعصب والتعب بسببهم قالوا له: ﴿**يا لوط إن ركنك لشديد وإنهم آتيهم عذاب غير مردود. إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم**﴾ ثم قالوا له افتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحيه وضرب بها وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم وذلك قوله

تعالى: ﴿**ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم**﴾ فصاروا لا يعرفون الطريـق ولا يهتدون إلى بيوتهم وانصرفوا في ذعر شديد وهم يقولون النجاة ـ النجاة ـ إن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض وتوعدوا لوطاً حتى الصباح ـ ولما علم لوط أن ضيوفه رسل الله وأنهم أرسلوا لهلاك قومه قال لهم أهلكوهم الآن فقال له جبريل: ﴿**إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب...**﴾ ؟.

ثم أخرج الملائكة لوطاً وابنتيه وزوجه ليلاً من القرية وأمروهم ألا يلتفت منهم أحد، وأن يسيروا حيث يؤمرون فصدعوا بالأمر إلا امرأته فإنها التفتت إلى القرية لترى ما يحل بها وكانت تحب أهل القرية وتخاف عليهم دون زوجها لوط فحل بها من السخط والعذاب ما حل بهم فكانت كافرة غير مؤمنة وذلك قوله تعالى: ﴿**إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر**﴾ فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقتلع قرى قوم لوط الأربع وكان في كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه، بين السماء والأرض، حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم فقلبها، وجعل عاليها سافلها، كما قال الله تعالى: ﴿**فجعلنا عاليها سافلها**﴾ ثم اتبـع شاردهم بالحجارة فذلك قوله تعالى في سورة هود: ﴿**وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد**﴾.

أما لوط وابنتاه فقد ذهبوا إلى قرية صفرة القرية المؤمنة وهي القرية الخامسة وقد نجاها الله من العذاب.

أما زوجته وتسمى واعلة فقد أهلكها الله بعذابه لخيانتها لزوجها لوط في رسالته وكفرها بالله وذلك قول الله تعالى في سورة التحريم: ﴿**ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين**﴾.

أخلاق لوط عليه السلام المستفادة من القصة:

١ ـ قصة لوط عليه السلام تدل على كرم أخلاقه وتمسكه برعاية الذمام

والجار والنزيل، فقد أراد قومه سوءاً بضيوفه فقام مجاهداً يذب عنهم ويدافع أهل بلده دونهم حتى لا يقع في خزي ضيفه وهذا العمل يدل على عراقة الكرم وأصالة المروءة.

٢ - تدل قصة لوط على أنه كان مؤمناً عظيم الإيمان، مطمئن القلب بالله وأنه في سبيل الإيمان بالله، والدعوة إلى عبادته تعالى ترك موطنه وأهله ومعاشه وهاجر في سبيل الله إلى أرض الله طول حياته.

٣ - ضرب لوط مثلاً عظيماً للتضحية والفداء والبذل فعرض بناته على قومه فداء لضيوفه لعلهم يستحون منه ويخجلون، ليكفوا عما هم فيه من آثام وشرور ولكنهم لم يرعوا ولم يتعظوا.

٤ - رزىء قوم لوط بفساد في العقل، والنفس، فلا هم يعقلون ضرر هذه الفاحشة في الجناية على النسل، وعلى الصحة، والفضيلة، والآداب العامة، ولا هم على شيء من الحياء وحسن الخلق يصرفهم عن ذلك فكان يقول لهم نبيهم لوط عليه السلام في رفق ولين، يا قوم إن هذه الفاحشة هي الأولى من نوعها في تاريخ البشر وهي جناية على الفطرة الإنسانية، ومفسدة للشبان، وإذلال للرجال، وتعطيل للنسل، ومفسدة للنساء وطالبهم في أدب بالطاعة فقابله قومه في هذه الموعظة اللينة وذلك الأسلوب الهادىء بقولهم: ﴿**لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين**﴾.

لم يقابل نبي الله لوط ذلك التهديد بمثله ولكنه قال لهم: ﴿**إني لعملكم من القالين**﴾ أي أنكر صنيعكم، وأبغض عملكم ثم لجأ إلى الله تعالى في أن ينجيه هو وأهله من عقوبة عملهم فأجاب الله دعوته.

اخلاق يعقوب عليه السلام

سمي يعقوب بإسرائيل لأنه أول من سرى ليلاً وكان صابراً محتسباً راضياً بقضائه سميعاً مطيعاً باراً بوالديه رؤوفاً بأولاده رحيماً بأهله وجيرانه حسن المعاملة طيب الكلمة والقلب.

ما أحلم هذا الذئب الذي افترس ولدي يوسف ولم يخرق عليه قميصه، ولم يعمل في قميصه ناباً ولا ظفراً ـ اللهم صبراً جميلاً فأنت المستعان على ما يصفون. يعقوب

نسبه:

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام (من رفقة بنت بتوئيل) أخي إبراهيم.

الدعوة ليعقوب:

كان يعقوب أحب إلى أمه من أخيه العيص فرتبت له أمه دعوة صالحة من أبيه إسحاق كان قد نودي بها لابنه العيص فلما جاءه يعقوب بحيلة من أمه رفقه على أنه العيص فلمسه إسحاق وقال له اللمس لمس العيص، والريح ريح يعقوب فقالت له زوجته هو ابنك العيص فادع له ـ فقال له ادن مني ـ فدنا منه ـ فوضع كفه على كف يعقوب وقال: اللهم اجعل من ذريته الأنبياء والملوك.

ولما جاء العيص وجد أن الدعوة المرجوة قد فاز بها أخوه يعقوب فغضب وتوعده بالقتل فقال له إسحاق لا تغضب قد بقيت لك دعوة عندي فهلم أدع لك بها فتقدم إليه فقال: **اللهم اجعل ذريته عدد الرمل والحصى ولا يملكهم أحد غيرهم.**

إسراء يعقوب:

خشبت أم يعقوب عليه من أخيه العيص أن يقتله فأوصته باللحاق بخاله (لابان بن ناهر) والإقامة معه في بلدته فدان أرام بالعراق فانطلق يعقوب إلى خاله مزوداً بنصيحة من أبيه أن يتزوج من بنات خاله ولا يتزوج من بنات كنعان فكان يسير في الليل ويستريح في النهار. فلذلك سماه الله إسرائيل لأنه أول من سرى بالليل فوصل يعقوب إلى خاله وأقام عنده.

زواجه:

مكث عند خاله يعمل معه فخطب ابنته الصغرى راحيل على صداق قدره خدمة خاله أجيراً سبع سنين في رعي غنمه وإبله وعندما وفى المدة زوجه ابنته الكبرى ليئة على خلاف الاتفاق فغضب يعقوب وكلم خاله في ذلك فقال له يا ابن أختي متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى. فهلم فخذ مني سبع سنين أخرى حتى أزوجك الأخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث الله موسى وأنزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فزوجه راحيل ثم تزوج أيضاً من جاريتها زلفاً وبلهاً: ومنهن كان أولاده.

أولاده:

ولد ليعقوب (إسرائيل الله) عليه السلام اثنا عشر ولداً ذكراً سماهم الله بالأسباط وهم بنو إسرائيل وهم (١) رأوبين: بكر يعقوب. (٢) شمعون. (٣) لاوى. (٤) يهوذا. (٥) ويساكرو. (٦) زبولون من ليئه بنت خاله

لإبان. (٧) يوسف. (٨) بنيامين من راحيل بنت خـالـه لإبـان. (٩) دان. (١٠) نفتالي ـ من بلها جارية راحيل. (١١) جاد. (١٢) أشير ـ من زلفا جارية لبئة.

وهؤلاء الأولاد ولدوا له وهو في فدان أرام إلا بنيامين فقد ولد في كنعان وسموا بالأسباط لأن كل واحد منهم خلف قبيلة سميت باسمه والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب.

البشرى بولادة يوسف:

حينما وضعت راحيل ابنها الأول يوسف عليه السلام كان يعقوب غائباً نحو الشام فنزل عليه جبريل وقال يا يعقوب: إن الله تعالى وهبك ولداً لم يرزق مثله أحد من الناس وقد أعطاه الله شطر الحسن ففرح بذلك ولما وصل من السفر ونظر إلى يوسف فكان لا يمل من النظر إليه. فذبح ألف رأس من الغنم قرباناً لله وشكراً على هبة يوسف له وقام بتوزيعها على الفقراء والمساكين.

عودة يعقوب إلى بلده:

بعد أن وفى يعقوب مدد الخدمة لخاله نظير زواجه وبعد أن أخذ من غنم خاله نتاج سنة وبعد أن مات بطول الزمن الحقد والبغضاء بينه وبين أخيه العيص عاد يعقوب بزوجاته وأولاده وجواريه وأغنامه ومتاعه إلى منزل أبيه بأرض كنعان بفلسطين فنازل أخاه وتألفه وتلطفه حتى ترك له العيص بلاد فلسطين ورحل بأولاده ومتاعه إلى بلاد الروم فاستوطنها حتى صارت له ولأولاده من بعده.

شجرة يعقوب:

روي أن الله أنبت ليعقوب شجرة في صحن داره فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصناً فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ. فإذا بلغ الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه إليه فولد له عشر

بنين فأخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان ـ فلما ولد له يوسف لم يخرج الله من الشجرة شيئاً فلما كبر وشب قال لأبيه: يا نبي الله إنه ليس هناك أحد من إخوتي إلا وله غصن إلا أنا فأدع الله أن يخصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه إلى السماء وقال: اللهم إني أسألك أن تهب يوسف غصناً من الجنة يفتخر به على جميع إخوته ـ فهبط جبريل عليه السلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الأخضر فقال لبوسف خذ هذا فأخذه وكان يوسف يأخذه ويخرج به مع إخوته.

يعقوب ويوسف:

إن قصة يعقوب تتصل بقصة يوسف عليهما السلام وقد مر بعضها في قصة إسحاق عليه السلام لتداخلها فيها، وسيمر بنا في يوسف قدر وافر من قصص يعقوب.

أخلاق يعقوب:

كان صابراً محتسباً راضياً بقضاء الله وقدره سميعاً مطيعاً باراً بوالديه رؤوفاً بأولاده رحيماً بأهله وعشيرته وجيرانه حسن المعاملة طيب الكلمة والقلب.

وفاة يعقوب:

أقام يعقوب بمصر بعد قدومه وأهله وأولاده أربعاً وعشرين سنة في احسن حال وأرغد عيش وأتم راحة ثم حضرته الوفاة ـ فلما احتضر جمع بنيه وقال لهم ما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون. ثم قال يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. ثم أوصى إلى يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه إسحاق وجده إبراهيم ففعل ذلك ونقله إلى بيت المقدس في تابوت لائق وخرج معه يوسف في جنده وإخوته وعظماء مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا في يوم واحد وكان عمرهما جميعاً مائة وسبعاً وأربعين سنة لأنهما ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد.

اخلاق يوسف عليه السلام

« لقد عجبت من أخي يوسف وكرمه وصبره والله إنـه كان حليماً ذا أناة »
حديث شريف .

نشأ سيدنا يوسف عليه السلام على تقوى الله وحسن الخلق فكان قمة للعفة والأمانة والطهر ورعي الذمام في قصر عزيز مصر ورفض فيه الشر والخيانة والمعصية ، وكان محسناً في السجن . فكان يداوي مرضى المساجين ويعزي حزينهم ويوسع على محتاجهم ويسري عنهم ويقول لهم أبشروا واصبروا تؤجروا . إن في هذا الصبر ثواباً . فكانوا يقولون له : يا فتى بارك الله فيك . ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك، وكان في الحكم رخاء وسلاماً ورحمة للناس .

نسبه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم هو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم » .

الجمال والعلم ليوسف:

أعطى الله سبحانه وتعالى نبيه يوسف الصديق عليه السلام الجمال والعلم .

فأما الجمال:

فكان حسنه كضوء النهار ـ كان أبيض اللون جميل الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن أقنى الأنف صغير السرة وكان بخده الأيمن خال أسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كأنها القمر ليلة البدر وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور، وكان إذا ابتسم رؤي النور من ضواحكه وإذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه السلام.

فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي إلى السماء فرأيت يوسف. فقلت يا جبريل من هذا؟ فقال هذا يوسف. قالوا: فكيف رأيته يا رسول الله؟ قال: كالقمر ليلة البدر».

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطي وأمه شطري الحسن».

وعن أبي إسحاق بن عبد الله قال: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألأ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران.

وقال كعب الأحبار: إن الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الأنبياء عليهم السلام نبياً نبياً وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجاً بتاج الوقار مئتزراً بحلة الشرف مرتدياً برداء الكرامة مقمصاً بقميص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون ألف ملك وعن يساره سبعون ألف ملك ومن خلفه أمم الأنبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه شجرة السعادة تزور معه حيثما زار وتحول معه حيثما حال. فلما رآه آدم قال إلهي من هذا الكريم الذي أبحت له بحبوحة الكرامة ورفعته الدرجة العالية؟ قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته ـ يا آدم أنحله. قال آدم قد أنحلته ثلثي حسن ذريتي. ثم إن آدم ضم يوسف إلى صدره وقبله بين عينيه وقال يا بني لا تأسف فأنت يوسف ـ

فأول من سماه يوسف آدم.

وبالجملة فإن الله أعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة ما لم يعطه أحداً من العالمين.

وأما العلم:

فقد أعطاه الله علم تأويل الرؤيا ـ فكان يخبر بحصول الأمر الذي يرى في المنام كما علم الله آدم الأسماء كلها ـ فقد روي أن جبريل عليه السلام كان يزور يوسف في السجن مرة كل شهر ويتحدث معه ويبشره بأنه سيصير ملكاً. ثم جاءه مرة ومعه ياقوتة من يواقيت الجنة فقال: يا يوسف ابتلع هذه الياقوتة فابتلعها فكانت علامة لتعبير الرؤيا.

قصة يوسف وأحلامه:

لما بلغ يوسف السابعة عشر من عمره وكان ينام بجانب أبيه فرأى في منامه في ليلة جمعة أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر قد سجدوا له فانتبه من نومه فزعاً فالتزمه أبوه يعقوب وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه، وقال له يا حبيب أبيه ما الذي رأيت؟ قال يوسف: **رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وغلبت أمواجها وسبحت الحيات بأنواع اللغات ورأيت كأني ألبست رداء أشرقت الأرض من حسنه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الأرض ألقيت بين يدي. فبينما أنا كذلك إذ رأيت أحد عشر كوكباً انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا إلي ساجدين** فقال يعقوب: **﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾**. ثم عبر رؤياه فقال: **﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربي عليم حكيم﴾** فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها: اكتمي ما قال يوسف ولا تخبري أولادي

فوعدته بذلك. فلما أقبل أبناء يعقوب من مراعيهم في المساء أخبرتهم برؤيا يوسف فانتفخت أوداجهم واقشعرت جلودهم غضباً على يوسف، وقالوا ما عنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا. ثم قالوا إن ابن راحيل يريد أن يتملك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدي فحسدوه على ذلك لا سيما وأن والدهم قد اختصه عنهم بالمحبة والقربة فراحوا يأتمرون ليقتلوه أو ليفرقوا بينه وبين أبيه فأخذوا يتجادلون فيما بينهم كما أخبرنا الله عنهم في قوله تعالى: ﴿**إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين**﴾ أي في خطأ بيّن في إيثار يوسف وأخيه علينا: ﴿**اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين**﴾ فقال قائل منهم وهو يهوذا ابن خالة يوسف وكان أعقلهم وأفضلهم وأعلمهم: ﴿**لا تقتلوا يوسف**﴾ لأن القتل من الكبائر ﴿**وألقوه في غيابة الجب**﴾ وهو بئر مهجورة لا يردها أحد ﴿**يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين**﴾ .

فأجمعوا أمرهم أن يدخلوا على أبيهم ويكلموه في إرسال يوسف معهم المرعى فقال لهم روبيل وهو أكبر أبناء يعقوب إن أباكم لا يأمنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا نلعب بين يديه فإذا نظر إلينا كيف نمرح ونلعب اشتاق إلى ذلك فأقبلوا على يوسف وهو جالس يسبح الله فأخذوا يلعبون ويضحكون أمامه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق إلى اللعب معهم فأقبل عليهم وقال يا أخوتاه أهكذا تلعبون في مراعيكم؟ فقالوا: نعم يا يوسف إنك لو رأيتنا ونحن نلعب في مراعينا لتمنيت أن تكون معنا فشوقوه إلى ذلك حتى كان هو الطالب إليهم فقال لهم: يا إخوتاه انطلقوا إلى أبي واسألوه أن يرسلني معكم فأقبلوا إلى يعقوب ووقفوا بين يديه صفاً وكانوا يفعلون هكذا إذا أرادوا أن يسألوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقوفاً صفوفاً قال لهم ما حاجتكم؟ قالوا: ﴿**يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون**﴾ فقال يعقوب: ﴿**إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون**﴾ لا تشعرون بذلك.

رؤيا يعقوب للذئاب:

قال ابن عباس قال يعقوب إني أخاف أن يأكله الذئب لأنه رأى في منامه كأن يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه وإذا ذئب منها يحمي عنه وكأن الأرض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم وأخاف أن يأكله الذئب قالوا: ﴿لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون﴾ فلما سمع يعقوب ذلك منهم اطمأن إليهم وأقبل يوسف حتى وقف بين يدي أبيه فقال يا أبت أرسلني معهم - قال يعقوب أو تحب ذلك يا بني؟ قال نعم... فأذن له وفي الصباح لبس يوسف ثيابه وشد عليه منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع إخوته، ثم عمد يعقوب إلى السلة التي حمل فيها إبراهيم زاد إسحاق فحمل فيها زاداً ليوسف وخرج لبشعهم فقالوا: يا نبي الله أرجع فقال يعقوب يا بني أوصيكم بتقوى الله وبحبي يوسف أسألكم بالله إن جاع فاطعموه وإن عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تعبوه ولا تخذلوه وكونوا متواصلين متراحمين. قالوا نعم يا ابانا - كلنا لك وهو أخونا كأحدنا بل له الفضل علينا بحبك إياه قال نعم يا بني - الله خليفتي عليكم - ثم أقبل على يوسف فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه ثم قال استودعك الله رب العالمين وانصرف راجعاً.

تعذيب يوسف وإلقاؤه في البئر:

توجه الإخوة إلى المرعى في الصحراء ولما توغلوا بعيداً أظهروا له العداوة فضربوه فأخذ يستغيث بهم واحداً بعد الآخر وهم يضربونه فلا يرى منهم رحيماً واخذوا ما كان زوده به يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشاً شديداً فقال لهم اسقوني جرعة من ماء قبل أن تقتلوني فلم يسقوه - فلما اشتد به ضربهم وتعذيبهم أخذ يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الآباء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف

وأحسنهم فيه رأياً إنكم قد أعطيتم موثقاً أن لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على إلقائه في الجب كما قال الله تعالى: **﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب﴾** فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الأردن في الطريق المؤدي إلى مصر وعلى بعد عشرة أميال من منزل يعقوب وكانت بئراً موحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق من طرح فيها يهلك وكان ماؤها ملحاً وكان هذا الجب يسمى جب الأحزان.

فلما أرادوا أن يلقوه فيه أخذوا يدلونه فكان يتعلق بأحجار البئر فربطوا يديه إلى عنقه، ونزعوا قميصه، فقال يا إخوتاه ردوا علي قميص أستر به عورتي، ويكون لي كفناً بعد مماتي، وأطلقوا يدي أطرد بهما عني هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تلبسك وتؤنسك ـ فدلوه في البئر بحبل ـ فلما بلغ نصفه قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه فأخرج الله على وجه الماء صخرة لينة ورفعها إلى يوسف فوقف عليها وأخذ يوسف يبكي فنادوه فظن أنها رحمة لحقتهم فأجابهم فهموا أن يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه.

رحمة الله تحوط يوسف:

سبقت رحمة الله غضب إخوة يوسف عليه وانتقامهم منه بالموت أو الفراق فعندما ألقي يوسف في الجب أرسل الله إليه ملكاً حل قيده وألبسه قميصاً من الجنة ليحفظه ـ وهذا القميص هو قميص جده إبراهيم الذي أتاه به جبريل عليه السلام وقت أن ألقي في النار وقد عذب ماء البئر وبورك فيه فكان يغنيه عن الطعام والشراب.

دعاء يوسف في البئر:

روي أن الملك أتاه بفاكهة من الجنة فأطعمه إياها وظل معه طول النهار ليؤنسه فلما أمسى استأذن الملك أن يخرج فقال له يوسف إنك إذا خرجت عني

استوحشت فقال له الملك إذا هبت شيئاً فقل: (يا صريخ المستصرخين ـ يا غياث المستغيثين ـ يا مفرج كرب المكروبين ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري) فلما دعا يوسف بهذا الدعاء آمنه الله وبعث إليـه سبعين ملكـاً فحفوا به وآنسوه في البئر ثلاثة أيام ـ وفي اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ها هنا في هذا الجب؟ قال إخوتي لأبي: قال ولم؟ قال حسدوني على منزلتي من أبي: قال أتحب أن تخرج من هذا الجب؟ قال نعم ـ قال قل: يا صانع كل مصنوع، يا جابر كل مكسور، ويا حاضر كل ملأ، ويا شاهد كل نجوى، ويا قريباً غير بعبد، ويا مؤنس كل وحيد، ويا غالباً غير مغلوب، ويا علام الغيوب، ويا حياً لا يموت، ويا محيي الموتى، لا إله إلا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والأرض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والإكرام، أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لي من أمري ومن ضيقي فرجاً ومخرجاً وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب: فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجاً ومن كيد إخوته فرجا، وأتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب، وأوحى إليه في البئر لتنبئن إخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون إنك يوسف ذلك قوله تعالى: ﴿**لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**﴾ .

إخبار يعقوب بالكارثة:

رجع أبناء يعقوب إلى أبيهم بعد أن ذبحوا شاة من الغنم ولطخوا بدمها قميص يوسف الذي نزعوه من جسده ساعة إلقائه في البئر فوجدوا أباهم يعقوب جالساً على قارعة الطريق ينتظرهم حتى يعودوا بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا، وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم، وبكوا ففزع يعقوب وقال ما لكم يا بني وأين يوسف؟ ﴿**قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق**﴾ أي في النضال بالسهام ﴿**وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب**﴾ .

الذئب الحليم:

ولما كان المريب يشعر من نفسه بالتهمة ويتخيل أن كل واحد قد اطلع على خبيئة أمره قالوا لوالدهم: ﴿**وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ـ وجاؤوا على قميصه بدم كذب**﴾ فلم يخف عليه شأنهم وكان كمهرة المحققين في القضايا في هذه الأيام فأخذ القميص وفتشه وفحصه جداً ولما لم يجد به تمزيقاً ولا قطعاً قال لهم متهكماً متحسراً ما أحلم هذا الذئب الذي افترس ولدي يوسف ولم يخرق عليه قميصه ولم يعمل في قميصه ناباً ولا ظفراً ثم قال لهم ﴿**بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون**﴾ .

الذئب يتكلم ليعقوب:

وفي الليلة الثانية لفقد يوسف قال يعقوب لبنيه إن كنتم صادقين أن الذئب اكله فأين الذئب؟ إيتوني به ـ فعمدوا إلى حبالهم وعصيهم فأخذوها و مضوا إلى الصحراء فاصطادوا ذئباً وأوثقوه ثم حملوه إلى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال له يعقوب: أقبل فأقبل الذئب حتى وقف بين يدي يعقوب منكساً رأسه فقال له يعقوب: أيها الذئب هل أكلت ولدي وقرة عيني وحبيب قلبي وثمرة فؤادي يوسف؟ فتكلم الذئب وقال: لا وحق شيبتك يا نبي الله ما أكلت لك ولداً وإن لحومكم ودماءكم معشر الأنبياء لمحرمة علينا وإني لمظلوم مكذوب علي وإني لذئب غريب من بلاد مصر. فقال له يعقوب: وما أدخلك أرض كنعان قال جئت لأزور قرابة لي من الذئاب فعند ذلك تولى يعقوب عن أولاده وقال يا أسفي على يوسف وأخذ يبكي بكاء شديداً حتى ابيضت عيناه من الحزن والبكاء وذهب بصره.

خروج يوسف من البئر:

بعد أن ترك يوسف في البئر وكانت قليلة الماء جاءت قافلة من المارة متجهة

إلى مصر فارسلوا واحدا منهم ليأتيهم بماء من البئر ليرتووا فأدلى دلوه في الماء فتعلق به يوسف. فلما نزع الدلو يحسبها قد امتلأت ماء فإذا غلام وسيم تعلق بها فاستبشر الرجل وقال يا بشرى هذا غلام فاخذوه وجعلوه بضاعة لهم يبيعونها في مصر عند وصولهم إليها.

بيع يوسف في مصر:

قال وهب بن منبه قدمت القافلة التي تحمل معها يوسف مصر فدخلوا بيوسف إلى سوق العبيد يعرضونه للبيع فرافع الناس في ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقاً وحريرا فاشتراه قطفير عزيز مصر بهذا الثمن من مالك: الرجل الذي اشتراه من القافلة الأولى بثمن بخس دراهم معدودة ـ فلما اشتراه قطفير أتى به منزله وقال لامرأته اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً.

ولما كان قطفير عزيز مصر رئيساً لشرطتها فألقى الله في قلبه محبة يوسف فاصبح يوسف أثيرا لديه فجعله صاحب أمره ونهيه والرئيس على خدمه والمتصرف في بيته بحيث لم يكن لأحد ممن في الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته وقد تولى الله تعالى يوسف بالهداية والتربية والتوفيق وعلمه من لدنه علما عظيما كما قال تعالى: **﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾**.

يوسف وامرأة عزيز مصر:

نشأ يوسف في بيت العزيز غلاماً مكرماً محبوباً عزيزاً ولما استوى يوسف وتجاوز مرحلة الصبا كان شبابه ناضراً مشرقاً رائعاً وأدبه رفيعاً عالياً فتأملته امراة العزيز ورات حسنه وجماله ونظرت إلى ما هو عليه من الخلق السوي والجمال المفرط فأشعل ذلك في نفسها جذوة الحب ـ وصار يزداد بتكرار رؤيتها له إلى أن

غلب الحب على حياتها فأخذت تداعب يوسف وتراوده عن نفسها ولكنه رفض مداعبتها له ومراودتها إياه لسببين.

١ ـ إيمانه بالله وامتثاله أوامره بالتزام الطهارة من الأرجاس الخلقية تلك الطهارة التي وجد عليها أباه وأجداده.

٢ ـ أن زوجها قطفير هو سيده قد حدب عليه وأكرم مثواه ومكن له في بيته وجعله المتصرف في أمواله وخدمه، ووثق به ثقة ليس لها حد فلا ينبغي أن يقابل نعمته بالكفران. فلو لم يكن له دين يحجزه عن الشر ويلزمه الطهارة لكان ذلك كافياً لحفظ سيده في أهله والبعد عن تدنيس فراشه.

ولما هاج غرامها اعتزمت وأصرت على قضاء ما في نفسها من الصبابة فدعته إلى نفسها وغلقت الأبواب وقالت ليوسف ﴿هيت لك﴾ فأبى وقال إن سيدي قطفير أحسن مثواي فلا يصح لي أن أخونه في زوجته، وأدنس فراشه فعاودته مع الإغراء والمغازلة ـ فقال لها لقد أكرمني وائتمنني على بيته فإن خنته في أهله فأنا ظالم ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى إخباراً عن هذه الحادثة: **﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلقت الأبواب ـ وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾** وكان رفض يوسف سبباً في اشتعال نار حبها ووجدها به فأخذت تأمره تارة وتعظمه تارة وتدعوه إلى اللذة والمتاع وهو شاب في ريعان شبابه وغضارة الفتوة **﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾**.

برهان الله:

وللعلماء في تفسير آية: **﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾** آراء متعددة.

١ ـ فقوم يقولون: إن امرأة العزيز قد همت بيوسف ليضاجعها وهو هم بها وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته فلم يبق شيء دون إتمام ما قصدته وقصده

جاء جبريل وأخبره بأنه سيكون نبياً وهذا العمل لا يليق من الأنبياء فكف عنها وهذا برهان ربه ومعنى الآية لولا أن رأى برهان ربه لفعل

٢ ـ وقال آخرون: إن البرهان الذي رآه يوسف وهو على هذه الحال أنه نظر فرأى وجه أبيه يعقوب وهو يؤنبه على هذا العمل عاضاً على أنامله.

٣ ـ وقال آخرون: إن يوسف وهو في تلك الحال نودي من الله يا يوسف إنك مكتوب في ديوان الأنبياء وتعمل عمل السفهاء.

٤ ـ والفريق الرابع: يقول إن هم يوسف بالمرأة امتنع لوجود البرهان عنده وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بآداب آبائه وبأخلاقهم الزكية الطاهرة ـ فلولا حرف امتناع لوجود أي امتنع الهم لوجود البرهان.

المعركة التاريخية:

لما رأى يوسف برهان الله امتنع عنها وقام مبادراً إلى باب البيت هارباً مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى: ﴿**واستبقا الباب**﴾ فأدركته المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها مانعة له من الخروج فهو يريد فتح مغلق الباب وهي تريد أن تحول بينه وبين ما يشتهي من الإفلات من يدها دون قضاء لبانتها ـ وهنا شقت قميصه من الخلف لأن يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة ـ وحينئذ وجدا زوجها قطفير عند الباب جالساً مع ابن عمها ـ فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً يعني الزنا إلا أن يسجن أو عذاب أليم ـ فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها فأدركتني وشقت قميصي ـ قال بعضهم ـ ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها.

الشاهد:

اختلف العلماء في شاهد يوسف فقال السدي إنه ابن عمها الذي كان جالساً أمام الباب مع زوجها قطفير بدليل قوله تعالى: ﴿**وشهد شاهد من أهلها**﴾ فشهد بما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿**إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين**﴾ لأن الهاجم على المرأة وهي تدافعه إنما يظهر أثر دفاعها في مقدمة قمصه والهارب من المرأة العالقة بثوبه إنما يظهر أثر ذلك من الخلف لأنه يكون مستديراً وهي تجذبه من خلف قميصه.

وقال سعيد بن جبير والضحاك كان الشاهد صبياً في المهد أنطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم فلما رأى العزيز أن قميص يوسف قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال لائماً لامرأته ﴿**إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم**﴾ ثم التفت إلى يوسف وقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث فاكتمه ولا تذكره لأحد ثم قال لامرأته: ﴿**استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين**﴾ حينما راودت شاباً عن نفسه، وخنت زوجك وهذه الواقعة ذكرت في قول الله تعالى: ﴿**قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ـ قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ـ فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم، يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين**﴾.

شيوع الخبر في المدينة وتحدث النساء به: شاع نبأ امرأة العزيز وفتاها أرجاء المدينة وتحدث الناس به ولاكته أفواه النساء، ﴿**وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين**﴾ حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت «امرأة العزيز» بكيدهن أرسلت إلى طائفة من نظيراتها

العاذلات واعتدت لهن مكاناً يجلسن فيه وقدمت إليهن طعاماً يقطع بالسكين وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت ليوسف أريد أن أزينك بأحسن الزينة وأخرجك على هؤلاء النسوة فلا تخالفني فقال إفعلي ما بدا لك فألبسته الحرير واللؤلؤ وتـوجتـه بتاج من الذهب مرصعاً بالجواهر وقالت له أخرج عليهن فخرج وهو مشرق بالنور وأحسن من الولدان والحور، فلما رأته النساء أكبرنه وقطعن أيديهن من الدهشة والنظر، وقلن ما شاء الله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم قالت زليخا فذلكن الذي لمتنني فيه، فقالت النسوة، يا يوسف أطع مولاتك فيما تقوله لك، فقالت زليخا ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ولما رأى يوسف أن زليخا لا ترجع عنه، قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن.

يوسف في السجن: لما كثر الكلام في موضوع زليخا ويوسف في المدينة، خشي العزيز على نفسه من كلام الناس، فأمر بسجن يوسف فدخل السجن على غير جريمة، ولما حبس يوسف أصبحت زليخا لا يطيب لها مهجعاً ولا مناماً ولا طعاماً حتى نحل جسمها أما يوسف فكان يستأنس بالمسجونين ويتحدث إليهم وكان جبريل يأتيه في السجن ليزوره كل شهر ويبشره بأنه سيصير ملكاً. وكان قد دخل معه السجن فتيان: أحدهما رئيس الخبازين عند الملك، والثاني رئيس سقاته.

رؤيا الخباز والساقي: لما دخل يوسف السجن قال لأهله إني أعبر الأحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد العبراني فنتراءى به فسألاه في غير حلم فقال الساقي إني رأيت كأني في بستان فإذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها كلها وكأن كأس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى: ﴿**قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً**﴾ يعني عنباً بلغة عمان - وقال الخباز إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين.

إحسان يوسف في السجن: قال قتادة كان إحسان يوسف في السجن هو أنه كان يداوي مريضهم، ويعزي حزينهم، ويوسع على محتاجهم، وكان يسري عنهم ويقول لهم: أبشروا واصبروا تؤجروا إن في هذا الصبر ثواباً فكانوا يقولون له يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف بن ذبيح الله إسحاق بن خليل الله إبراهيم عليه السلام ـ فقال له عامل السجن: والله يا فتى لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك، وأحسن إيثارك فكن في أي بيت شئت.

تعبير رؤيا الخباز والساقي: لما سمع يوسف رواية رؤيا الخباز والساقي كره في أول الأمر أن يعبر لهما رؤياهما لما في إحداهما من مكروه على صاحبها فأعرض عن الجواب وأخذ في غيره وبعد إلحاحهما الشديد عليه فسر رؤياهما. فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما وهو الساقي فسقي ربه خمراً يعني الملك ويعود إلى منزلته التي كان عليها أما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج بعدها وأما الآخر فيصلب والسلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام يمكثها في السجن ثم يخرج ـ فيصلب فتأكل الطير من رأسه ـ فلما سمعا قول يوسف قالا ما رأينا شيئاً إنما كنا نلعب ونجرب علمك فقال يوسف، قضي الأمر الذي فيه تستفتيان. أي فرغ الأمر الذي عنه تسألاني ثم قال يوسف للذي علم أنه ناج منهما، وهو الساقي، أذكرني عند ربك أي عند الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلماً فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين.

مدة سجن يوسف: لبث يوسف في السجن بضع سنين، والبضع هنا سبع سنين، وقال مالك بن دينار ـ لما قال يوسف للساقي أذكرني عند ربك، أوحى الله إليه يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً، لأطيلن حبسك، فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت ما قلت ـ فويل لإخوتي ـ وروى يونس عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ «رحم الله أخي يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث» بعني قوله أذكرني عند ربك ثم بكى، ويحكى أن جبريل عليه السلام دخل

على يوسف وهو في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين، ما لي أراك بين المخطئين؟ فقال له جبريل عليه السلام. يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك، اما استحيبت مني أن استشفعت بالآدميين فوعزتي لألبثنك في السجن بضع سنين. قال يوسف يا أخي جبريل وهو في ذلك راضٍ عني؟ قال نعم ـ قال إذاً لا أبالي.

خروج يوسف من السجن: بعد تلك السنين، أراد الله أن يعجل بالفرج ليوسف، فهيأ له الأسباب، فجاءه جبريل في السجن وقال له يا يوسف قد قرب الفرج من عند الله تعالى وذلك أن الملك الريان بن الولبد، يرى مناماً لم يقدر أحد من الناس على تفسيره ويكون ذلك سبباً لخروجك من السجن.

رؤيا الملك: رأى الريان بن الوليد ملك مصر في منامه، كأن نهر النيل قد جف وطلع منه سبع بقرات سمان جميلات، فارتعت البقرات في روضه، ثم طلع بعد ذلك سبع بقرات ناحلات ضعيفات فأكلن تلك البقرات السمان، ثم رأى سبع سنبلات خضر وقد التفت عليها سبع سنبلات جافة فأيبستها في الحال، فانتبه من نومه مرعوباً فأمر بإحضار المفسرين، وقص عليهم رؤياه، ولما سمعوا ذلك منه قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين، وفي اليوم الثاني نسي الملك حلمه، فضاق صدره وأحضر المعبرين وقال لهم هل تذكرون شيئاً مما كنت قد قصصته عليكم بالأمس من تلك الرؤيا، قالوا لقد نسيناه جميعاً، فغضب الملك على المعبرين فأسعفه ساقيه، وقال له أيأذن لي الملك في تعبير هذه الرؤيا التي يعبرها لك غلام في السجن من أولاد يعقوب هو أعلم بتعبيرها، (قال الملك أئتوني به) ولما دخل يوسف على الملك سلم عليه فقال الملك رأيت في المنام رؤيا ونسيتها، فقال يوسف نعم أيها الملك، رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان كشف لك عنها نهر النيل. فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلافهن لبناً فبينما أنت كذلك تنظر إليهن وقد أعجبك حسنهن، إذ غضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع، ولا

أخلاف، ولهن أنياب وأضراس، وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع، فاختلطن بالسمان وافترسنهن افتراس السباع، وأكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن. فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل، لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن، إذ بسبع سنبلات خضر وسبع أخر سود يابسات في منبع واحد، عروقهن في الثرى والماء. فبينما أنت تقول في نفسك ما هذا؟ هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولها في الماء. إذ هبت ريح فذرت أوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فأشعلت فيهن النار فاحترقن وصرن سوداً متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا - ثم انتبهت من منامك مذعوراً. فقال الملك حقاً إنها الرؤيا التي رأيتها. فمن أخبرك بها؟ فقال أخبرني بها جبريل رسول رب العالمين - فقال الملك وما ترى في هذه الرؤيا أيها الصديق؟ فقال بأتيك سبع سنين مجدبة - فقال له وما التدبير في ذلك يا يوسف؟ فقال ازرعوا زرعاً كثيراً في السنين السبع المخصبة ثم احصدوه وذروه في سنبله وقصبه وكذلك جميع الحبوب وابنوا له مخازن كباراً فيكون القصب علفاً للدواب والحب قوتاً للناس، قال الملك ومن يتولى هذا التدبير قال يوسف اجعلني على خزائن الأرض فإني حفيظ عليم، فوعده بالنظر.

يوسف يتولى الحكم في مصر: أجرى الملك تحقيقاً دقيقاً في موضوع التهمة التي ألصقت بيوسف على النحو الذي أخبرنا به القرآن الكريم ولما تبين للملك براءة يوسف وعرف أمانته وكفايته وديانته وعلمه وعقله وحسن تعبيره الرؤيا قال له الملك بعدما أعلمك الله كل هذا العلم ليس عندنا بصير وحكيم مثلك. قد جعلتك حاكماً على كل أرض مصر - قال ابن عباس فدعاه الملك وتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدرر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشاً وستون نمرقة - ثم أمره أن يخرج فخرج متوجاً وفي عنقه طوق من الذهب فكان لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر فيه من بياض وجهه وصفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على سرير الحكم

وفوض إليه أمر مصر وعزل قطفير من منصبه ـ وسمي يوسف « صفنات فعنيح » وأعطاه آسنات بنت فوطى فارع كاهن أور زوجة وكان يوسف ابن ثلاثين سنة حين كان هذا الحادث. فخرج يوسف وارتحل في كل أرض مصر لتفقد الأحوال ونهيئته الأعمال اللازمة لمقاومة الجوع في البلاد.

إخوة يوسف والقحط: مرت السنون السبع المخصبة وأعد يوسف عدته فيها واتخذ الخزائن والمخازن وخزن الغلات في سنابلها ـ ثم جاءت السنون السبع المجدبة في جميع أنحاء الأرض. فذهب المصريون إلى فرعون يطلبون القوت فأحالهم على « صفنات فعنيح » يوسف ففتح المخازن وباع لهم من الطعام ما يكفيهم وأحس أهل فلسطين الجوع وعلموا أن الطعام بمصر فأرسل يعقوب أولاده ومعهم الجمال والحمير لحمل الطعام وأعطاهم الثمن. فقدموا إلى مصر لشراء قوت لأهلهم ـ فلما قدموا إلى مصر رآهم يوسف فعرفهم ولم يعرفوه ـ ذلك أنه ناهز الأربعين من العمر وقد كسته أبهة الملك مهابة تغض عنه عين الناظرين إليه أما هم فعلى حالهم في ملبسهم ولغتهم ومنظرهم.

مناقشة يوسف لإخوته: عندما نظر إليهم يوسف وكلموه بالعبرانية، قال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم؟ فقالوا نحن قوم من أهل الشام، رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار ـ فقال: لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي؟ فقالوا: لا والله ما نحن بجواسيس، وإنما نحن إخوة بنو أب واحد شيخ كبير من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال: فكم أنتم؟ قالوا: نحن كنا اثني عشر، فذهب منا أخ إلى البرية فهلك، وكان أحب إلى أبينا منا ـ قال: كم أنتم ها هنا؟ قالوا: عشرة قال: فأين الحادي عشر؟ قالوا عند أبينا لأنه أخو الذي هلك من أمه فأبونا يتسلى به ـ قال فمن يعلم أن الذي تقتلونه حق؟ فقالوا: أيها الملك إننا في بلاد لا نعرفها، فقال يوسف: لكم عشرة أحمال فقط بعددكم ـ لكل واحد منكم حمل بعير، فإن أردتم أحد عشر حملاً فأتوني بأخيكم من أبيكم الذي تقولون عنه لأعابنه إن كنتم صادقين، قالوا نحن موافقون وسنراود عنه أباه، فقال يوسف ضعوا بعضكم

عندي رهينة في مقابل الحمل الزائد حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون.

عندئذ جهز يوسف إخوته بالطعام الذي اشتروه. ثم قال لهم حتى أعاملكم مرة أخرى فلا بد أن تؤتوني بأخيكم، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ذلك أنه رأى إخوته جميعاً إلا أخاه لأمه، بنيامين وهو أصغر منه ـ فأخذ في استدراجهم حتى علم منهم حياته وأنه عند أبيه ولم يسمح بمفارقته فأعطاهم الطعام بلا ثمن في الواقع ليأتوه بأخيهم دون أن يعلموا أنه رد عليهم الثمن ـ وكان يوسف قد أكرمهم وأظهر لهم السماحة وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم التي دفعوها ثمناً للطعام في أوعيتهم فإنهم يعودون بها إلينا، لأنهم لا يقبلون ما ليس لهم وقد جعل يوسف ذلك شركاً لهم ليعودوا إليه.

إخوة يوسف عند أبيهم: عاد إخوة يوسف إلى أبيهم وأخبروه أن ملك مصر منعهم الشراء من الطعام فيما بعد حتى يأتوه بأخيهم لأبيهم، فتذكر يعقوب قديم أمرهم بحديثه وعاودته لوعته على يوسف فقال لهم: ﴿هل آمنتكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل﴾ ولما فتح إخوة يوسف متاعهم لاستخراج الطعام الذي أتوا به من مصر وجدوا فضتهم بحالها لم تمس فكان ذلك مما شدد عزائمهم في الكلام مع أبيهم وقالوا له: يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا: فإذا سمحت بأخينا يذهب معنا إلى الملك فإننا نمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير وهو شيء يسير عند الملك الذي طلب أخانا ـ فقال يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم ـ أي إلا أن تغلبوا على أمركم فأعطوه موثقهم على الوفاء بما اشترط ـ وحينئذ قال: الله على ما نقول وكيل: وأوصى بنيه أنهم إذا أتوا مصر لا يدخلون من باب واحد بل يدخلون من أبواب منفرقة وذلك أنه خالف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا أولاد رجل واحد.

بنيامين وإخوته عند يوسف: نزل إخوة يوسف مرة ثانية إلى مصر ـ فلما رأى

يوسف إخوته ومعهم بنيامين أمر غلمانه بإضافتهم وأن يذبحوا لهم ويهيئوا طعاماً لأكله معهم وقت الظهر.

ولما جاء وقت الغداء دخل يوسف فدعاهم إلى الطعام فدخلوا وقدموا إليه الهدايا فنظر إلى بنيامين وقال: أهذا أخوكم الصغير الذي قلتم لي عنه؟ ودعا قائلاً الله ينعم عليك يا بني: ولم يطق يوسف الجلوس معهم لما حضره من الحنين إلى أخيه فذهب إلى مكان منفرد وبكى ثم عاد وسألهم عن والدهم وسلامته وأحواله ثم قدم إليهم الطعام والإكرام.

حيلة يوسف في إبقاء بنيامين عنده: بعد تناول الطعام وفي فترة الاستراحة آوى يوسف، إليه أخاه بنيامين فلما خلا به قال له إني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشيء من هذا فقال بنيامين فإني إذاً لا أفارقك قال يوسف صبراً ـ ثم أمر بتجهيز إخوته على النحو الذي ذكر في الآيات الآتية: **﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون. قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون. قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ـ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ـ قالوا فما جزاؤه إن كنتم فاعلين ـ قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ـ قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون قالوا: يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين ـ قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون. فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين إرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين، واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا**

لصادقون ـ قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جيل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم ـ وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم. قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرصاً أو تكون من الهالكين قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ـ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ .

. **يوسف يتعرف إلى إخوته:** عاد إخوة يوسف إلى مصر للمرة الثالثة فدخلوا على يوسف وقالوا له: ﴿يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضرر﴾ من الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة قليلة رديئة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا بإطلاق أخينا إن الله يجزي المتصدقين فقال لهم يوسف مذكراً بما كان منهم من الإساءة إليه: **﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون﴾** وكان يكلمهم في هذه المرة بالعبرانية **﴿قالوا أئنك لأنت يوسف؟ قال أنا يوسف، وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ـ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ـ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ـ اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ .**

فلما فصلت عيرهم من مصر كانت نفس يعقوب مستشرقة متفائلة مستبشرة فكان يتوقع الفرج بلقاء يوسف الذي طال حزنه عليه فقال لمن حوله من جماعته **﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾** أي لأخبرتكم بأني أتوقع لقاءه فقالوا له: **﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾** ولم يطل به الانتظار حتى جاء البشير إلى يعقوب بسلامة يوسف وأخيه وألقى قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيراً فطابت نفسه وقرت عينه وقال لمن حوله: **ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا إستغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ـ قال سأستغفر لكم ربي ثم قام وصلى لله صلاة الشكر ثم رفع يديه إلى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لأولادي ما جنوا على أخيهم يوسف ـ** ثم سأل البشير كيف يوسف قال له إنه ملك مصر فقال يعقوب ما صنع بالملك وعلى أي

دين بركته ـ قال على دين الإساءة فقال يعقوب الحمد لله الآن تمت النعمة.

دخول بني إسرائيل: شد يعقوب إسرائيل الله، وبنوه وآله أجمعون رحالهم إلى مصر فلما جاؤوا إليها دخلوا على يوسف فآوى إليه أبويه أي يعقوب وزوجه ـ خالة يوسف لأن أمه كانت قد ماتت وهو صغير ورفعهما على العرش فخروا له سجداً سجود تحية فقال يوسف: **﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾** وهذا من لطف الله بي وبكم **﴿إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾** ـ ثم دعا يوسف بدعائه الطيب المعروف **﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾**.

دخل يعقوب وأولاده مصر وهم اثنان وسبعون إنساناً ما بين رجل وامرأة كان ذلك حوالي سنة ١٥٧٣ قبل الميلاد. ثم خرجوا منها مع موسى وهم ستمائة وعشرون ألفاً وكان ذلك في عام ١٢١٣ قبل الميلاد.

أخلاق يوسف عليه السلام المستفادة من قصته: الأخلاق الفاضلة التي يمكن أن تستنبط من قصة يوسف عليه السلام في جميع جوانبها كثيرة... فالقصة عظيمة ... بالمادة فهي تبين لنا ما يأتي:

١ ـ **العفة والأمانة في قمتها:** ... شاب في ريعان شبابه محفوف بالمغريات ومتحجاب الشبوة استمسك بدينه. لأنه نشأ على تقوى الله وحسن الخلق وفي عهدة الأخلاق النبوية الكريمة في بيت نبوي تربى فيه على سلوك وأخلاق آبائه وأجداده الصالحين المصطفين الأخيار إبراهيم وإسحاق ويعقوب فرفض الشر والخيانة والمعصية ولم يغير مبدأه السجن والإذلال مع أنه لو أجاب لكان سيداً منعماً مرفهاً.

٢ ـ **الطهارة:** فقد شب يوسف على فضائل الأوصاف بعيداً عن أتباع الشهوات فكان طاهراً بما أخذه وتعلمه ونفذه من سلوك آبائه وأجداده الأنبياء

وعزوفهم عن كل ما يشينهم أو يخل بأوامر دينهم ـ فقد دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها وأغرته بكل المغريات وهو شاب غض الإهاب مشتعل الجذوة فقال معاذ الله ـ مستمسكاً بالطهارة والتنزه والعفاف.

٣ ـ **الإيمان بالحدود الشرعية**: إيمان يوسف الملق بحدود الله الشرعية وتمسكه بالمبادىء الخلقية الكريمة أفصح عن نفسه الكريمة وروحه الطاهرة وعزمه القوي مما جعله محلا لفضل الله ففتح الله بصيرته وعلمه ما لم يكن يعلم ـ علمه من تأويل الأحاديث ـ فكان لا يأتيه أحد يقص عليه رؤياه إلا أتاه بتأويلها على وجهه الصحيح **﴿اتقوا الله ويعلمكم الله﴾**.

٤ ـ **الصبر**: وخلق الصبر كما وضحه الله تعالى في قوله: **﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾** لقد كان يوسف عليه السلام متحلياً بخلق الصبر ـ والصبر من أخلاق الله تعالى فقد قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: **﴿تخلقوا بأخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور﴾** وإن من صبر يوسف ما يأتي:

أولاً: صبر على إيذاء إخوته له وتجريده إياه من ثوبه ولطمه وضربه وإلقائه في الجب بقصد إهلاكه.

ثانياً: صبر على استرقاقه وبيعه في سوق العبيد بمصر.

ثالثاً: صبر على نعمة الله فجاورها بالشكر، وجانب البطر حين تمكن في بيت سيده وصار صاحب الأمر والنهي فيه فلم يسيء استعمال المال بصرفه على الشهوات بل شكر لله ولسيده.

رابعاً: صبر على شهوة الفرج وقد هيئت له في طائفة من المغريات تحف به من كل ناحية، فالطالبة سيدته وربة نعمته مع ما هي عليه من جمال ورفاعة ورغبة فيه ـ وهو شاب في إبان فيضه الحيوي وقوة جذوة الشهوة واحتشاد الدواعي الطبيعية فخرج من بين هذه المغريات بفضائل العفة ورعاية الذمام متوجاً بتاج الصبر عن

الشهوات وأسقط دواعي الهوى والشباب وغلـب بـواعـث الديـن وكـرم النفس والحفاظ والوفاء .

خامساً : مسته الضراء وألقي في غيابة الجب فحالف الصبر الجميل وسعة الصدر .

سادساً : عفوه عند [illegible]دره . [illegible]

ب [illegible] ابدعـ [illegible] وىدين ثاره وهم يمتارون إخوته وجاء خزائنها على وجعله مصر وأودعوا عنده إساءتهم سلفاً ـ لم يجز شرهم بمثله . بل صبر وغفر ـ ولما قالوا له أئنك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين فأظهروا ندمهم واعترفوا بخطئهم قائلين: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين، فعفا عن إساءتهم له وقال لهم: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

٥ ـ الشكر: والشكر من أخلاق الله تعالى فقد قال عز وجل: ﴿**والله شكور حليم**﴾ وشكر الناس هو معرفة النعمة الحاصلة من النعم والفرح بها والقيام بمقصود المنعم والعمل بما يحبه . . وهذا الخلق عزيز في الناس ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾ ويوسف كان متحلياً بفضيلة الشكر فكان يتحدث بنعم الله تعالى عليه وعلى آله شاكراً لأنعم الله قال تعالى: ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ ـ ذلك أنه لما جاء أبواه رفعهما على العرش وخر له أبواه وإخوته سجداً قال: ﴿**يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكـم مـن البـدو مـن بعـد أن نـزغ الشيطـان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم**﴾ .

وكان ختام قصته شكره لله في قوله: ﴿**رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين**﴾ .

وفاة يوسف عليه السلام:

عاش يوسف عليه السلام بعد وفاة أبيه يعقوب ثلاثاً وعشرين عاماً، ثم مات عن مائة وعشرين سنة حكم مصر ٨٠ ثمانين عاماً منها، وعند موته تشاح المصريون في قبره، فجعلوه في صندوق من مرمر، ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه.. فسبحان من له وحده الدوام والبقاء والخلود.

اخلاق ايوب عليه السلام

كان النبي أيوب عليه السلام امرأ حسن الخلق مؤمناً بالله عابداً تقياً صابراً راضي النفس طيب الفؤاد، عطوفاً على الفقراء، رحيماً بالمساكين بكفل الأرامل والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل، فأثنى الله عليه بقوله: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ وكان دائماً يسبح الله بقوله: ﴿سبحانك ربي صاحب الملكوت﴾ فكانت الملائكة نردد تسبيحه في السماء. فحسده إبليس وسلط عليه في ماله وأولاده وبدنه. فصبر أيوب صبراً جميلاً فخسئت الشياطين وانتصر الصبر مع الإيمان بالله..

نسبه ونبوته: هو أيوب بن عيص بن تاخوران بن تاخير بن أنوش بن رومي بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وكانت أمه من بنات لوط عليه السلام وزوجته تسمى رحمة ابنة إفرانيم بن يوسف عليه السلام. وكان رومي الجنسية ويسكن في الشام اصطفاه الله ونبأه وأرسله نبياً ورسولاً إلى أهل حوران من نواحي دمشق.

أوصافه: كان رجلاً طويلاً عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين قصير العنق غليظ الساقين والساعدين.

معيشته: أنعم الله على نبيه أيوب فبسط له رزقه ووسع عليه دنياه ـ فملك من أرض الشام خمسمائة فدان، ومن المواشي سبعة آلاف من الغنم وثلاثة آلاف من

الجمال وخمسمائة من البقر وخمسمائة من الخيول وخمسمائة من الحمير ، ومن العبيد خمسمائة عبد ومن الإماء والغلمان كذلك .

وقد أعطاه الله أهلاً وولداً من رجال ونساء فكان له من البنين سبع من الذكور وثلاث من الإناث .

أخلاقه: كان امرأ حسن الخلق كاملاً مستقيماً تقياً نقياً رحيماً بالمساكين . يكفل الأرامل والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل ، وكان شاكراً ذاكراً صابراً ، شاكراً لله عند النعمة . ذاكراً ربه وقت الشدة . صابراً لله حين البلوى راضي النفس طيب الفؤاد شفيقاً على الفقراء مؤدياً لحق الله تعالى في كل لحظة .

أيوب والسماء: كان الروح الأمين جبريل عليه السلام ، صلة السماء بالأرض وله مكانته العظمى عند ربه . فهو وحيه ومصداق قوله ، فكان يسمع ابتهالات أيوب هي تصعد إلى الملكوت الأعلى في ضراعة عظيمة جامعة بين الشكر والذكر الإيمان والصبر فكان أيوب يعبد الله ويستغفره ويسبحه بعبادات واستغفارات وتسبيحات قصر عنها العابدون فكان حينما يقول ـ سبحانك ربي صاحب الملكوت كانت الملائكة تردد تسبيحاته في السماء . فحسده إبليس على هذه النعمة ، فأخذ يعمل على إبعاد أيوب عن عبادته لربه حتى يخرجه من رحمته . فسلط شياطينه على مال أيوب فأفناه ثم على أولاده فقتلهم ثم على بدنه فأصابه إلى حد الموت ، ولكن أيوب عليه السلام قد صبر صبراً جميلاً واحتمل احتمالاً بالغاً . فخسئت الشياطين وخسرت المعركة وانتصر صبر أيوب مع إيمانه بالله فكشف الله ما به من ضر وآتاه أهله وماله ومثلهم معهم .

معركة أيوب مع الشياطين: ذكر الله عبده ونبيه أيوب بالخير وأثنى عليه بقوله تعالى : ﴿**إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب**﴾ فتجاوبت الملائكة بالصلاة عليه . فسمع إبليس ذلك فأدركه البغي والحسد وصعد سريعاً إلى السماء وقال: **يا إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعاقبته فحمدك ثم لم**

صبره لا بسدة ولا بلاء فاراد الله أن يخزي إبليس فقال إن أيوب رجل كامل ومستقيم يحب الله ويتقيه ويكره الشر وليس له مثيل في الأرض ـ فقال إبليس ـ يا إلهي أنا لك زعيم ـ لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك ـ فقال الله تعالى: **انطلق إليه فقد سلطتك على ماله.**

مؤتمر الشياطين: ذهب عدو الله إبليس حتى بلغ الأرض فصرخ صرخة عالية فجمع الشاطين في مؤتمر كبير. فقالوا له لبيك يا رئيس الشياطين. فقال لهم نريد أن نضل أيوب ونخرجه من رحمة الله، وإني قد سلطت على ماله. وزوال المال هو المصيبة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال. فماذا عندكم من القوة والمعرفة حتى ننجح في عملنا؟ فقال أحدهم إنه يملك الزرع والإبل والمال والقصور والأولاد والخدم فأرى أن نأتي عليها كلها حتى يطير لبه ويظلم قلبه ويسخط على الابتلاء مع المصيبة الفادحة ـ وقال ثان: ليس هذا بالرأي الصائب. فإن الجزع إذا تعدد تعددت العقوبة، ونحن نريد غضب الله عليه مرة بعد مرة حتى إذا تكرر السخط تكررت العقوبة قال إبلبس: إنك لعلى حق. فيأخذ أحدكم في حرق إبله ورعاتها وهي مصدر الخير له في ماله. فقام عفريت بإثارة إعصار ناري آتي على كل شيء. ولما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها في صفة راعيها. ثم انطلق إلى أيوب حتى وجده قائماً يصلي فقال له يا أيوب إن الذي تصلي له قد أحرق إبلك ورعاتها. إنه أنزل ناراً من السماء أتت عليها كلها. فهل تركت ما أنت فيه وعدت لترى الرماد الذي خلفته نيران السماء؟ فقال له أيوب: الحمد لله الذي أعطاني وأخذ مني ما كان وهبني. إنها ماله أعارنيها وهو أولى بها. إن شاء تركها وإن شاء أخذها ـ ما أتيت إلى الدنيا مالكاً. لكنني جئت مملوكاً عريان خرجت من بطن أمي وعريان أعود إلى القبر وعريان أحشر إلى ربي. لا ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ـ فرجع إبليس إلى أصحابه خائباً ذليلاً يعقد مؤتمره مرة ثانية لعله يجد من ينفذ منه إلى قلب أيوب. فقال لهم ماذا عندكم من القوة إني لم أكلم قلبه ـ فقال أحدهم إن لي صوتاً جهيراً مدوياً ما سمعه أحد إلا أخذته الصاعقة وخرجت روحه حيرى إلى الآفاق ـ فقال إبليس ـ أخرج إلى الغنم والرعاة وصح صيحتك حتى لا يبقى شيء إلا

ذهبت روحه . ولم يكد بفعل الشطان ذو الصبحة حتى ذهب إبليس إلى أيوب في خلوته بربه فقال له : أيها الغائب عن وعيك ـ المغرور بعبادتك . إنك تعبـد وهماً . فقد ماتت غنمك وذهب رعاتها فهلا جزعت على مالك ؟ فقال أيوب ليس لي غنم ولا رعاة ، إذ كل مخلوق ملك لمولاه . دعني أناجي وأشكر وحاشاي أن أفجر وأكفر ـ خزي إبليس واسودت الدنيا في عينه وذهب كئيباً يائساً إلى المؤتمر ـ وعزم على أمر قد يخرج أيوب عن جلال وقاره وطلب من شيطانه أن يكون الريح العاصفة التي تقلع كل شيء ـ فأتت على الزرع كله وزارعيه ثم أفنت كل ما بقي على الأرض وجاء إبليس يهمس همسانه . وأيوب غارق في مناجاته فزجره وقال له لله ملك السموات والأرض ـ فرجع إبليس خائباً . ثم صعد إلى السماء فقالت له الملائكة : كيف رأيت صبر أيوب ؟ فقال هو على ثقة من ربه . فلو سلطني الله على أولاده لما كان يصبر ولما عبد الله . فأوحى الله إليه ، قد سلطتك على أولاده . فمضى إبليس وذهب إلى القصر الذي يسكنه أولاد أيوب فصار يزلزل جوانبه حتى انهار وسقط عليهم فهلكوا . فانطلق ابلس إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من دماغه فأخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤوسهم تسيل دماؤهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا وينوح حتى رق قلب أيوب وبكى وقال يا ليتني لم أخلق . فابتهج إبليس بذلك . ولكن سرعان ما استغفر أيوب ربه وصبر وشكر واحتسب فغفر الله له وتاب عليه فصعد إبليس إلى السماء خائبا . فقالت له الملائكة : كيف رأيت أيوب ؟ قال : هو على ثقة من ربه .

البلاء الأكبر: عندما رأى إبليس أنه قد خسر المعركة فكر في بلاء جديد يكون على جانب خطير فوقف خاسئاً ذليلا وقال يا إلهي إنما هون على أيوب خطر المال والولد ؛ أنه يرى انك مهما متعه بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطي على نفسه وبدنه ؟ فإني لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك . قال تعالى : قد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله . وكان الله أعلم به أنه لم يسلطه عليه إلا

رحمة لنعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب. فانقض عدو الله سريعاً. فوجد أيوب ساجداً فنفخ في منخريه نفخة أشعل جسده منها. فذهل فأصابته بثور وثآليل مثل نديات النساء وأليات الغنم من قدمه إلى رأسه وحصلت له حكة شديدة فأخذ يحك بأظفاره هذه التآليل حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية وألقوه بين الكناسة تحت عريشة خاصة خارج القرية وبعيداً عنها درءاً لخطر العدوى ـ قال الحسن: كان أيوب عليه السلام مطروحاً على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً تختلف فيه الدواب ـ وقال وهب بن منبه ـ لم يكن بأيوب أكلة وإنما كان يخرج منه مثل ثدي النساء ثم يتفقأ.

قال الحسن: ولم يبقَ له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة امراته التي صبرت معه وظلت تخدمه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذ حمده وكان أيوب على ما به صابراً لا يفتر عن ذكر ربه تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله. فصرخ عدو الله إبليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الأرض جزعاً من صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك؟ قال لهم أعياني هذا العبد. سألت ربي أن يسلطني على ماله وولده فلم أدع له مالاً ولا ولداً فلم يزده ذلك إلا صبراً وثناءً على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه إلا امرأته ـ وقد افتضحت من ربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه. فقالوا له أين مكرك اين علمك الذي أهلكت به من مضى؟ قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا علي. قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة. من أين أتيته؟ قال من قبل امرأته!! قالوا فشأنك وأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد أن يقربه غيرها...

قال أصبتم ـ فانطلق حتى أتى امرأته وهي تطلب الصدقة من أجل طعام زوجها أيوب فتمثل لها في صورة رجل. فقال أين بعلك يا أمة الله؟ فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده ـ فلما سمع منها ذلك طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها بما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب

وشبابه وما هو فيه من الضرر وأن ذلك لا ينقطع أبداً. فصرخت فعلم أنها قد جزعت... فأتاها بعنزة وقال لها ليذبح أيوب هذه لي وسيبرأ ـ فجاءت تصرخ وتقول له: يا أيوب إلى متى يعذبك ربك ولا يرحمك؟ أين المال أين الماشية اين الولد أين الصديق أين ثوبك الحسن إنه قد تغير وصار كالرماد وأين جسمك الحسن إنه قد بلي وهو يتردد فيه الدود ـ اذبح هذه السخلة لإله الأرض واسترح...

فقال لها أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبته؟ ويلك!!! أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة ـ من أنعم به علينا؟ قالت الله ـ قال فكم متعنا به؟ قالت ثمانين سنة... قال فمند كم ابتلانا الله بهذا البلاء؟ قالت منذ سبع سنين. قال ويلك. والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ـ ألا صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء. والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة كما أمرتيني أن أذبح لغير الله تعالى ـ وطعامك وشرابك الذي تأتيني به علي حرام لا أذوقه بعد أن قلت هذا، فاغربي حتى لا أراك ثم طردها.

ثم حضر إليه أصحابه الثلاثة الذين آمنوا به بعد طول انقطاعهم عنه لمرضه المعدي ـ فأخذوا يبكتونه ويلومونه. وقالوا له إنك لا بد قد أذنبت حتى وقع بك هذا البلاء وإن عبادتك كانت غير صحيحة. فيجب أن تتوب إلى الله من ذنوبك التي عوقبت عليها بمرضك هذا من الله حتى يشفيك الله. وقد عز على أيوب هذا الموقف من أصحابه. فقال لهم أنتم اليوم أشد علي من مصيبتي ـ قربوا عني قرباناً لعل الله يتقبله ويرضى عني. ثم أعرض عنهم وأقبل إلى الله مستغيثاً متضرعاً.

دعاء أيوب: ﴿رب قد مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾.

أعرض أيوب عن أصحابه وأقبل على ربه مستغيثاً متضرعاً إلى الله فقال: يا رب أنا لم أكن قط بين أمرين إلا وقد طلبت رضاك فيهما دون رضاي، وما

شبعت من الطعام قط خوفاً أن أنسى. فبأي ذنب أخذتني؟ يا رب لأي شيء خلقتني ليتني إذ كرهتني ما خلقتني. يا لبتني كنت حيضة ألقتني أمي. أو ليتي قد عرفت الذنب الذي أذنبت، والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني وألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل لي - يا إلهي ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم ولباً وللأرملة قيماً؟.

إلهي أنا عبدك الذليل إن أحسنت فالمنة لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي - جعلتني للبلاء عرضاً وللفتنة نصيباً - لقد وقع علي بلاء لو سلطته على جمل لضعف عن حمله - فكيف يحمله ضعفي؟ إلهي تقطعت أصابعي فإني لا أرفع الأكلة من الطعام إلا بيدي جميعاً فما يبلغان فاهي إلا على الجهد مني - إلهي تساقطت لهواتي ولجم رأسي فما بين أذني من سداد بل إحداهما ترى من الأخرى. وإن دماغي ليسيل من فمي. إلهي تساقط شعر عيني كأنما أحرق بالنار وجهي - وحدقتاي متدلبتان على خدي وورم لساني حتى ملأ فمي فما أدخل فيه طعاماً إلا غصني، وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني. وتقطعت أمعائي في بطني وإني لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني. وذهبت قوة رجليّ فكأنهما قد يبستا ولا أطيق حملهما. وذهب المال فصرت أسأل بكفي، ويطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمن بها علي ويعيرني، إلهي هلك أولادي ولو بقي واحد منهم أعانني على بلائي ونفعني - قد ملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وجحدت حقوقي، ونسبت صنائعي، أصرخ فلا يستصرخونني، وأعتذر فلا يعذرونني. دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأختي فلم ترحمني. وإن قضاءك هو الذي أذلني وأدناني وأهانني وأقامني، وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي.

ولو أن ربي نزع الهبة التي في صدري فأطلق لساني لأتكلم بملء فمي، ولو كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتخلى عني. فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه ولا نظر إلي فرحمني ولا دنا

مني ولا أدناني فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي.

نداء الله لأيوب: قال أيوب دعاءه لله واستغاثته بوجهه الكريم ورحمته الرحيمة أمام أصحابه الثلاثة عندما كانوا في زيارته وعند الانتهاء من الدعاء رأوا غمامة أظلته حتى ظنوا أنه عذاب من عند الله ولكنه كان نداء من عند الله تعالى لأيوب

ـ نودي يا أيوب: إن الله تعالى يقول لك:

ها أنذا دنوت منك فلم أزل منك قريباً فقم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك وأشدد عليك إزارك وقم مقام جبار فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ولا ينبغي إلا من يجعل الزمام في فم الأسد والسخال في فم العنقاء واللحم في فم التنين، ويكيل مكيالاً من النور ويزن مثقالاً من الريح وبصرصرة من الشمس ـ ويرد أس!! لقد منتك نفسك أمراً ما يبلغ بمثل قوتك ـ ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك ودعتك إليه تذكرت أي مراد رامت بك. أم أردت أن تكاثرني بضعفك؟ أم أردت أن تخاصمني بغيك أم أردت أن تحاججني بخطئك؟ أين كنت مني في يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أم كنت معي تم بأطرافها؟ أم تعلم ما بعد زواياها؟ أم على أي شيء وضعت أكتافها؟ أبطاعتك حمل الماء على الأرض أو بحكمتك كانت الأرض على الماء غطاء؟ أين كنت مني عندما رفعت السماء سقفاً في الهواء لا معالبق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها؟ هل يبلغ من حكمتك أن تجري وتسير نجومها؟ أم هل بأمرك يختلف ليلها ونهارها؟ أين كنت مني يوم فجرت البحار وأنبعت الأنهار. أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتي؟ أفتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين كنت مني يوم صببت الماء على التراب، ونصبت شوامخ الجبال؟ هل لك أن تطيق حملها أم كنت تدري كم مثقال ما فيها؟ أين الماء الذي أنزلته من السماء وهل تدري كم بلدة أحرقتها وكم من قطرة أحصيتها وقسمت الأرزاق أم قدرتك تثير السحاب وتنثر الماء؟ هل تدري ما أصوات الرد أم من أي شيء لهب البرق؟ وهل رأيت عمق البحر أم تدري ما بعد الهواء؟ أم هل

تدري أين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وبأي لغة تتكلم الأشجار أين خزانة الريح وأين جبال البرد؟ أم هل تدري من جعل العقول في أجواف الرجال، ومن شق الأسماع والأبصار وذلت الملائكة لملكه، ومن قهر الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدواب والعباد بحكمته. ومن قسم للأسد أرزاقه وعرف الطير معاشها وعطفها على أفراخها ومن أعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تأس بالأصوات ولا تهاب السلاطين. أبحكمتك عطفت عليها أمهاتها حتى أخرجت لها طعاماً من أجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم بحكمتك ينظر العقاب الصيد البعيد واضحاً، في أماكن الفلا؟ أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر، ومسكنه في السماء، وعيناه تتوقدان ناراً ومنخراه يثوران دخاناً وأذناه مثل قوس السحاب يثور منها لعب كأنه إعصار العجاج وجوفه يحرق ونفسه يلتهب وزبده جمر كأمثال الصخور وكأن ضرب أسنانه أصوات الصواعق وكأن نظر عينيه لمع البرق تمر به الجيوش وهو متكيء لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل. زبر الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط، لا يفزع من النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده ويطير في الهواء كأنه عصفور فيهلك كل شيء يمر به. هل أنت آخذه بأحبولتك وواضع اللجام في شدقه؟ هل تحصي عمره؟ أم هل تعرف اجله أم تعرف رزقه أم هل تدري ماذا خرب من الأرض وماذا يخرب فيما بقي من عمره؟ أهل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ - تبارك الله أحسن الخالقين - يا أيوب هل كان صبرك على البلاء بتوفيقي أم بتوفيقك؟ - أيوب لولا جعلت تحت كل شعرة من جسدك صبرا لما كنت تطيق ما في جسمك من الألم.

اعتذار أيوب: سمع أيوب عليه السلام نداء ربه العظيم فاعتذر إلى ربه قائلا: «قصرت عن هذا الأمر الذي ورد علي - لست الأرض انشقت لي فذهبت ولم انكلم بشيء بسخط ربي حين اجتمع علي البلاء - الهي قد جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تعرفني وتعرف نصحي، وقد علمت ان كل الذي ذكرته صنع يديك

وتدبير حكمتك وأعظم من هذا لو شئت علمت أن لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة. من هذا الذي يظن أن يسر عنك سراً وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم وخفت أن يكون أمراً أكثر مما كنت أخاف إنما كنت أسمع بصوتك فأما الآن فهو نظر العين إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني ـ كلمة زلت من لساني فلن أعود ـ وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي ودسست فيه وجهي لصغاري. سكت حين أسكتتني خطيئتي فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني.

الله يغفر ويستجيب:

﴿فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر﴾ :

قال الله تعالى: **يا أيوب نفذ فيك حكمي، وسبقت رحمتي غضبي إذا أخطأت فقد غفرت لك ما قلت ورحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية، وتكون عبرة لأهل البلاء، وعزاء الصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فيه شفاء وقرب عن أصحابك قرباناً، واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك.** فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء... ثم إنه خرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت تلتمس مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالوالهة فمرت به فقالت: يا عبدالله هل لك علم بالرجل المبتلي الذي كان هنا؟ فقال لها: وهل تعرفينه إذا رأينه؟ فقالت: نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال: ها أنا هو فعرفته لما ضحك فاعتنقته.

قال ابن عباس: والذي نفسي بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى: **﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾**.

قال [illegible]: إن الدود لم يزل يرعى في جسد أيوب حتى وصلا لسانا فخشي أن يشغله من ذكر الله فعند ذلك قال ربه إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين

قال الله تعالى: ﴿**فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر**﴾ .

قال السدي: لما قال أيوب رب إني مسني الضر علم الله أنه قد جزع فجاء إليه جبريل عليه السلام برمانة من الجنة فقال له أيوب من أنت أيها العبد الصالح الذي آنست به من بعد ما نفرت مني الأصحاب ـ الأحباب فدنا منه جبريل وناوله الرمانة فلما أكلها ونزلت في جوفه ذهب عنه الألم الذي كان في جسده جميعاً فقال جبريل: يا أيوب قم، قال وكيف أقوم ولم يبق لي حول ولا قوة فأخذ بيده ومشى به نحو اثنتي عشرة خطوة، وقال اركض برجلك اليسرى، فركض بها فظهرت له عين ماء حار ثم قال له اركض برجلك اليمنى فركض بها فظهرت له عين ماء بارد ـ فقال له جبريل اغتسل من الحار واشرب من البارد ـ فلما اغتسل وشرب عاد إليه حسنه وجماله وصار جسده كالفضة النقية، ثم أتاه جبريل بحلة من الجنة وألبـ إياها وتوجه بتاج من الجنة فصار أيوب يزهو كالشمس المضيئة فعند ذلك ـ ركعتين شكراً لله تعالى على نعمته ورضاه.

رحمة ومائة جلدة: لما طرد أيوب زوجته رحمة من عنده حينما أبلغته قول إبليس أن يذبح له قرباناً من دون الله ليشفيه من مرضه وحلف عليها يميناً عظيماً بأنه لو عافاه الله من بلائه فسيجلدها مائة جلدة ـ رجعت إلى نفسها فلامتها وقالت أرأيت إن كان قد طردني لغضبه مني فإلى من أكله؟ أأدعه حتى يموت جوعاً وعطشاً ويضيع فتأكله السباع فوالله لأرجعن إليه ـ ولما رجعت فل الكناسة ولم تجد الحالة التي كانت تعهدها وقد تغيرت الأمور فأخذ حيث كانت الكناسة وتبكي وأيوب ينظرها فأرسل إليها أيوب فدعاه ماذا تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلي الذي كان منبوذاً الكناسة، لا أدري أضاع أم ماذا فعل به؟ فقال أيوب وما يكون لك بعلي. فهل رأيته؟ فقال وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت وهل يخفى علي؟ تنظر إليه وهي تهابه وقالت إنه أشبه خلق الله بك لما كان صحيحاً ـ ،

ايوب . أمرتني أن أذبح لإبليس وها أنذا عصيت الشيطان وأطعت الله فرد علي ما نريدين .

ثم إن أيوب أصبح متحيرا في يمينه الذي حلفه وتوعد به ، ـة بمائة جلدة فأتاه جبريل ، وقال له يا أيوب خذ مائة عود من أعواد سنابل الن ح ، واجمعها حزمة واضرب بها رحمة ضربة واحدة خفيفة لطيفة فتخلص من ـمين ، ففعل ذلك أيوب وخلص من يمينه ، وذلك قول الله تعالى : ﴿**وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث**﴾ وذلك لأن الله تعالى رحم رحمة لسبب صبرها على بلاء زوجها أيوب ، فخفف عنها ولأنها كانت تتكسب عليه وتعمل للناس من أجله وتجيئه بقوته ، ولما طال عليها البلاء وسئمها الناس فطردوها من الخدمة والعمل فالتمست بكفها من الناس ما تطعمه فلم يعطها أحد فجزت ضفيرة من شعر رأسها ، وباعتها برغيف لبسد رمقه .

أولاد أيوب: قال الله تعالى ﴿**فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم**﴾ كان لأيوب عشرة أولاد سبعة من الذكور وثلاث من الإناث .

وقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة وكعب الأحبار إن الله تعالى أحياهم له بأعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم نعمة من الله وفضلاً وهذا القول بظاهر الآية .

عمر أيوب: مات أيوب عليه السلام عن ثلاث وتسعين عاماً ، وقد أوصى إلى ابنه بشر بالدعوة إلى توحيد الله وسماه ذا الكفل ـ وقد عاش هذه المدة الطويلة بالشام ـ وكان في نعمة كاملة قبل الابتلاء وبعده .

ولما مات دفن بحوران ، ثم سار أولاده من بعده على سيرته من العبادة ، وطاعة الله وكان أكبرهم حومل .

اخلاق ذي الكفل عليه السلام

أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه الصالح ذي الكفل بخلق الصبر وأدخله في رحمته مع الأنبياء الصابرين. فقال تعالى في سورة الأنبياء: **﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين، وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾** .

نسبه ونبوته: هو بشر بن أيوب الصابر عليهما السلام ـ وكان يقيم بالشام فبعثه الله بعد أبيه رسولاً إلى قومه بأرض الروم وهي أرض الشام ـ وسمي أهلها بالروم لنسبتهم إلى جدهم روم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

وسمي بشر بذي الكفل، لأنه تكفل للنبي اليسع عليه السلام أمام الناس بثلاثة أمور عظام: أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب فاستخلفه على الناس في حياته، ثم تكفل لقومه بتنفيذ أمر الله بإطالة أعمارهم.

أخلاقه:

١ ـ كان صابراً لله محتسباً، شاكراً لأنعمه، فاجتباه وهداه.

٢ ـ كان عبداً صالحاً، يصلي لله تعالى كل يوم مائة صلاة، فأحسن الله الثناء عليه وذكره مع الأنبياء الصابرين الصالحين الداخلين في رحمته فقال تعالى في سورة الأنبياء: **﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾** .

٣ ـ كان يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب.

معجزته الكبرى: أراد ملك الشام وهو لام بن عاد أن يتزوج من بنت أيوب. فطلب أولاد أيوب من الملك أن يدخل في دينهم ويكون مسلماً حتى يزوجوه أختهم وإلا فلا ـ فغضب الملك عليهم وقاتلهم فانتصر عليهم وأسر بشر بن أيوب. ثم أمر الملك بإقامة نار عظيمة ليحرق فيها بشراً ـ وعندما تم العمل للمحرقة الكبرى حضر جنود الملك فأوقدوها ناراً حامية عالية متأججة ثم احتملوا بشراً وألقوه فيها فلم تحرقه النار فتعجب الملك لام وقال: إن هذا لسحر عظيم ـ فقال له بشر أيها الملك لسنا بساحرين. وقد كان لنا جد يقال له إبراهيم الخليل فعمل به النمروذ كذلك فلم تحرقه النار وجعلها الله عليه برداً وسلاماً. وكذلك يفعل الله بأولاده ـ فعند ذلك رق قلب الملك وعلم أن كلامه حق فأسلم وحسن إسلامه واجتمع مع أولاد أيوب على الإسلام، فزوجوه أختهم ثكان نصير البشر في أداء رسالته بين الناس حتى أنه كان يكره الكفار كرهاً عظيماً ويعمل دائماً على الانتقام منهم.

قوم ذي الكفل: كان قوم ذي الكفل عليه السلام على قدر من العقل والفهم والعلم والكياسة فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ولكنهم عندما أمرهم الله بالجهاد ترددوا وضعفوا وقالوا: يا بشر إننا نحب الحياة ونكره الموت. ومع ذلك نكره أن نعصي الله تعالى ورسوله فلو سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا إلا إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه ـ فقال لهم بشر ـ لقد سألتموني عظيماً وكلفتموني شططا!!.

ثم قام وصلى ودعا الله وقال: إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها، وأمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم أني لا أملك إلا نفسي. وإن قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به مني. فلا تؤاخذني بجريرة غيري. فأنا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك ـ فأوحى الله تعالى إليه: **يا بشر إني سمعت مقالة قومك وإني قد أعطيتهم ما سألوني. طولت أعمارهم فلا يموتون إلا إذا شاؤوا فكن كفيلاً**

لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله إليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمي ذا الكفل .

مارس الناس حياتهم على هذه الشاكلة أعواماً كثيرة فتوالدوا ، ونموا وزاد عددهم بقدر فاق احتمالهم ، فضاقت عليهم بلادهم وتنغصت عليهم معيشتهم وتأذوا كثيراً بكثرتهم . فذهبوا إلى بشر وسألوه أن يدعو الله أن يردهم إلى آجالهم - فيموتون بأعمارهم وبمشيئة الله تعالى لا بمشيئتهم - فدعا بشر الله بما طلبوا فأوحى الله تعالى إلى بشر: **أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم؟** فردهم الله إلى أعمارهم ، وماتوا بآجالهم . فانتظمت معيشتهم وسعدت حياتهم .

وكانت مسألة إطالة أعمارهم سبباً في كثرة جنسهم حتى كان يقال إن الدنيا دارهم خمسة أسداسها للروم .

عمره: عاش النبي ذو الكفل عليه السلام خمسة وتسعين عاماً ثم توفاه الله إلى رحمته ودفن بالشام محل مولده ومبعثه .

اخلاق شعيب عليه السلام

كان شعيب عليه السلام خطيباً بارعاً في إقامة حجة الله ودحض حجة الباطل وكان سيداً عابداً ورعاً كريماً مضيافاً صالحاً زاهداً حليماً رشيداً فسماه المفسرون خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه في إقامة الدعوة الإلهية .

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ ٨٨ سورة هود .

فلما كذبه قومه دعا عليهم فقال : **﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾** ٨٩ سورة الأعراف .

صدق الله العظيم

نسبه ونبوته: هو شعيب بن صيفون بن غيضا بن نابت بن مدين بن إبراهيم عليهما السلام ـ وكان من أهل مدين ، وهي مدينة كبيرة حصينة ، تقع شمال خليج السويس بين بلاد الحجاز والشام ـ وكان شعيب عليه السلام كفيف البصر أرسله الله تعالى إلى أمتين هما أهل مدين وأصحاب الأيكة .

أهل مدين: قال كعب الأحبار ، كان أهل مدين في عهد شعيب برئاسة ملكهم « كلمن » وكان ملوك مدين يسمون بأسماء : أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت : وكانوا من العمالقة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى أبجد: أبى آدم أي خالف الطاعة ظاهراً، وجد في أكل الشجر، ومعنى هوز: أي من نزل إلى الأرض، ومعنى حطي: أي حطت عنه ذنوبه بالتوبة، ومعنى كلمن: من أكل الشجر ومن عليه ربه بالمغفرة، ومعنى سعفص: أي عصى آدم ربه فأخرجه من النعمة، ومعنى قرشت: أي أقر بالذنب وخرج من العقوبة.

ومدين: ابن إبراهيم عليه السلام كان عميداً لأهل مدين وكبيرهم عاش عمراً طويلاً وكانت امرأته من العمالقة فولدت له أربعين ولداً من الذكور فتزوجوا وتوالدوا وتكاثروا فدعا مدين كبراء أولاده وأحفاده وجمعهم عنده وقال لهم إنكم كثرتم والرأي عندي أن تبنوا مدينة كبيرة حصينة تحميكم بطش العمالقة. فبنوا مدينة كبيرة، وحصنوها وأطلقوا عليها اسم جدهم مدين ونزلوا بها ونزل فقراؤهم وبدوهم بالأيكة وهي قرية قريبة من مدين.

وكان بمدينة مدين رجل اسمه صيفون وقيل اسمه صنعون وكانت زوجته تسمى مبكيل وهي ابنة لوط عليه السلام. فولدت له ولداً ضريراً كفيف النظر أسماه بيرون وهو شعيب. وسبب تسميته شعيباً: أن والده صيفون لما كبرت سنه وضعفت قوته خاف على نفسه فدعا الله أن يسعفه ولده فقال: اللهم بارك لي في شعبي: أي ولدي: فغلب عليه اسم شعيب وقيل له شعيب فسقط اسم ببرون ولما توفي صيفون قام شعيب مقام أبيه.

أخلاق أهل مدين: كان أهل مدين يعيشون في رغد من العبش وفي بحبوحة من الحياة، وكانوا يشتغلون بالتجارة، فيشترون الحنطة والشعير وغير ذلك من الحبوب ويخزنونها عندهم ويتربصون بها الغلاء، وكان لهم مكيالان... مكيال وافٍ يشترون به، ومكيال ناقص يبيعون به. وميزانان كذلك، فكانوا يطففون المكيال والميزان حين يكتالون ويزنون على الناس، ويخسرونها إذا كالوهم أو وزنوهم ويماكسون الناس ويبخسونهم أثمان أشيائهم وسلعهم إذا أرادوا شراءها ـ

وكانوا كفاراً يعبدون الأصنام ويفعلون الشر ولا يكفون .

شعيب الرجل الصالح: وكان أخوهم شعيب رجلاً كفيف البصر اشتهر بينهم بالعبادة والصلاة والصلاح والزهد والحلم وشهدوا له بذلك ـ وكان يتجنبهم ولا يداخلهم . فبينما هو جالس أقبل عليه رجل غريب من غير أهل مدين فسلم عليه وقال له يا شعيب أنت رجل صالح، وأنا اشتريت من رجل من هذه المدينة مائة كيل من الطعام بمائة دينار، فأخذتها وأجريت كيلها فنقصت عشرين كيلاً . وإني ألتمس منك أن تساعدني على رد حقي . فلبى شعيب طلب الرجل وقام من فوره متوجهاً إلى القوم فسألهم عن قضية المشتري، فقالوا له يا شعيب ألم تعلم أن هذه سنتنا، نأخذ بالوافر ونعطي بالناقص؟ فقال شعيب ليس هذا من سنة الله . فاتقوا الله وأعطوا الرجل حقه . فلما رأوه على غير سنتهم سبوه وكذبوه واحتقروه .

رسالة شعيب: حينما كذبه قومه نزل جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك، فقال وعليك السلام ـ من أنت؟ فأخبره جبريل أن الله اطلع على سريرتك وأمرك أن تكون رسولاً إلى أهل مدين وأصحاب الأيكة وغيرهم ممن يعبدون الأصنام، وتأمرهم بطاعة الله، وتحذرهم من عبادة الأصنام وبخس الكيل والميزان .

شعيب يبلغ الرسالة: توجه شعيب إلى حيث أمره الله فأتى القوم قائلاً يا قوم اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة الأصنام فإن الله أرسلني إليكم لأنهاكم عن معصيته وأحذركم نقمته، وأنهاكم عن بخس الكيل والميزان . فآمن به فريق وكذب به فريق ـ وقال المكذبون، يا شعيب لا نترك ما كان يعبد آباؤنا ولنا أن نفعل في أموالنا ما نشاء ولئن لم تنته عما تقول لنخرجنك من ارضنا، وسنتركك بعض الوقت إلى عقلك لعلك ترجع عما أنت فيه من سفه! .

ثم عاد إليهم في اليوم الثاني وقد اجتمعوا ومعهم ملكهم « كلمن » فوقف عليهم خطيباً مصقعاً بليغاً أقام حجة الله ودحض حجة الباطل بأسلوب قوي رصين

فقال: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين. ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن وتبغونها عوجاً واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كانت عاقبة المفسدين وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين - قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين؟ قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها . وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ ٨٩ سورة الأعراف.

﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما كان يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد، قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ ٨٨ سورة هود.

ولما أحرج شعيب وأعجزهم ورأوا أنه قد غلبهم بالحجة وقهرهم بالبيان وعزهم في الخطاب فبين لهم فساد اعتقادهم وباطل أعمالهم لجؤوا إلى المراوغة في القول ثم لم يجدوا سبيلاً إلى مواجهته ومجادلته بغير الشتم والتهديد فقالوا: ﴿يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾ «أي ضريراً كفيف البصر» ﴿ولولا رهطك﴾ «أي أهلك الأعزاء علينا» ﴿لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط﴾ ٩٢ - سورة هود.

معجزة شعيب: عاودهم شعيب للمرة الأخيرة قائلاً: ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط

منكم ببعيد - واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾ وذلك ليبصرهم بصوالحهم في الله وليحذرهم بما نزل بقوم نوح من الغرق وبقوم هود من الريح وبقوم صالح من الصاعقة وبقوم إبراهيم من البعوض وبقوم لوط من الانقلاب وإرسال الحجارة عليهم - فقالوا يا شعيب لقد قلت لنا إنك قد جئتنا ببينة من ربك فإن كانت لديك بينة من ربك وحجة حقيقة فانطق لنا هذه الأصنام التي نعبدها - فتقدم شعيب إلى الأصنام وقال لها: من ربكم؟ ومن أنا؟ فتكلمت الأصنام بإذن الله تعالى وأنطقها الله الذي أنطق كل شيء. فقالت: ربنا الله رب كل شيء وخالقنا وخالق كل شيء وأنت يا شعيب رسوله ونبيه - ثم وقعت الأصنام عن مقاعدها ولم يبقَ منها صنم على مقعده. فاستكبروا وعاندوا وحقدوا وقالوا إنه ساحر كذاب. فدعا شعيب عليهم فقال: **﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾** فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة وذلك قوله تعالى في سورة الأعراف: **﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾** قال ابن عباس وغيره إن الله فتح عليهم باباً من أبواب جهنم فأرسل عليهم برداً وحراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحر فخرجوا هرباً إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم ووجدوا لها برداً، وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضاً. فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت الأرض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المغلى فصاروا رماداً وذلك قوله تعالى في سورة هود. **﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها إلا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾**.

أصحاب الأيكة: بعد أن فرغ الله من أهل مدين ونجى شعيباً والذين آمنوا معه، أرسله إلى أصحاب الأيكة وهم قوم يسكنون قرية الأيكة القريبة من مدين وكانوا يعبدون الأصنام وعلى مثل طريقة أهل مدين.

ذهب إليهم شعيب وكان أجنبياً عنهم فدعاهم إلى عبادة الله ونهاهم عما هم فيه فقالوا له كما جاء في سورة الشعراء: **﴿إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين﴾** وظناً منهم أن الله لا يرسل إلى البشر هداة منهم وكان من جهلهم وحماقتهم أنهم طلبوا من شعيب أن يسقط عليهم كسفاً من السماء أي قطعة منها إن كان من الصادقين ـ ولم يتعظوا بما حدث لأهل مدين فأخذهم عذاب يوم الظلة بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت مياههم فكان لا يروي ظمأهم ماء ولا تقيهم منازل ففروا هاربين من ديارهم يلتمسون النجاة مما أصابهم، ثم رأوا سحابة مقبلة عليهم فراحوا يستظلون بها من وهج الشمس، فاجتمعوا تحتها لتحميهم من قيظ الحر وما كاد عددهم يتكامل تحت ظلها، حتى رمتهم السحابة بشرر من نار ولهب فأحرقتهم عن آخرهم وأهلكتهم جميعاً وذلك قول الله تعالى: **﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾** والقصة في قوله تعالى في سورة الشعراء:

﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين. إذ قال لهم شعيب ألا تتقون، إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله رب العالمين. أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين. وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين قالوا إنما أنت من المسحرين. وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين. فاسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين. قال ربي أعلم بما تعملون. فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ .

اخلاق موسى وهارون عليهما السلام

كان موسى عليه السلام أميناً قوياً في [illegible]، شجاعاً، رحيماً، شهماً، عفيفاً، ورعاً، لا بنطر إلى أعجاز النساء ولا يتابع بنظره موضع فتنة أو عورة. كان للفقير كنزاً وللضعيف حصناً وللمستجير عوناً، وكان هارون عليه السلام عادلاً حليماً زاهداً صادقاً طائعاً في خلق حسن.

قيل لموسى عليه السلام وهو كليم الله تعالى: بم عرفت أن الله تعالى هو الذي كلمك؟ فقال لأن كلام المخلوق إنما يسمع من جهة واحدة بحاسة واحدة وهي السمع وإني كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجميع جوارحي كلها فعرفت أنه كلام الله تعالى...

نسبه: هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام وأمه نجيب بنت شمويل بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم الخليل عليه السلام وأخوه من أمه وأبيه هارون عليه السلام وأخته مريم.

مولده وتربيته: ولد موسى بن عمران في مصر في عهد ملكها وفرعونها رمسيس الثاني وعاش على غير رغبته وتربى في بيته رغماً عنه.

١ ـ **فقد ولد موسى** في أثناء المحنة الكبرى التي سرت بشعب بني إسرائيل

أثناء وجودهم وإقامتهم في مصر نتيجة رؤيا منامية رآها الفرعون. وهي أنه رأى في منامه كأن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت المصريين وتركت بني إسرائيل، فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن تفسير رؤياه، فقالوا له يولد في بني إسرائيل بمصر غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه: فصعق فرعون لهذا الخبر وصرخ قائلاً: بعزتي وجبروتي لن يكون هدا المولود في أرض مصرا! وأمر بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل، وجمع القوابل من النساء وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا تركت. وأقام الحراس والوكلاء على تنفيذ ذلك ـ ثم أمر فرعون بتسخير رجال ونساء بني إسرائيل بمصر في أعمال الدولة وامتهانهم وإذلالهم فذلك قوله تعالى: ﴿**إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين**﴾ ٤ ـ سورة القصص.

ولما اشتد الأمر على بني إسرائيل واخذ الفناء يدب في ديارهم أحس الملك أنه سيفقد أيدياً عاملة سخرها لخدمة مملكته فأمر بتخفيف حكمه بذبح الولدان سنة وتركهم سنة. فولد هارون عليه السلام في السنة التي لا يذبح فيها أحد فترك وعاش، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها.

وعندما وضعته أمه خافت عليه من حكم فرعون بالذبح فخبأته عن عيون من يطلبون أطفال بني إسرائيل لقتل ذكرانهم. فمكث عندها ثلاثة أشهر ـ فلما خافت افتضاح أمرها أعلمها الله وعلمها كيف تصنع بوليدها الرضيع فتلقيه في اليم في صندوق من الخشب دون أن تخاف عليه ووعدها بأنه سيرده إليها ويجعله من المرسلين فقال تعالى في سورة القصص: ﴿**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في الم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾ .

نهضت الأم بتنفيذ ما أوحي إليها ، وعملت بما أرشدت إليه . فأحضرت صندوقاً من الخشب، وطلته من الخارج بالقطران، وأرضعت طفلها حتى شبع وارتوى ثم وضعته في الصندوق وذهبت به إلى النيل، وهناك وضعته في الماء وقلبها متجه إلى الله تعالى ، ثم قالت لأخته مريم قصيه أي تتبعي أثره واعرفي لنا خبره . فحمل تيار الماء صندوق الطفل وعيون أخته مريم وسمعها إلى قصر فرعون فتناولته أيدي الوصيفات وطير الخبر إلى فرعون وزوجته آسية بهذا اللقيط الوليد الذكر فوجم فرعون وقال اقتلوه فهو من أبناء بني إسرائيل ولعله يكون عدوي الذي أنبأت عنه رؤياي، ولكن زوجته آسية فرحت به وقرت عينها فأخذته وتوجهت به إلى زوجها فرعون وأخذت تستعطفه ألا يقتله وتستسمحه أن يهبه لها قائلة قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ـ ولان فرعون لاستعطاف زوجته وتركه لها .

وحتى ينفذ وعد الله فقد رفض موسى الرضيع جميع المراضع التي عرضت عليه فلم يقبل ثدي أي مرضعة ـ وهنا دخلت أخته مريم وقالت لآل فرعون:﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) ؟ وصادف قولها أذناً مصغية وقبولاً حسناً وبعثوها في طلب هذه المرضعة نجاءت بأمها وأمه فظهرت الأم هلعة وكادت تكشف عن نفسها فربط الله على قلبها فأقبل على ثديها فألقوا بموسى إليها لترضعه تحت رعايتهم وإشرافهم وذلك قول الله تعالى: ﴿**فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً . إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ـ وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون . وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين. وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ـ وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾ آيات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ من سورة القصص .

٢ ـ وعندما تمت مدة الرضاع أرجعته أمه إلى بيت فرعون حسب الاتفاق فسمي موسى نسبة لانتشاله من بين الماء والشجر فتولى البلاط الفرعوني تربيته كما لو كانوا يربون أبناء الملوك في ذلك العهد. فتعلم موسى تعلماً راقياً فضلاً عما أفاضه الله عليه في كبره من الحكمة والعلم الثابت في قوله تعالى في سورة القصص:
﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾.

موسى يعرف الحقيقة: ولما كبر موسى عليه السلام في بيت فرعون واشتد عوده وقوي ساعده وعلم أنه من بني إسرائيل وعرف من هي أمه ومن هو أبوه، آلى على نفسه أن يكون ظهيراً لهم وعلى أن يعمل على إنصافهم ونصرتهم بما له من المكانة في قصر فرعون ـ وخطا موسى إلى الرجولة مبسوط الجسم قويه ـ وكان أسمر اللون جعد الشعر، في لسانه لكنة تعبث بألفاظه في بعض الأحيان. وقد آتاه الله حكماً ووهب له علماً، وعرف موسى بين المصريين والإسرائيليين بالبأس والقوة وانتصاره للحق وإنصافه للمظلوم. فاشتد به بنو إسرائيل وهابه المصريون وخافوه، وعندئذٍ اتجهت أنظار المستضعفين من بني جنسه إليه لينقذهم من الظلم والتعسف والاستبداد الذي فرضه عليهم فرعون وقومه.

موسى يقتل مصرياً: كان من عادات موسى أن يغادر قصر فرعون ويطوف بأرجاء المدينة وضواحيها متفقداً أحوال أهلها ناظراً في ظلاماتهم بعين العدل والرحمة.

وفي يوم من أيام الصيف الشديدة القيظ، غادر موسى قصر فرعون على عادته فدخل المدينة يطوف بها والناس يقيلون في منازلهم. فوجد فيها رجلين يقتتلان أحدهما مصري والآخر إسرائيلي، فما كاد الإسرائيلي، وكان طباخاً لفرعون وكان يجالس موسى، أن يرى موسى حتى استغاث به من ظلم المصري له وقسوته عليه فغضب موسى وتقدم من المصري لينهاه عما يوقعه على الإسرائيلي من أذى، فلم يسمع له المصري. فوكزه موسى وكزة سقط المصري من أثرها على الأرض ميتاً.

وبهت موسى لهذا الأمر، وسقط في يده وتولاه الندم على وكزه للرجل فما كان بريد إلا زجره ليرتدع. وما بيغي إلا أن يفض النزاع. ونظر إلى ما فعل آسفاً وقال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ـ ثم رفع رأسه إلى ربه قائلاً ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ ثم قال ﴿رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ وبات موسى ليلته بالمدينة، قلقاً حزيناً وأصبح خائفاً يترقب ما تسفر عنه الأمور فخرج، يسير بإحدى طرقات المدينة فإذا به يلتقي بإسرائيلي الأمس يقاتل مصرياً آخر وما كاد الإسرائيلي يراه حتى صاح عليه يستغيث به. فغضب موسى لذلك غضبة شديدة وقال له إنك لغوي مبين. ورأى الإسرائيلي غضبة موسى وهو يتقدم ليدفع عنه المصري بالحسنى فأوجس منه خيفة وخشي أن يكون قد أراد به سوءاً بعد أن سمع منه كلمة إنك لغوي مبين. فقال له يا موسى، أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ إن تريد ألا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين.

إشاعة الخبر في المدينة: أدرك المصري أن قتيل الأمس الذي لم يعرف أحد قاتله قد قتله موسى وانتشر قول الإسرائيلي في المدينة فعرف الناس أن موسى هو القاتل فأسرعوا جميعاً إلى ولاة الأمور ينقلون إليهم الخبر، ورفع الأمر إلى فرعون فأمر بإحضار موسى وشهود الحادث ليحقق الموضوع. فإن كان الأمر حقاً قتل موسى فيه، وقد أحس رجل من أتباع موسى وهو حزقيل وكان يجلس مع الملك، أحس بالتآمر على قتل موسى فأسرع ليحذره وليبلغه ما ائتمر عليه القوم، وقال له «يا موسى: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين».

خروج موسى من مصر إلى أرض مدين: لما سمع موسى كلام حزقيل مؤمن آل فرعون الذي يكتم إيمانه إذ قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ـ تحير موسى ولم يدر أين يذهب، ولم يجد بداً من أن يعمل

بنصيحته فسلم الأمر لله. فجاءه ملك على فرس فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق إلى مدين.

وفي الطبري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر حافياً إلى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال فلم يكن له طعام إلا ورق الشجر فما وصل إليها إلا وقد وقع خف قدمه ـ أي أن الجلدة الملاصقة للأرض من قدمه قد انسلخت وظهر الدم منها ـ حيث خرج موسى من مصر على عجل فلم يتزود للطريق ولم يعد للسفر عدته معتمداً على الله في هدايته إلى الطريق ـ دخل موسى أرض مدين يبغي أرضاً طاهرة وينشد قوماً مؤمنين ونزل على مائها في بئر بجوار شجرة مظلة ليروي عطشه ويتبرد مما قاسى من لفح الشمس وما اصطلى من وهج الهجير ـ وعلى ماء مدين وجد موسى جماعة من الرعاة يستسقون لماشيتهم وهم يتبادلون الورود إلى الماء نفراً بعد نفر. ووجد إلى الجانب فتاتين تهشان على قطيع أغنامهما وعجب موسى من أمر هؤلاء الرجال الذين يستبقون إلى الماء بينما الفتاتات تستأخران عنه فتقدم منهما يسألهما ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير وهو شعيب نبي هذه المدينة وأدرك موسى أن هاتين الفتاتين ضعيفتان أمام هؤلاء الرجال الأقوياء الذين استخفوا بهما لشيخوخة أبيهما فتركوهما إلى المؤخرة تنتظران..

وبشهامة الرجل الحق. تقدم موسى بغنم الفتاتين إلى البئر فأزاح من طريق الرعاة الذين ما إن رأوا ما يبدو عليه من البأس والقوة حتى أسرعوا فأخلوا له السبيل وأفسحوا له الطريق وسقى موسى غنم الفتاتين وساقها إليهما، فشكرتاه على شهامته وجميل فعله فتركهما واستظل بشجرة البئر ـ وبينما هما تهشان على غنمهما متأهبتين للانصراف سمعتاه يدعو الله فيقول ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾،فاستجاب الله دعاءه كدعوة المظلوم سريعة الإجابة. إذ عادت الفتاتان بماشيتهما إلى أبيهما الشيخ مبكرتين على غير عادتهما فسألهما أبوهما في ذلك فأخبرتاه بما فعله موسى لهما وبما سمعتاه يقوله أثناء انصرافهما فقال الأب يا بنتي فلتذهب

إحداكما فتدعوه لنجزيه أجر ما سقى لكما ـ فذهبت إحدى الفتاتين وهي صفور إلى موسى تمشي على استحياء فقالت له في خجل: (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) فنهض موسى يتبع الفتاة ملبياً دعوة أبيها ـ وفي أثناء سيرها عصف الهواء بثياب الفتاة فألصق ثوبها بردفها وكشف عن ساقيها فكره موسى أن يسير خلف الفتاة فيقع نظره على ما ظهر منها فقال لها موسى: امشي خلفي ودليني على الطريق فإذا أخطأت في الطريق فنبهيني لذلك. فإنا بني يعقوب لا ننظر إلى أعجاز النساء... فاستأخرت الفتاة وتقدم موسى والفتاة معجبة كل الإعجاب بنزاهة موسى وعفته حتى دخل على أبيها وكان شعيب عليه السلام. فسأل شعيب موسى: يا بني من أنت؟ ومن أين أتيت؟ فقص عليه موسى قصته وعرفه خبر هروبه من مصر. واستمع الشيخ إلى حديث موسى مستعجباً ولعله أعلمه بفعل فرعون ببني إسرائيل من ذبح ذكرانهم وترك بناتهم، فلما فرغ موسى قال له الشيخ: «لا تخف نجوت من القوم الظالمين» الذين يذبحون أبناء الإسرائيليين ويستحيون نساءهم.

ورحب الشيخ بموسى ودعاه إلى طعامه وكان العشاء مهيئاً فقال: اجلس يا شاب فتعش معنا فقال موسى: أعوذ بالله! فقال شعيب: ولم ذاك ألست بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون ذلك عوضاً لما سقيت لها وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا ـ فقال شعيب: لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام ـ فجلس موسى وأكل ـ فلما فرغا جلس الشيخ يفكر فيما يكافىء به موسى وفيما يمكنه أن يساعده به. فقالت له إحدى ابنتيه وكفاها على وجهها حياء منه ـ يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين.

سألها أبوها وقد أحفظته الغيرة عليها. وما يدريك عن قوته وأمانته؟ فقالت أما قوته فما رأيت منه حين سقى. لم أرَ رجلاً قط أقوى في السقي منه، وأما أمانته فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة خفض رأسه إلى

الأرض فلم يرفعه حياء وأدباً ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك ثم قال امشي خلفي ودليني على الطريق وكره أن ينظرني من الخلف وقال لي: إنا بني يعقوب لا ننظر إلى أدبار النساء ـ فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت، وصادف رأيها من نفس أبيها الشيخ قبولاً حسناً فعرضه على موسى، فقال يا بني إني أريد أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين على أن ترعى لي غنمي وماشيتي ثماني سنين فإن أتممت عشراً فذاك مكرمة من عندك، فما أريد أن أشق عليك ـ فقبل موسى عرض الشيخ قائلاً: ذلك عهد بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا يطلب مني أن أزيد عليه والله على ما نقول وكيل، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه سئل: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أكملهما وأفضلهما ـ وروي أنه قال: قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما هي صفورا».

تزوج موسى بصفورا صغرى بنات النبي شعيب عليه السلام وعاش في كنف صهره يرعى له غنمه ويرعى له مصالحه في إخلاص وأمانة ـ والقصة في قول الله تعالى في سورة القصص: **﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل، ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان. قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير، فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا. فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين، قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين، قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل﴾**.

العصا لموسى: عندما تم الاتفاق والعقد بين شعيب وموسى عليهما السلام على المصاهرة والزواج والعمل، أمر شعيب ابنته صفورا زوجة موسى أن تخرج معه كما أمرها أن تأتيه بعصا من عصيه ليعطيها لموسى فيستعين بها في رعايته فجاءته

بعصا وكانت وديعة عنده دفعها إلبه ملك على صورة رجل . فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتيه بعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتيه بها بعينها لأنها كانت كلما ردتها إلى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت من يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها موسى فلما أعطاه إياها ندم على ذلك لأنها كانت وديعة عنده . فقال له شعيب رد علي العصا فأبى موسى أن يردها عليه فتنازعا إلى أن شرطا على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما . وأتاهما ملك يمشي فتحاكما إليه فقال ضعها على الأرض فمن حملها فهي له فوضعها موسى على الأرض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فأخذها موسى بيده فرفعها ، فلما رأى شعيب ذلك تركها له .

وفي رواية أخرى: أن موسى لبث عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه في الانصراف فأذن له وقال له أدخل هذا البيت وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصي الأنبياء عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت إليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال شعيب ردها وخذ غيرها وذلك أن شعيباً كان قد أخبر بأمر العصا ولكنه ما كان يدري أن صاحبها موسى فردها موسى إلى البيت فألقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك، مراراً ثقال له شعيب ألم أقل لك خذ غيرها ؟ فقال موسى قد رددتها مراراً فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فعلم شعيب أن ذلك أمر يريده الله تعالى فقال خذها .

وقال أكثر العلماء ـ كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع أي طول موسى . حملها آدم معه من الجنة إلى الأرض فورثها الأنبياء إلى أن وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى .

العصا المعجزة: قال أهل العلم بأخبار الماضين أنه كان لعصا موسى شعبتان ومحجن في أسفل الشعبتين وسنان من حديد في أسفلها ـ وكان موسى إذا دخل مغارة لىلاً ولم يكن في ليلها قمر أضاءت شعبتاها له مد البصر، وكان إذا أعوزه

الماء دلاها في البئر فتمتد على قدر عمق البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها ـ وإذا احتاج الطعام ضرب الأرض بها فيخرج منها طعام يومه، وإذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها في الأرض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له لساعتها .

ويقال عصا موسى كانت من اللوز . وكان إذا جاع ركزها في الأرض فأورقت وأثمرت وأطعمت. وكان يأكل منها اللوز. وكان إذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفسح له الطريق وكان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وظهر فيه طريق متفرج وكان يشرب من إحدى شعبتيها العسل ومن الأخرى اللبن. وكان إذا تعب في طريقه ركبها فتحمله إلى أي موضع يشاء من غير ركض ولا تحريك. وكانت تدله على الطريق. وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان إذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فتطيب ويطيب ثوبه. وإذا كان في طريقه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا ـ وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها السباع عنه والحشرات والحيات. وإذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته وكساءه وطعامه وشرابه ـ هذا إذا كانت العصا في يده أما إذا ألقاها فهي معجزة من نوع آخر.

العصا الحية: إذا ألقى موسى عصاه في معجزة كانت حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم. فتصير شعبتاها فماً وفيه اثنا عشر ناباً وضرساً لها صريف وصرير. يخرج منها لهب النار ويصير محجنها عرفاً لها ـ تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق. تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيئاً إلا أحرقته، تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى أن الصخور في جوفها لتقعقع ـ وتمر بالشجرة فتقضمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وأخذت تتبرم كأنها تطلب شيئاً تأكله ـ وتكون في عظم الثعبان وفي خفة الجان ولين الحية وذلك يتفق

مع نص القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى في موضع ﴿**فإذا هي ثعبان مبين**﴾ وفي موضع آخر ﴿**كأنها جان**﴾ وفي موضع ثالث ﴿**فإذا هي حية تسعى**﴾ .

كيف عرف موسى قدرة العصا : قال ابن حيان : قال شعيب لموسى حين روجه ابنته وسلم إليه أغنامه يرعاها ، اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك ، وإن كان الكلأ بها أكثر ـ فإن هناك وحشاً عظيماً أخشى عليك وعلى الأغنام منه ، فذهب موسى بالأغنام حتى إذا بلغ مفرق الطرق أخذت الأغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلا بينها وبين ما تريده ثم نام موسى والأغنام ترعى وإذا الوحش يحضر ليفترس الأغنام فقامت العصا فحاربته فقتلته ورجعت فاستلقت إلى جانب موسى وهي دامية ـ فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والوحش مقتولاً فعلم موسى أن في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأناً .

خروج موسى من مدين: لما قضى موسى الأجل الذي بينه وبين صهره النبي شعيب وهو عشر سنين اشتاق إلى رؤية أهله وحن إلى معرفة أخبارهم فاستأذن صهره في أن يرحل إلى مصر بزوجته صفورا وابنه جرشوم. وقد سماه بهذا الاسم لأنه غريب المولد، وذلك ليرى أمه وأباه وأخته وأخاه. فأذن له صهره ومنحه نتاج غنمه في السنة العاشرة مساعدة لموسى وصلة لابنته صفورا امرأة موسى . . فأوحى الله إلى موسى أن أضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الأغنام ففعل موسى ذلك . ثم سقى الأغنام من ذلك الماء فحملت ووضعت جميعها مرتين في هذه السنة فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وأهله فوفى بوعده وسلم إلى موسى الأغنام التي وهبها له فأخذها وسار بأهله منفصلاً عن أرض مدين متجهاً إلى مصر حيث مولده وموطنه وأهله .

٢ ـ نبوة موسى ورسالته: خرج موسى بزوجته وولده وأغنامه من مدين قاصداً مصر في شتاء السنة الحادية عشرة من قدومه إلى مدين أو في شتاء السنة

الأولى بعد انقضاء مدة الأجل ـ والمعروف أن بين مدين ومصر مسيرة سبع ليالٍ وثمانية أيام ـ فكان يسير حيناً ويحط للراحة حيناً آخر ـ وفي غروب ليلة شتائية شديدة البرد ضل موسى طريقه والتبست عليه السبل فلم يعرف إلى أي جهة يتجه ولا أي طريق يسلك. فحط بأهله حتى يحين الصباح ليستأنفوا السير على هداه ونوره ـ وكان محطه هذا في سيناء إلى جانب الطور الأيمن الغربي. وفي وسط ظلام الليل ومطر السماء ورعد وبرق الشتاء أراد موسى أن يقدح زنده ليخرج لأهله ناراً يستهدون بها ويستدفئون عليها ولكن زنده لم يقدح ناراً ولم يخرج له شرراً وتحير موسى في أمره ـ ماذا يفعلون في هذا الليل البارد القارص ـ أخذ يتلفت ويتسمع لعله يجد أملاً أو بصيصاً من أمل.

وفجاة لاح لموسى من جانب جبل الطور بسيناء وهج ونور فحسبه ناراً ففرح وقال لأهله امكثوا. إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى يهدينا إلى طريقنا، وجد موسى في سيره نحو النار التي تلوح أمامه متوهجة منيرة فلما بلغها رأى نوراً عظيماً ممتداً من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك قيل إنها شجرة العوسج، وقيل إنها شجرة العناب، وقيل إنها شجرة العليق. فتحير موسى وتعجب ـ النار لا تنطفىء، والشجرة لا تشتعل، وليس بجوار النار أحد ـ دار بعينيه يبحث هنا وهناك ولكن نظره لم يقع على إنسان. بل كان الوادي الذي يقف فيه هادئاً ساكناً ـ وارتدت عينا موسى إلى النار ـ يا للعجب إن النار متوهجة لا تحرق الشجرة ولا تنطفىء، لم يجد أحداً يسأله عن هذا الموضوع ـ ودنا موسى من النار ليزداد معرفة فوجدها ناراً عظيمة ليس لها دخان وهي تلتهب وتشتعل في جوف شجرة خضراء. لا تزداد النار إلا عظماً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة فاستأخرت عنه فتملكت موسى الرهبة وأوجس في نفسه خيفة فارتد إلى الوراء. عندئذ سمع صوتاً آنست له نفسه واطمأن له قلبه. نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة **﴿أن يا موسى﴾** فنظر فلم يرَ أحداً ـ فنودي: **﴿إني أنا الله رب العالمين﴾** سمع ذلك من جميع الجهات وبجميع جوارحه

فعلم أنه ربه تعالى. فناداه ربه أن أدن واقترب، فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيئة خفق قلبه، وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حياً كميت تتخلله الروح من غير حركة. فأرسل الله إليه ملكاً يشد ظهره ويقوي قلبه. فلما ثاب إليه عقله نودي: ﴿**يا موسى - إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى**﴾ فخلع موسى نعليه ووقف خاشعاً بين يدي الله يستمع إلى ما يوحى إليه من آيات بينات ثم قال الله له: ﴿**يا موسى. ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون، فقال موسى لربه - رب إني أخاف أن يكذبون. وأخاف أن يضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون، ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون**﴾ فقال الله تعالى: ﴿**ما تلك بيمينك يا موسى؟ قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى.**﴾ قال الله تعالى: ﴿**فألقها يا موسى**﴾ فألقى موسى عصاه فإذا هي حية تسعى قد صارت شعبتاها فماً - وصار مقبضها عرفاً لها يهتز على ظهرها لها أنياب.

فلما رأى موسى العصا قد صارت حية تهتز، وتتحرك كأنها جان، ولى مدبراً خائفاً دون أن ينطق أو يعقب. فناداه ربه: ﴿**يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين، سنعيدها سيرتها الأولى**﴾ أي نردها عصا كما كانت.

أقبل موسى ليأخذ العصا فهابها، وهي حية فلف يده في كمه ومد يده ليمسكها فنودي أن انزع عنك رداءك ولا تخف فنزعه ومد يده بين فكيها وكفه بين شعبتيها فعادت عصا. وليزيده الله اطمئناناً قال له يا موسى، أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى - فأدخل موسى يده في جيبه ثم أخرجها فإذا هي نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده - فقال الله تعالى: ﴿**فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين**﴾.

ثم قال الله تعالى له: ﴿**اذهب إلى فرعون إنه طغى**﴾ فقال موسى: ﴿**رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردئاً**﴾ **يصدقني ويفهم عني ما لا يفهمون** فقال الله له: ﴿**سنشد عضدك بأخيك**

ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ .

الرسالة: قال الله تعالى: يـا موسى إني أوقفتك موقفاً لا أجعل بعده لأحد عليك سلطاناً دوني ولا ينبغي لمن بعدك أن يسمع كلامي، وأنت في أقرب الأماكن مني ـ يا موسى انطلق برسالتي وأنت بعيني وسمعي ومعك قوتي وبصري ـ بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وعبد دوني وغرته الدنيا حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي وزعم أنه لا يعرفني. وإني أحلف بعزتي وجلالي لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بيني وبين خلقي لبطشت بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والبحار والجبال والشجر والدواب. فلـو أذنـت للسماء لحصبتـه وللأرض لابتلعته وللجبال لدكدكته وللبحار لأغرقته ولكن سقط من عيني وهان علي وصغر عندي ووسعه حلمي وأنا الغني عنه وعن جميع خلقي وحق ذلك لي وأنا خالق الغني والفقير ـ لا غني إلا من أغنيته ولا فقير إلا من أفقرته. فأبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي وتوحيدي والإخلاص لي وحذره نقمتي وبأسي وذكره آياتي وأعلمه أنه لا يقوم لغضبي شيء وقل له فيما بين ذلك قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى، وبجله في خطابك إياه ولا يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصبته بيدي ولا يطوف ولا ينطلق ولا يتنفس عن شيء إلا بعلمي . . . وأخبره بأني من العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة ـ وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة. وقد أمهلك في طول هذه المدة، وفي كلها تدعي الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفي كل ذلك يمطر السماء وينبت لك الأرض ويلبسك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك النقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم.

ثم أمسك الكلام عن موسى سبعة أيام بلياليها ثم قيل له بعد سبع ليالٍ أجب ربك يا موسى فيما كلمك فقال: ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيرا﴾ فقال الله تعالى: ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ فجاهد بنفسك وأخيك.

وكان قد خطر في قلب موسى أن فرعون ذو بأس عظيم وفي جند كثير، وأنا وأخـي وحيـدان فـريـدان، فقـال الله تعـالى لـه: إنكـما جنـدان عظيمان مـن

جندي وأنا معكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت أن آتيه بجنود لاقبل له بها لفعلت. ولكن ليعلم ذلك الشقي الضعيف الذي أعجبته نفسه وجنوده أن الفئة القليلة ولا قليل عندي، تغلب الفئة الكثيرة بإذني، ولا يعجبنكما زينته ولا تهولنكما عدته. فلو شئت أن أزينكما من زينة الدنيا وبهجتها ما يبهت فرعون وملأه إذا نظروا إليها ويعلم أن مقدرته تعجز عما أتيتكما فعلت. فلا تأسفا عما أوريه عنكما من متاع الدنيا وزينتها فإن ذلك دأبي في أوليائي وأصفيائي. أذودهم من نعم الدنيا ولذتها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن المراعي الرديئة لكي تستكملوا نصيبكم من كرامتي في الآجل. واعلم أنه لا يتزين أحد من عبادي بزينة هي أبلغ من الزهد في الدنيا وهو زينة الأبرار.

عدد كلمات الله لموسى: قيل إن الله تعالى كلم موسى في تلك المدة مائة وأربعة عشر ألف كلمة.

وقيل لموسى عليه السلام: بم عرفت أن الله تعالى هو الذي كلمك؟ فقال لأن كلام المخلوق إنما يسمع من جهة واحدة بحاسة واحدة وهي السمع ـ وإني كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحي كلها فعرفت أنه كلام الله تعالى.

عودة موسى إلى مصر: قال السدي بإسناده، رجع موسى إلى أهلـه بهدى أي هدى، ونور أي نور، وسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً فتضيف على أمه التي عرفها دون أن تعرفه ولكنها شعرت نحوه بالعطف والحنان من وقت أن رأته فأتاها في ليلة كانوا يأكلون فيها المرق فنزل في جانب الدار، فجاءها هارون. فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف فدعاه فأكل معه. فلما أن قعدا وتحدثا فسأله هارون من أنت؟ قال أنا موسى. فقام كل منهما إلى أخيه يعانقه ثم فنحت الأم ذراعيها فحضنت ابنها الحبيب الذي رده الله إليها بعد أن افترق عنها وهو طفل رضيع ـ والقصة في قول الله تعالى في سورة طه:

﴿وهل أتاك حديث موسى. إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي

آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى. فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى. فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ .

وفي سورة طه: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى، قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري، وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً، من أهلي، هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ .

سورة طه: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى، قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى، وأضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ .

ومنها أيضاً: ﴿إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري، اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى. قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى. فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾ .

سورة القصص: ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم الأمد وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ـ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾ .

سورة الفرقان: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً، فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا﴾ .

سورة الشعراء: ﴿وإذ نادى ربك موسى أن إئت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون. قال رب إني أخاف أن يكذبون، ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى

هارون ولهم علي ذنب فاخاف أن يقتلون، قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون، فأتيا فرعون فقولا إنا رسولا رب العالمين﴾ .

موسى يبلغ هارون: تلقى هارون أخاه بفرح لا يقل عن فرح أمه وشوق لا يقل عن شوقها ثم جلسوا جميعاً يتحدثون، روى كل ما كان وما حدث في هذه السنين الطويلة وتحدث موسى بأعظم خبر وزف إلى أهله أكبر نبأ، فقص على أمه وأخيه اختيار الله له نبياً ورسولاً، واختيار هارون مبلغاً ووزيراً وبعثه ليكون له بشيراً ونذيراً ـ وفي اليوم التالي قال موسى يا هارون، انطلق معي إلى فرعون ـ فإن الله تعالى قد أرسلنا إليه ـ فقال هارون سمعاً وطاعة ـ قامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله أن لا تذهبا إلى فرعون فيقتلكما فأبيا عليها ومضيا لتنفيذ أمر الله بعد أن طمأناها وطيبا خاطرها .

موسى وهارون يبلغان فرعون: ذكر القرآن الكريم أن موسى وهارون أتيا فرعون وبلغاه رسالة الله تعالى له أن يرسل معهما بني إسرائيل لعبادة ربهما، وفي التوراة (أطلق شعبي ليعبدوني في البرية) وقد بينا له الآيات وقدما له المعجزات الدالة على صدق رسالتهما ولكنه كذبهما فأغرقه الله تعالى وجنوده في البحر .

والقصة في أن موسى وهارون إستأذنا في الدخول لدى فرعون . فلما مثلا بين يديه وكانا خائفين أن يفرط فرعون عليهما دعا موسى بدعائه المشهور وهو: (لا إله إلا الله الحليم الكريم . لا إله إلا الله العلي العظيم . سبحان رب السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . اللهم إني أدرأ بك في نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك علبه فاكفنيه بما شئت) فتحول ما في قلب موسى من الخوف أمناً .

فقال فرعون لموسى من أنت؟ فقال أنا رسول رب العالمين . فأنعم علينا وأرسل معنا بني إسرائيل يعبدون ربهم ونكون لك من الشاكرين ـ فتأمله فرعون فعرفه فقال له ساخراً : (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت

فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين؟) يقصد بذلك المصري الذي قتله موسى. قال موسى فعلتها إذا وأنا من الضالين ـ أي من المخطئين ـ ولم أرد بذلك القتل، ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين فسأله فرعون فمن ربك يا موسى؟ من رب العالمين؟ قال موسى ربنا الذي خلقنا وهدانا وجعل لنا الأرض ممهدة لنتخذ فيها مسالك وطرقاً وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجاً من نباتٍ شتى ـ ربنا رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين. فضحك فرعون من قول موسى والتفت إلى أهل مجلسه من الوزراء والكبراء وقال هازئاً ألا تستمعون؟ قال موسى. ربكم ورب آبائكم الأولين ـ فقال فرعون لمن حوله ساخراً من موسى: أن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون.

استمر موسى في تعريف فرعون والحاضرين حقيقة الألوهية. ومن هو الله الذي تجب عبادته فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون فضاق فرعون بقول موسى وغضب لوصفه هو والحاضرين معه بقلة العقل. فقال يهدد موسى غاضباً حانقاً: (لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) قال موسى أو لو جئتك بشيء مبين؟ تعرف به صدقي وحقي قال فرعون: فأتِ به إن كنت من الصادقين.

معجزة اليد والعصا: عندئذ وفي وسط الجمع الكبير ألقى موسى على الأرض عصاه فإذا هي ثعبان مبين. تتحرك وتسعى أمام الحاضرين. فاتحة فاها ـ ملأت ما بين جانبي القصر ـ واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون فانفض عنها الناس وأسرعوا إلى الفرار. وذعر منها فرعون ووثب عن كرسيه وأحدث على نفسه حتى أنه قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة ـ وكان فرعون فيما يزعمون ـ لا يسعل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم أي يتبرز إلا في كل أربعين يوماً مرة واحدة ـ وكان أكثر ما يأكل الموز لأنه لم يكن له تفل فيحتاج إلى القيام. وكانت

هذه الأشياء مما زين له القول إنه إله لأنه ليس له من الناس مثيل .

فعندما قصد الثعبان العظيم فرعون، حدث به ما حدث من الانزعاج فصاح يا موسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع الا ما أخذت الثعبان وأمسكته عني . وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل . فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم أن موسى نزع يده من جيبه فأحرجها أمام الأعين المدهوشة المبهوتة من الرعب والفزع فإذا هي يد بيضاء مثل الثلج تشع ضياء من قبس النور ثم أعادها إلى جيبه وأخرجها يداً آدمية سمراء كما كانت من قبل ـ قالوا : لقد هم فرعون بتصديقه فقام إليه هامان وجلس بين يديه وقال لـ أنت إله تعبد فكيف تقبل أن تكون عبداً لغيرك ؟ فعاد فرعون إلى كفره ومكابرته . وعاد قومه إلى عنادهم وقالوا إن هذا لساحر عليم فقال موسى : أتقولون للحق لما جاءكم سحر (يا فرعون إني رسول رب العالمين حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل) ولكن فرعون هز رأسه مكابراً مستنكراً وقال هذا الساحر يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ليكون له ولقومه الكبرياء في الأرض فماذا تأمرون؟ قالوا أرجئه وأخاه وابعث إلى سحرة مملكتك فإن أتوا بما أتى بطلت دعواه وكذبت معجزته والقصة في قوله تعالى :

في سورة الأعراف : **﴿قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك ـ التي فعلت وانت من الكافرين ـ قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾** .

ومنها أيضاً : **﴿قال فرعون وما رب العالمين ـ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون ـ قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾** .

ومن سورة الشعراء أيضاً : **﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين قال أو لو جئتك بشيء مبين ـ قال فأت به إن كنت من الصادقين ـ فألقى عصاه فإذا**

هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ـ قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون؟ قالوا أرجئه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم﴾ .

اجتماع السحرة: وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم . فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون . فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ـ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون .

لما ألقوا ـ فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا ـ لا تخف إنك أنت الأعلى . وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيداً كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى . فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى ـ قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى . قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى . إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا ـ جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى .

قالوا إن السحرة الذين ناظروا موسى عليه السلام كانوا اثنين وسبعين شيخاً هم علماء ورؤساء السحرة في مصر وكان يرأسهم في مناظرتهم لموسى خمسة هم سابورا وغادر وحفظ وخطط ومصفا . . وهم أول من آمن بموسى حينما رأوا من آيات الله تعالى الساحقة وسلطانه الذي لا يعلوه سلطان . فقطع فرعون أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل . وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوباً مهزوماً مكسوراً ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه الآيات وأخذه وقومه

بالسنين إلى أن أهلكهم.

عودة موسى إلى قومه منتصراً: عاد موسى وهارون إلى قومهما غالبين منتصرين بفضل الله ونعمته ـ ولم تزل العصا على حالها حية تتبعهما وتبصبص حولهما وتلوذ بهما كما يلوذ القط الألوف بصاحبه والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها وقد ملئوا رعباً فلم تزل العصا على هيئة الحيـة والنـاس يتحـدثـون وينظـرون إليهـا ويتصاعقون ويتضاغطون حتى دخل موسى وهارون عليهما السلام معسكر بني إسرائيل فأخذ موسى برأس الحية فإذا هي عصا كما كانت أول مرة، وشتت الله على فرعون أمره ولم يجد إلى موسى سبيلاً.

نعمة الله على فرعون: قالت العلماء، كان الله تعالى قد أملى لفرعون في كل باب من أبواب التملك والتسلط والترفع والثروة والتنعم والتمتع ما قد استخف به قومه حتى أمرهم فأطاعوه واستعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمتعة والسعة والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته أنه ربما لبث أربعين يوماً وليلة لا يخرج منه شيء إلا مرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط ولا يتنحنح ولا يسعل ولا يأخذه وجع في بطنه ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة في نفسه.

وقال سعيد بن جبير: ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروهاً ولو كان في تلك المدة أدرك جوع يوم واحد أو حمى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسه سوء ولا مكروه.

بناء الصرح: ولما علم فرعون من قومه الرعب والخوف من موسى وآياته خاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوي به سلطانه فالتفت في مجلسه إلى قومه وقال لهم: ما علمت لكم من إله غيري: فقالوا نعم. ثم التفت إلى وزير أشغاله وقال له: ﴿يا هامان ابن لي صرحاً لعلي

أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) فأمر هامان ببنائه وأخذ يسوق أبناء بني إسرائيل ليسخرهم في بناء الصرح العالي ليصعد به فرعون إلى إله موسى حتى تم بناء الصرح في سبع سنين، وقد يسر الله تعالى هذا الأمر استدراجاً له منه فارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض فشق ذلك على موسى، فأوحى الله تعالى إليه: **أن دعه وما يريد فإني مستدرجه وآخذه بغتة وإني مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة** وكان هذا الصرح إذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب وإذا غربت ضرب ظله نحو المشرق. فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل فضرب بجناحه الصرح ضربة قطعته ثلاث قطع فوقعت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب.

قال الضحاك: بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألف ألف رجل ـ وكان أمر الله تعالى بهدم الصرح بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ـ فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم أن حيلته لم تغنِ عنه شيئاً فعزم على قتال موسى وقومه ـ فأخذ فرعون وقومه يعدون العدة لمحاربة الله.

أخلاق الله وأخلاق نبيه موسى وأخلاق فرعون وقومه

آيات الله على فرعون وقومه لما كذبوا موسى

قال الله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾ قال المفسرون هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿**ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون**﴾ وقال تعالى: ﴿**فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين**﴾.

أخذت فرعون العزة بالإثم وعتا عن أمر ربه تعالى وتمادى في تكذيب موسى

واستمر في إعنات بني إسرائيل وإيقاع ضروب الإذلال والإهانة بهم فأمر فرعون قومه أن يكلفوا بني إسرائيل ما لا يطيقون. فكان الرجل من القبط يجيء إلى الرجل من بني إسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس بيتي واعلف دوابي واسق زرعي. وتجيء القبطية إلى الكريمة من بني إسرائيل فتكلفها ما لا تطيق وذلك بدون أجر أو مكافأة. فشكى بنو إسرائيل إلى موسى فقال لهم: (استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) قالوا: (يا موسى) أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال «موسى»: **﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ سورة الأعراف.**

دعاء موسى على فرعون: لما أبى فرعون وقومه إلا التمادي على الكفر والإقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال: (يا رب إن عبدك فرعون قد طغى في الأرض وبغى وعتا وإن قومه نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك. رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم من الأمم عبرة) فاستجاب الله دعاءه وأرسل على فرعون وملئه من القبط الآيات التسع بعضها إثر بعض والآيات هي:

١ ـ الطوفان:

وهو ماء أرسل إليهم من السماء حتى كادوا يهلكون منه فقالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وعادوا إلى شر أعمالهم.

٢ ـ الجراد:

بعد ذلك بعث الله عليهم الجراد فأكل زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى أنها كانت لتأكل الأبواب والثياب والأمتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير وكان الجراد لا يدخل بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجبوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فسأل موسى ربه فكشف الله

عنهم الجراد بعد أن قام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت . ويقال إن موسى برز إلى الفضاء فأشار إلى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث أتى وأصبح كأن لم يكن ولكنهم نكثوا عهدهم وكفروا بنعمة الله وآياته وعادوا إلى كفرهم وشر أعمالهم فأرسل الله إليهم الآية الثالثة .

٣ ـ القمل:

مشى موسى إلى قرية عين شمس بمصر وضرب رمالها وترابها بعصاه وكان كثيباً مهيلاً عظيماً فتحول إلى قمل ثم انهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حرثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلها ولحس الأرض كلها . وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلىء قملاً ـ وكان بلاء القمل أشد عليهم من أي بلاء سابق حيث أخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم، وحواجبهم ولزم جلودهم ومنعهم من النوم والفرار ـ ولم يستطيعوا له حيلة ـ فذهبوا إلى موسى وقالوا له با أيها الساحر ـ أي العالم ـ إنا نتوب ولا نعود . فادع لنا ربك بما عهد عندك أن يكشف عنا هذا العذاب ـ فدعا موسى ربه فكف عنهم القمل الذي أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ثم نكسوا العهد وعادوا إلى أخبث أعمالهم وقالوا إن موسى ساحر يحول الرمل إلى دواب وقد أهلك زرعنا وحروثنا بسحره وأذهب أموالنا فبعزة فرعون لا نصدق به أبداً ولا نتبعه ـ فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الآية الرابعة .

ـ الضفادع:

لما نكسوا عهدهم مع موسى، دعا عليهم بعدما أقاموا شهراً في عافية وقيل أربعين يوماً ـ فأوحى الله تعالى إليه وأمره أن يقوم على ضفة نهر النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا إلى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتتابعت له الضفادع بالنقيق من كل جانب وخرجت من النيل سراعاً فدخلت عليهم بيوتهم بغتة وامتلأت بها أفنيتهم وآنيتهم فكان أحدهم لا يكشف ثوباً ولا إناء ولا طعاماً

ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع. وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فمه. وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع فكان لا يستطيع ان ينصرف إلى شقه الأيمن ولا الأيسر لكثرتها فلقوا منها أذى شديداً ـ فلما رأوا ذلك بكوا بكاء شديداً وشدوا إلى موسى، وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فإنا نتوب هذه المرة ولا نعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم على هذا الكلام فدعا موسى ربه فكشف عنهم الضفادع. فأمره الله أن يهتف بعصاه ويميلها ففعل فانقشع ما كان منها حياً فلحق بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحاً فنحتها عن مدينتهم بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت. فأقاموا شهراً في عافية وقيل أربعين يوماً ثم نقضوا العهد وعادوا إلى كفرهم وتكذيبهم وسيء أعمالهم.

٥ ـ الدم:

ولما نقضوا عهدهم وعادوا إلى كفرهم دعا علبهم موسى فأرسل الله عليهم الدم وذلك أن الله تعالى أمر موسى بأن يذهب إلى شاطىء البحر فيضربه بعصاه ففعل ذلك فسال عليهم النيل دماً ـ وصارت مياههم كلها دماً. وما يسقون من الأنهار والترع والآبار إلا وجدوه دماً أحمر ـ فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا له إنا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره، فقال لهم، إنه قد سحركم موسى: فكان يجتمع الرجلان على الإناء الواحد القبطي، والإسرائيلي فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء ويكون ما يلي للقبطي دماً. حتى أن المرأة من آل فرعون تأتي إلى المرأة الإسرائيلية حين يجهدها العطش فتقول اسقيني من مائك فتسكب لها من جرتها فتصب في الإناء دماً وتبقى في الجرة ماء ـ حتى أن فرعون اعتراه العطش فاضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماؤها ملحاً أجاجاً ومراً زعافاً فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون إلا الدم.

فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا

الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك ـ وذلك أن موسى أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة أخرى. فضربه فتحول ماء صافياً كما كان ولكنهم لم يؤمنوا ـ واستمروا في عنادهم وغيهم ولم يفوا بما عاهدوا موسى عليه فعاقبهم الله بالنقص.

٦ ـ النقص:

نقص الأموال والأنفس والثمرات ويسمى بالطمس على الأموال والأنفس والثمرات.

٧ ـ اليد البيضاء:

وكان يضع يده في جيبه ثم يخرجها بيضاء من غير سوء.

٨ ـ العصا:

بأوصافها ومعجزاتها السابقة.

٩ ـ فلق البحر:

وهو معجزة لموسى وقد غرق فيه فرعون وجنوده.

وعن صفوان أن يهودياً سأل النبي محمد عليه الصلاة والسلام عن الآيات التسع التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾ فقال: «لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء لدى سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود، ألا تعدوا في السبت»، فقبل اليهودي يده ورجله.

يأس موسى: لما يئس موسى عليه السلام من إيمان فرعون وملئه ورآهم لا يزدادون إلا طغياناً وكفراً وتمادياً في الباطل والشر والكبر دعا عليهم وأمن هارون

على الدعاء فقال: (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا. ربنا ليضلوا عن سبيلك. ربنا إطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) فأجاب الله دعاءهما فقال تعالى: **قد أجيبت دعوتكما فاستقيا.**

خروج موسى وبني إسرائيل من مصر

كيف ومتى دخل الإسرائيليون مصر

دخل يوسف الصديق عليه السلام مصر في عهد الأسرة السادسة عشرة في أيام الملك الفرعون الريان بن الوليد عام ١٦٠٠ قبل الميلاد تقريباً.

ولما حدث القحط في مصر في عهد الأسرة السابعة عشرة أدخل يوسف أباه وإخوته وأهله من بني إسرائيل حوالي عام ١٥٧٣ قبل الميلاد وكان عددهم اثنان وسبعون شخصاً ما بين رجل وامرأة وطفل. وعاش بنو إسرائيل في مصر في نعمة تامة ورفاهة عيش تكريماً ليوسف عزيز مصر وأمينها في ظل ملوك الأسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة إلى أن جاء الملك رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة فاضطهد الإسرائيليين لسببين:

١ - خشية أن يكونوا حزباً ممالئاً لأعدائه الهكسوس الذين ظل يحاربهم أكثر من تسع سنين، ولا سيما فقد تكاثر عددهم إلى أن أصبحت لهم جالية كبيرة تشمل جزءاً عظيماً من مديرية الشرقية.

٢ - خوفه مما رآه في نومه وما فسره له المفسرون من أنه سيأتي من أصلاب بني إسرائيل ولد سيقضي عليه وعلى ملكه وسيغير دينه ودين قومه...

وقد ولد موسى في زمانه وقد مات الملك رمسيس الثاني وجاء ابنه الملك

منفتاح لبكمل رسالة أببه في اضطهاد بني إسرائيل وفي عهده خرج موسى وبنو إسرائيل من مصر.

★★★

وعندما اراد الله إنقاذ بني إسرائيل من شر فرعون وقومه، أوحى الله تعالى إلى موسى بقوله: ﴿**وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى**﴾ اتفق موسى مع بني إسرائيل على الخروج من مصر والذهاب إلى الأرض المقدسة فلسطين التي كتبها الله لهم وأعد عدته معهم. ثم سار بهم ليلاً من أرض مصر وكان عددهم حينئذ ستمائة وعشرين ألفاً وكان ذلك في عام ١٢١٣ قبل الميلاد أي أن مدة إقامتهم بمصر كانت ٣٦٠ عاماً ـ وساروا وكان في مقدمة المسيرة هارون وفي مؤخرتها موسى، وكان اتجاهها نحو البحر الأحمر طريق السويس ولما بلغ بنو إسرائيل ساحل البحر الأحمر ووقفوا على شاطىء بحر يوسف بين خليج السويس والبحيرات المرة أشرقت الشمس فأيقن الإسرائيليون بالهلاك وأن فرعون لا محالة لاحق بهم وباطش بهم.

وكان فرعون قد علم بخروج بني إسرائيل مع موسى فجن جنونه وصاح وصخب وأرغى وأزبد وهدد وتوعد ونادى في قومه كما قال الله تعالى: ﴿**فأرسل فرعون في المدائن حاشرين. إن هؤلاء لشرذمة قليلون وأنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون**﴾ فجمع فرعون مليونا ونصف مليون من الجنود بأسلحتهم وعلى خيولهم وتبع موسى وبني إسرائيل ووضع في المؤخرة هامان وبقي هو في المقدمة وساروا مسرعين وبالقرب من البحر وعند طلوع الشمس تراءى الجمعان ـ رأى فرعون موسى وبني إسرائيل يمعنون في الهرب ويجدون في السير. ورأى موسى وأصحابه فرعون وجنوده وذلك قول الله تعالى: ﴿**فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون**﴾ قال موسى ﴿**كلا إن معي ربي سيهدين**﴾ قالوا يا موسى هذا البحر قدامنا إن دخلنا فيه غرقنا، وفرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا، ولقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ـ فقال موسى يا

قوم استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يررثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون .

قال عبد الله بن سلام: ثم دعا موسى ربه فقال: (اللهم يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجاً ومخرجاً) فأوحى الله تعالى إليه أن أضرب بعصاك البحر فتقدم موسى من المؤخرة إلى المقدمة وضرب بعصاه البحر كما أمره الله فانفلق فلقين فكان كل فلق كالطود العظيم والجبل الشامخ. وظهر في البحر اثنا عشر طريقاً لاثني عشر سبطاً لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبساً كما قال الله تعالى: ﴿**فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى**﴾ فأشار موسى إلى قومه أن اعبروا فعبروا على أرض يابسة قد جففت الريح طينها ورملها .

وروى الأعمش عن شفيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « أعلمكم الكلمات التي تكلم بها موسى حين جاز البحر ببني إسرائيل؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: قولوا اللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

عندئذ انجابت المخاوف عن قوم موسى وعبروا البحر. وبينما هم كذلك أبصروا فرعون وجنوده من ورائهم يريدون اجتياز البحر ليلحقوا بهم، فلما وصل جند فرعون إلى البحر رأوه منفلقاً فدخل فرعون ومن معه فانطبق عليهم الماء وأغرقهم جميعاً وفي هذا يقول عز وجل: ﴿**فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون**﴾ .

نجى الله موسى وبني إسرائيل وأغرق فرعون وقومه على مرأى ومسمع من بني إسرائيل، وحينما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الله الذي آمنت به

بنو إسرائيل وإنا من المسلمين ـ فقال له الله تعالى على لسان جبريل **﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين. فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾** .

وقد سمعت بنو إسرائيل هدير البحر فسألوا موسى عن ذلك فقال لهم إن الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقاً . فلم يصدق بنو إسرائيل ذلك وقالوا لموسى : إن فرعون لا يموت ، فأمر الله تعالى البحر فألقى جثته على شاطئه الشرقي الواقفين عليه حتى تنظر إليها بنو إسرائيل فصدقوا موسى في قتل وهلاك فرعون .

أفراح بني إسرائيل: وكان من الطبيعي أن يفرح بنو إسرائيل بنصر الله وبنجاتهم بهذه الأعجوبة وهلاك فرعون وجنوده فأخذوا يغنون ويترنمون بتسبيح الله تعالى ، وأخذت مريم أخت هارون وموسى الدف وخرج جميع النساء وراءها يدففن ويرقصن لنجاتهم وهلاك عدوهم وبتلك الحادثة التاريخية صاروا سلفاً ومثلاً للآخرين على مر الدهور وتعاقب الأيام .

بنو إسرائيل بعد نجاتهم: عبر موسى البحر بقومه ، ولما أيقن بغرق فرعون وجنوده أرسل فرقتين كبيرتين من جيش بني إسرائيل إلى مدائن مصر وهي يومئذ خالية من أهلها حيث أهلك الله عظماءها وقادتها ومقاتليها فلم يبق منهم إلا النساء والصبيان والمرضى والشيوخ فأمر على الفرقة الأولى يوشع بن نون وعلى الفرقة الثانية كالب بن يوقنا فدخلوا مدائن وقصور فرعون فغنموا ما كان فيها من أموال وكنوز ، وحملوا من ذلك ما طاقت به حمولهم وباعوا ما لم يطيقوا حمله ذلك قوله تعالى : **﴿كم تركوا من جنات وعيون﴾** إلى قوله تعالى : **﴿فاكهين وأورثناهم قوماً آخرين﴾** .

بعد ذلك توجه موسى بمن معه إلى صحراء سيناء وفي سهولها أمره الله بالمعجزات المنقذة لهم وكان موسى قد واعد بني إسرائيل أن يأتيهم على أثر

خروجهم من مصر بتعاليم الله التي تبين لهم الحلال من الحرام وتفرق لهم بين الطيب والخبيث ليتبعوها ويسيروا على هداها . فاتجه إلى الله يسأله أن يرشده إلى ما يتبع ، فأوحى الله إليه : أن موعدك معنا يا موسى جانب الطور فأعد نفسك لمخاطبتي بأن نصوم عن الطعام شهراً فشرع موسى يعد نفسه لترك قومه والذهاب إلى موعد ربه .

طلب بني إسرائيل إلهاً من الأصنام يعبدونه من دون الله: سار موسى وبنو إسرائبل نحو الجنوب حوالي ثلاثة أيام وهم في فرحهم ونشوتهم ولكنهم سرعان ما تعبوا من السير ، ولحقهم الإعياء ، وذهب عنهم الفرح الذي استخفهم لنجاتهم وخلاصهم من فرعون . فمالوا إلى أن ينزلوا بجوار قوم يعبدون الأصنام مروا عليهم أثناء سيرهم ـ وسرعان ما تغلبت عليهم الوثنية التي قد ألفوها من المصريين وقلدوهم فيها ودفعتهم إلى أن يطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلّهاً كما لهؤلاء القوم من آلهة .

كان جواب موسى لهم تجهيلاً ولوماً وتعنيفاً على طلبهم إلّهاً سوى الله الذي أنجاهم من عذاب عدوهم بأعجوبة الأعاجيب وخصهم بالإكرام وأهلك عدوهم أمام أعينهم فقال لهم : أغير الله أبغيكم إلّهاً وهو فضلكم على العالمين ـ الله الذي أراكم آياته وأنجاكم من فرعون وجنوده بمعجزاته وأورثكم أرضاً سوف تدخلونها ووعدكم بكتاب يرشدكم ويهديكم ـ تتخذون غيره بديلاً بئس ما تفعلون وبئس ما تقولون ـ فاعتذروا له لما لحقهم من رق الذل والعبودية ، ومرور السنين الطويلة عليهم ، وهم يرون المصريين عاكفين على عبادة الأوثان وتقديس العجول وتأليه الفراعنة مما لوث عقيدتهم بحب عبادة الأوثان والعجول فاستغفر موسى لهم ربه .

مطالب بني إسرائيل من موسى: لما نزل بنو إسرائيل إلى سهول شبه جزيرة سيناء وجدوها صحراء قاحلة لا سكن فيها ولا نبات ولا طعام فشكوا إلى موسى ما يلقون من العناء ـ فقالوا يا موسى لقد أجهدنا السير وأضرَّ بنا العطش ونود أن ننزل على عين ماء ونستقي ونسقي أولادنا ودوابنا ـ .

اتجه موسى إلى ربه يسأله الماء، فأمره الله أن اضرب بعصاك هذا الحجر الذي أمامك يتفجر لك منه اثنتا عشرة عيناً، لذرية كل ولد من أبناء إسرائيل الاثني عشر عين منها .

وضرب موسى بعصاه الحجر فانفجرت له عيون الماء الاثنا عشر ـ فتساقط بنو إسرائيل على عيون الماء يشربون ويرتوون ويبتردون فشربوا ورووا عطشهم وترعرعت أجسامهم وهذه العيون بالبر الشرقي غير بعيدة عن مدينة السويس وهي شهيرة بعيون موسى ـ وقل اليوم ماء هذه العيون وبعضها طمست آثاره ـ ويزرع على تلك العيون والمياه النخيل، والظاهر أن ضرب الحجر وانبجاسه بالماء حصل عدة مرات .

ثم ذهبوا إلى موسى مرة ثانية يشكون: هذا الماء قد جاءنا فأين الطعام؟ فاتجه موسى إلى ربه مرة ثانية يسأله الطعام لقومه ـ فاستجاب الله دعاءه. وأنزل لبني إسرائيل المن والسلوى فكانت المن مادة تنزهر على أوراق بعض الأشجار مثل الطرفاء حلوة شهية تغني آكلها عن الخبز والحلو ـ وكانت السلوى هي طائر السماني يأتي إليهم أسراباً متلاحقة فيكاد يغطي الأرض بكثرته. وأقبل بنو إسرائيل على المن يلتهمونه التهاماً وعلى طائر السماني يذبحون منه ويشوون ويأكلون. فلما شبع بنو إسرائيل وامتلأت بطونهم ذهبوا إلى موسى يشكون للمرة الثالثة قائلين: هذان الماء والطعام. فأين المكان المريح الظليل الذي نستظل به من حرارة ووهج الشمس ونحتمي فيه من شدة حرها ولفحها؟.

اتجه موسى إلى ربه للمرة الثالثة يسأله الظل لقومه. فاستجاب الله له وساق له الغمام الكثيف فكان على رؤوس بني إسرائيل كالمظلة الواسعة فوقاهم حر الشمس ولطف لهم الهواء وآن لموسى بعد ذلك أن يذهب لميقات ربه .

ذهاب موسى لميقات ربه: سبق أن ذكرنا أن موسى عليه السلام كان قد وعد بني إسرائيل وهو بمصر أنهم إذا خرجوا من مصر وأهلك الله عدوهم فإنه

سيأتيهم من الله بكتاب مقدس يبين لهم ما يأتون وما يذرون ـ فلما قضى الله أمره ـ قالوا يا موسى إئتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي بطور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب .

ولما انتهى موسى من إيفاء قومه مطالبهم من الماء والطعام والإظلال ولم يبق لهم مطالب رأى أنه قد آن الأوان للذهاب إلى ميقات ربه .

أوصى بنو إسرائيل بعضهم بعضاً خيراً ـ وجعل عليهم أخاه هارون خلفاً له ورئيساً عليهم وعرفهم أنه سيغيب عنهم شهراً (ثلاثين يوماً) يعود إليهم بعده بكتاب الله وتعاليمه وإرشاداته التي يسيرون عليها ويعملون بها .

وذهب موسى لميقات ربه في سفح جبل الطور الأيمن حيث كلمه الله أول مرة ثم اعتكف يعد نفسه للأمر العظيم ويطهر روحه بالصيام ليكون أهلاً للوقوف بين يدي الله .

صام ثلاثين يوماً وهي أيام شهر ذي القعدة وطهر ثيابه ثم صعد الجبل فأحس أن فمه قد بلت وله رائحة كريهة من أثر الصيام فكره أن يخاطب ربه وفمه تتصاعد منه هذه الرائحة فاستاك أو أخذ من نبات الأرض شيئاً فمضغه ولاكه ثم لفظه لعل الرائحة الكريهة تزول .

قال أبو العالية : أخذ موسى من لحاء الشجر فمصه فقالت له الملائكة إنا كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فقال كرهت أن أخاطب ربي ورائحة فمي غير طيبة فقالوا له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك . إرجع وصم عشرة أيام من ذي الحجة ثم إئت إلى ربك ـ ففعل موسى ما أمره الله به ، فصام عشرة أيام من ذي الحجة ، فلما أتمها صعد فوق الجبل في انتظار مخاطبة الله تعالى له .

مخاطبة الله لموسى: سمع موسى صوت الله يخاطبه ـ فابتهل موسى إلى ربه

يقول: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ فأجاب الله تعالى موسى بقوله: ﴿**لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني**﴾ فنظر موسى نحو الجبل وتجلى الله للجبل ودك الجبل دكاً وخر موسى صعقاً ـ وظل موسى في صعقته ما شاء الله أن يبقى ثم أفاق فاتجه إلى الله يبتهل إليه معتذراً ـ سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك فقال الله تعالى: ﴿**يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين**﴾ .

وأعطى الله موسى ألواحاً كتب له فيها ما ارتضى لبني إسرائيل أن يعملوا به وما أراد أن ينهاهم عنه، وبين فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء وقال له خذها يا موسى بقوة واعمل بها وأمر قومك أن يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما يجدون فيها وقد اختلف المفسرون في عدد الألواح بين عشرة واثنين كما اختلفوا في حقيقتها بين خشب وحجر وزبرجد وياقوت .

أخلاق موسى وهارون عليهما السلام

١ ـ الوصايا العشر

كتب الله لموسى في الألواح التي أعطاها له ولقومه هذه الوصايا العشر وهي معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة . وهي الأخلاق التي دعا الله إليها موسى وهارون وبني إسرائيل وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا كتاب من عند الله الملك العزيز القهار ورسوله موسى بن عمران، أن سبحني وقدسني لا إله إلا أنا فاعبدني. ولا تشرك بي شيئاً واشكر لي ولوالديك إلي المصير . أحييك حياة طيبة، ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك. فأضيق عليك السماء بأقطارها والأرض برحبها، ولا تحلف باسمي كاذباً فإني لا أطهر ولا أزكي من لا يعظم اسمي، ولا تشهد بما لا يعي سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فإني أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة

وأسألهم عنها ، ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ورزقي فإن الحاسد عدو نعمتي ساخط لقسمتي، ولا تزن ولا تسرق فأحجب عنك وجهي وأغلق دون دعوتك أبواب السموات، ولا تذبح لغيري فإنه لا يصعد إلي من قربان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه اسمي، ولا تفجرن بحليلة جارك فإنه أكبر مقتاً عندي، وأحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك.



وهي لمحمد عليه السلام: وهذه الوصايا العشر أو الأخلاق العشر التي أعطاها الله لنبيه موسى عليه السلام قد أعطاها جميعها لنبيه وحبيبه العظيم محمد عليه الصلاة والسلام جميعها في ثلاث آيات من سورة الأنعام وهي: **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾** .

وفصلها في ثماني عشرة آية من القرآن في سورة الإسراء وهي: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ـ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً، ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً. وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً. وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً. إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ـ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ـ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء**

سبيلاً ـ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ـ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً . ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولم تبلغ الجبال طولاً ـ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ـ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « لما أعطي موسى الألواح نظر فيها فقال يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً من العالمين قبلي ـ قال يا موسى: **﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾** أي بقوة وجد ومخالطة ، وتموت على حب محمد عليه السلام ـ قال موسى يا رب ومن محمد؟ قال أحمد الذي أثبت اسمه على عرشي قبل أن أخلق السموات والأرض بألفي عام وأنه نبيي وصفيي وخيرتي من خلقي وهو أحب إلي من جميع خلقي وجميع ملائكتي ـ فقال موسى يا رب إن كان محمد أحب إليك من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمتي؟ قال الله تعالى: **﴿إن فضل أمة محمد عليه السلام على سائر الأمم كفضلي على جميع الخلق﴾** . قال يا رب ليتني أراه وأراهم ـ قال يا موسى إنك لن تراهم ولو أردت أن تسمع كلامهم أسمعتك ـ قال يا رب فإني أريد أن أسمع كلامهم ـ قال الله تعالى: **﴿يا أمة محمد. فأحينا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا: لبيك اللهم لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك ـ فقال الله تعالى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي. قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم من قبل أن تعصوني ـ من جاء يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر﴾** وهذا قوله تعالى: **﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين﴾** وقوله تعالى: **﴿وما كنت بجانب الطور إذ ناديناه﴾** » .

٢ ـ التوراة

خُلق كل نبي دينه ورسالته وكتابه الذي أنزل إليه . فالتوراة خُلق موسى وهارون عليهما السلام ـ فالأخلاق الكريمة التي دعت إليها التوراة هي الأخلاق نفسها التي تخلق بها موسى وهارون ودعوا إليها قومهما ـ قال وهب بن منبه ـ وجدت على حاشية التوراة . اثنين وعشرين حرفاً . كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرؤونها ويتدارسونها ويدعون إليها وهي :

(١) لا كنز أنفع من العلم ، (٢) ولا مال أربح من الحلم ، (٣) ولا حسب أوضع من الغضب ، (٤) ولا قرين أزين من العمل ، (٥) ولا رفيق أشين من الجهل ، (٦) ولا شرف أعز من التقوى ، (٧) ولا كرم أوفى من ترك الهوى ، (٨) ولا عمل أفضل من الفكر ، (٩) ولا حسنة أعلى من الصبر ، (١٠) ولا سيئة أخزى من الكبر ، (١١) ولا دواء ألين من الرفق ، (١٢) ولا داء أوجع من الخرق ، (١٣) ولا رسول أعدل من الحق ، (١٤) ولا دليل أنصح من الصدق ، (١٥) ولا فقر أذل من الطمع ، (١٦) ولا غنى أشقى من الجمع ، (١٧) ولا حياة أطيب من الصحة ، (١٨) ولا معيشة أهنأ من العفة ، (١٩) ولا عبادة أحسن من الخشوع ، (٢٠) ولا زهد خير من القنوع ، (٢١) ولا حارس أحفظ من الصمت ، (٢٢) ولا غائب أقرب من الموت .

٣ ـ من أخلاق الله لموسى

قال عبد الله بن مسعود : لما قرب الله تعالى موسى إلى طور سيناء ـ رأى موسى عبداً جالساً في ظل العرش فقال يا رب من هذا ؟ قال الله تعالى : عبد لا يحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله . بر بوالديه . لا يمشي بالنميمة بين الناس ـ قال موسى يا رب اغفر لي ما جرى من ذنبي وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني . أعوذ بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من سوء عملي ـ قال الله تعالى . كفيت ذلك يا موسى ـ قال موسى : يا رب . فأي الأعمال أحب إليك أن أعمل

به؟ قال تذكرني ولا تنساني ـ قال: أي عبادك خير عملاً؟ قال: من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فهو مؤمن في خلق حسن ـ قال: فأي عبادك شر عملاً؟ قال: فاجر في خلق سيء جيفة بالليل بطال بالنهار.

من أخلاق بني إسرائيل

١ ـ **طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلٓهاً من الأوثان:** لما جاوز موسى بني إسرائيل البحر، وفي أثناء سيرهم في سيناء مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها. فقالوا لموسى لماذا لا نتخذ لنا إلٓهاً مثل هؤلاء القوم؟ نطلب منك يا موسى أن تجعل لنا إلٓهاً كما لهم آلهة ـ فتعجب موسى لأمر قومه الذين يتكلمون كلام الوتنيين عبدة الأصنام والذين نسوا فضل الله عليهم بآياته ومعجزاته في نجاتهم ـ فقال لهم إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ـ وفكرهم بنعمة الله عليهم الذي أنجاهم من آل فرعون الذين ساموهم سوء العذاب وذلك بمعجزة فلق البحر ـ فاعتذروا له واعتذر لهم لإقامتهم مع الوثنيين المصريين مدة كبيرة وانطباعهم بهم وفي هذا جاء يهودي إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمساً وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضاً ـ فقال بل قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت أقدامكم من حمأ البحر حتى قلتم لموسى أجعل لنا إلٓهاً كما لهم آلهة.



٢ ـ **عبادة العجل:** لما رجع موسى إلى قومه ومعه وصايا الله وشريعة الموعظة والهداية (التوراة) وجد قومه قد ضلوا فقد اجتمع أكثرهم في دائرة واسعة كبيرة يرقصون ويهللون ويمرحون وقد توسط الدائرة تمثال عجل جسد يصدر عنه خوار: فغضب موسى وأقبل عليهم غاضباً حانقاً صائحاً يقول يا للجنون والخبل الذي أصبتم به يا بني إسرائيل!! أنسيتم نعم الله الذي أخرجكم من العذاب

والعبودية إلى الأمان والحرية - ما كاد رسوله يغيب عنكم شهراً وبعض شهر ليعود لكم برسالات ربه ويحضر لكم أشعار التوراة التي تتبعون هداها وتحكمون أنفسكم بحكمها وتقضوا فيما بينكم بقانونها حتى تضلوا وتخرجوا عما هداكم الله ودعاكم إليه وتتركوا طريق الرشد وتتبعوا طريق الغي والضلال. بئس ما خلفتموني من بعدي وما صنعتم في غيبتي - ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً؟.

قالوا ما أخلفنا موعدك بإرادتنا وملكنا، ولكنا حملنا أوزاراً من زينة المصريين فأردنا أن نتطهر منها فقذفناها في النار كما طلب منا السامري، وكذلك ألقى هو ما كان معه ثم أخرج لنا هذا العجل وقال لنا هذا إلهكم وإله موسى.

وزاد موسى غضباً على غضب فبحث عن أخيه هارون الذي جعله خلفاً له عليهم حتى يعود وأوصاه بهم خيراً وذلك ليحاسبه - ووقعت عينا موسى على أخيه هارون فألقى الألواح من يده وأسرع إليه يأخذ برأسه ويجره إليه ويجذبه من لحيته جذباً شديداً فقال هارون لأخيه معتذراً: يا أخي لا تأخذ برأسي ولا تجذب لحيتي ولا تجعلني مع القوم الظالمين - إن القوم قد استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء لقد نهيتهم عن اتخاذ العجل إلّهاً... وقلت لهم يا قوم إنما هو فتنة ابتليتم بها وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري - ولكنهم صموا آذانهم عن ندائي وقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى.

قال موسى يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تأخذهم بالشدة... أعصيت أمري؟ قال هارون: يا أخي خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم تنتظر رأيي - فانصرف موسى عن هارون وهو يقول: رب اغفر لي ولأخي: وأتى موسى إلى السامري فسأله... ما خطبك يا سامري؟ قال لقد كنت أعرف ما لا يعرفه القوم وأفهم ما لا يفهمونه وأبصرت ما لم يبصروا به... فلما طالت غيبتك عنا وعدت قومك عليه سولت لي نفسي أن أفعل معهم ما فعلت.

ونظر موسى إلى السامري نظرة غاضبة وصاح عليه بصوت ارتعدت له

فرائص السامري . . . اذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس؟ (أي لا يمسني أحد) وأن لك في الآخرة موعداً لن يخلفه الله معك ـ وسوف ترى إلهك الذي ظللت عليه عاكفاً ـ كيف نحرقه وننسفه في البحر نسفاً .

وذهب موسى إلى حيث ألقى الألواح فرفعها وصاح على قومه بصوت رددت صداه جنبات الجبال وتجاوبت به أنحاء الصحراء : (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) وأدرك بنو إسرائيل خطأهم وضلالهم وسقط في أيديهم فقال الفريق الذي عبد العجل لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين . ولام الفريق الذي لم يعبد العجل أنفسهم على أنهم تركوا إخوانهم الذين عبدوا العجل يفعلون ما فعلوا دون أن يقاتلوهم فذهبوا إلى موسى يبدون أسفهم ويعتذرون عما فرط منهم في حق الله ولكن موسى لم يقبل منهم أن يستمع إلى عذرهم أو يقبل توبتهم حتى يقاتل بعضهم بعضاً وقال لهم: يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى الله بأن يقاتل الفريق الذي لم يتخذ العجل الفريق الذي اتخذه لعل الله يتوب عليكم. فامتشقوا الرماح ودار القتال بين الفريقين حتى كان يقتل الأخ أخاه والصاحب صاحبه والأب ابنه بينما كانت النساء يولولن والأطفال يصرخون وينوحون ويطلبون من موسى أن يطلب لهم العفو من ربهم لعله يعفو عنهم ويرحمهم ـ أمر موسى بوقف القتال وتحاجز الفريقان بعد أن هلك من كل منهما عدد كبير .

٣ ـ **طلبهم رؤية الله:** بعد هذه الواقعة تخير موسى من الفريقين سبعين رجلاً معظمهم من الشيوخ وكان من بينهم يوشع بن نون تابع موسى وتلميذه وكان من ذرية يوسف عليه السلام ومنهم، كالب بن يغنه وهو زوج مريم أخت موسى وهارون ـ اختارهم موسى ليذهبوا إلى جبل الطور ليسألوا ربهم التوبة والعفو والغفران عما فرط منهم في اتخاذ العجل إلّهاً ـ خرج الرجال السبعون بإذن الله . وخرج معهم موسى ـ فلما وصلوا إلى الجبل ودنا موسى وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله . فدنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى إذا كلمه

الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه فضرب دون الحجاب ودون القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجداً . فسمعوا الله سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه . وأسمعهم الله تعالى أنني أنا الله لا إلّه إلا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري ـ فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا له يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . . . فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً فذلك قول الله تعالى : **﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾** فلما ماتوا قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا . . . يا رب كيف أرجع إلى بني إسرائيل وقد أهلكت خيارهم؟ ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله له جميعاً رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم بعضاً كيف يحيون ـ فذلك قول الله تعالى : **﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾** .

٤ ـ **رفض التوراة:** بعد هذه الواقعة أعلم موسى قومه بالكتاب الجديد الذي أنزله الله لهم هدى ورحمة وهو التوراة فأبى معظمهم أن يتقبلوها ويعملوا بما فيها وأظهروا ضيقهم وتدمرهم من أحكام الله وتعليماته وقالوا إننا لا نستطيع صبراً على هذه التعليمات ، وليست لنا قدرة على تحمل هذه الأحكام الثقيلة : فأمر الله جبريل عليه السلام فقلع جبلاً على قدر معسكرهم وكانت مساحته فرسخاً في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم مثل الظلمة مقدار قامة الرجل ، وعن ابن عباس أن الله تعالى أمر جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى : **﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾** وقوله تعالى : **﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾** وقال ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤوسهم الطور وبعث ناراً من قبل وجوههم وأتاهم البحر ملحاً من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فإن قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به وإلا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار ـ فلما رأوا أن لا مهرب لهم

منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم. فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل لما أطعناك.

٥ ـ **رفضهم دخول فلسطين:** لما قرب بنو إسرائيل من أرض الموعد وهي فلسطين التي وعد الله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن تكون ملكاً لأولادهم أمر الله تعالى موسى أن يذهب ببني إسرائيل إلى تلك الأرض لامتلاكها وأن يطردوا منها الأمم التي يسكنونها في ذلك الوقت ولكن بني إسرائيل قوم قد ثقفوا بالذلة وتمكن الصغار والهوان من أنفسهم وألقوا الذل في أرض الفراعنة. فلم تكن لهم قوة على الدخول إلى تلك الأرض ـ وتمثل لهم شبح الموت في كل خطوة في ذلك السبيل فلم يشاءوا أن يذهبوا لأمر ربهم وقالوا يا موسى: **﴿إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾** فقال رجلان من الذين اختيروا من بلاد فلسطين لبني إسرائيل: **﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه غلبتم أهل المدينة أريحا﴾** فأبوا وقالوا لموسى: **﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾** وأبوا عليه كل الإباء...

فشكا موسى أمر بني إسرائيل معه إلى الله تعالى قائلاً: **﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الظالمين﴾** فأخبره الله تعالى بأنها أي الأرض محرمة عليهم وأنهم سيهيمون في الأرض أربعين سنة ـ والقصة في قوله تعالى:

﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ـ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ـ قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ـ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ـ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين. قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون

في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ .

ظل بقاء بني إسرائيل في البرية من عهد خروجهم من مصر إلى أن مات موسى وهارون ـ والسر في ذلك كما أوضحه ابن خلدون ، أن نفس بني إسرائيل كانت صغيرة ضئيلة لأنهم رئموا الذل والهوان في ملك المصريين ـ ومن كان كذلك لا يصلح لقتال أو استقلال ولذلك ذابت قلوبهم في صدورهم وملأ الخوف أنفسهم حين أمروا بقتال أولئك الجبارين .

موت موسى وهارون :

مات هارون قبل موسى ودفن في جبل هور من جبال سيناء ، وأما موسى فأمره الله تعالى أن يصعد إلى جبل (نبو) وينظر إلى أرض الموعد دون أن يدخلها . ففعل ومات على أكمة الجبل ذات الرمل الأحمر ودفن هناك وخفيت معالم قبره ـ ولكن أهل فلسطين يدعون أن قبره في موضع من بلادهم ويقيمون له مولداً يقصد من كل ناحية في كل سنة في موعد معين .

أحاديث قدسية

مع موسى عليه السلام

١ ـ قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام . هل يصلي ربك ؟ فقال موسى اتقوا الله يا بني إسرائيل ـ فقال الله يا موسى ماذا قال لك قومك ؟ قال : يا رب ما قد علمت قالوا : هل يصلي ربك قال فأخبرهم أن صلاتي على عبادي أن تسبق رحمتي غضبي لولا ذلك أهلكتهم .

أخرجه ابن عساكر عن أنس .

٢ ـ يا موسى إنه لن يتصنع إلي المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب

إلي المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ولن يتعبد إلي المتعبدون بمثل البكاء من خيفتي.

رواه القضاعي عن كعب

٣ - قال موسى: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك فإني أحس حسن صوتك ولا أراك فأين أنت فقال تعالى: أنا خلفك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك يا موسى أنا جليس عبدي حين يذكرني وأنا معه إذا دعاني.

رواه الديلمي عن ثوبان

٤ - قال موسى: يا رب كيف شكرك آدم قال علم إن ذلك مني فكان ذلك شكره.

رواه الحكيم عن الحسن البصري

٥ - قال موسى لربه ما جزاء من عزى الثكلى، قال أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي.

رواه ابن السني والديلمي عن أبي بكر وعمر بن حصين معاً

٦ - قال موسى يا رب أي عبادك أعز عليك؟ قال الذي إذا قدر عفا وفي رواية إذا قدر غفر.

رواه الخرائطي عن أبي هريرة

٧ - يا موسى إنه لن يلقاني عبدي في حاضر القيامة إلا فتشت عما في يده إلا الورعين فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب.

رواه الترمذي عن ابن عباس

٨ - يا موسى لن تراني إنه لن يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم.

رواه الحكيم عن ابن عباس

٩ - يا موسى لو أن السموات وما فيها والأرض وما فيها والبحار وما فيها وضعوا في كفة ولا إلَه إلا الله وضعت في الكفة الأخرى لرجحت.

رواه أبو يعلى عن أبي سعيد

١٠ - أوحى الله لموسى يا موسى أتحب أن أسكن معك بيتك فخر لله ساجداً ثم قال يا رب وكيف ذلك؟ فقال يا موسى أما علمت أني جليس من ذكرني وحيثما التمسني عبدي وجدني.

رواه ابن شاهين عن صابر

١١ - أوحى الله إلى موسى أن في أمة محمد لرجالاً يقومون على كل شرف وواد ينادون بشهادة أن لا إلَه إلا الله جزاؤهم علي جزاء الأنبياء.

رواه الديلمي عن أنس

١٢ - أوحى الله إلى موسى يا موسى: إن من عبادي من لو سألني الجنة بحذافيرها لأعطيته ومن لو سألني غلاف سوط لم أعطه ليس ذلك عن هوان له علي ولكن أريد أن أدخر له في الآخرة من كرامتي وأحميه من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مراعي السو يا موسى، ما ألجأت الفقراء إلى الأغنياء لأن خزائني ضاقت عليهم، وأن رحمتي لم تسعهم، ولكن فرضت للفقراء في أموال الأغنياء ما يسعهم أردت أن أبلو الأغنياء كيف مسارعتهم فيما فرضت للفقراء في أموالهم يا موسى إن فعلوا ذلك أنعمت عليهم نعمتي، وأضعفت لهم في الدنيا للواحدة عشر أمثالها يا موسى، كن للفقراء كنزاً وللضعيف حصناً، وللمستجير غيثاً أكن لك في الشدة صاحباً وفي الوحدة أنيساً أكلؤك في ليلك ونهارك.

رواه ابن البخاري عن أنس

١٣ - أوحى الله إلى موسى أن ذكرهم بأيام الله وأيامه نعمة.

رواه البيهقي

١٤ ـ أوحى الله إلى موسى لولا من يشهد أن لا إلّه إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا يا موسى، لولا من يعبدني ما أمهلت من يعصيني طرفة عين يا موسى، أنه من آمن بي فهو أكرم الخلق علي يا موسى، إن كلمة من العاق تزن جميع رمال الأرض قال موسى يا رب من العاق؟ قال إذا قال لوالديه لا لبيك.

رواه أبو نعيم عن أنس

١٥ ـ أوحى الله إلى موسى يا موسى، إرض بكسرة خبز من شعير تسد بها جوعتك، وخرقة تواري بها عورتك، واصبر على المصيبات، وإذا رأيت الدنيا مقبلة فقل إنا لله وإنا إليه راجعون عقوبة عجلت في الدنيا وإذا رأيت الدنيا مدبرة والفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين.

رواه الديلمي عن أبي الدرداء

اخلاق الخضر عليه السلام

كان النبي الخضر عليه السلام عبداً تقياً صالحاً زاهداً ورعاً . فعلّمه الله علم الباطن وآتاه رحمته، وسقاه من ماء الحياة فأصبح نبياً معمراً محجوباً عن الأبصار.

أوصى النبي موسى عليه السلام بقوله: لا تكن مشّاءً في غير حاجة، وإياك واللجاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعيّر الخاطئين بخطاياهم، وابْكِ على خطيئتك، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد .

نسبه: هو إيليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليهما السلام، ولقب بالخضر كما ورد في الحديث الشريف عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة ببضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء» وقال سفيان بن منصور عن مجاهد إنما سمي الخضر لأنه أينما صلى اخضر ما حوله .

نشأته وحياته: نشأ من صغره نشأة دينية بحتة . إذ كان والده ملكاً عظيماً فسلمه إلى مرب كبير لتربته . فكان الخضر يترك المربي ويتجه إلى رجل عابد في الطريق حيث ألفه وأحبه، وشاركه في العبادة وأخذ عنه شمائله وعبادته كلها ولما كبر الخضر أراد أبوه الملك أن يزوجه فتمنع الخضر فزوجه على غير رغبته فقال

الخضر لزوجته: إني مخبرك بأمر إن سمعته صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة. وإن أفشيت سري عذبك الله في الدنيا والآخرة. قالت وما ذاك؟ قال إني رجل مسلم لست على دين أبي. وليست النساء من حاجتي. فإن رضيت أن تقبمي معي على ذلك، وتتابعيني على ديني فذاك إليك. وإن أبيت لحقت بأهلك. فقالت المرأة بل أقيم معك فلم يمسها ولم ينجب أولاداً.. وقد هال ذلك والده ـ فغمر له زوجته بزوجة أخرى ثيباً ولوداً. فعمل معها ما عمله مع الزوجة الأولى ـ ففشت سره عند أبيه فعنفه أبوه ولامه، ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه. فخرج من عنده هارباً وهام على وجهه في بلاد الله ولم يدر أحد مكانه إلا الله فندم أبوه على ما فعل وأرسل في طلبه مائة رجل دون جدوى.

نبوته: ساح الخضر في أرض الله ثم وصل إلى جزر البحر فأقام فيها يعبد الله وكان رزقه يأتيه رغداً من عند ربه. وبجوار الصخرة عند مجمع البحرين (بحر فارس والروم) وجد عيناً للماء فشرب منها فكتب الله له الحياة لأنها كانت عين ماء الحياة ثم بعثه الله نبياً في أيام ناشئة بن أموص ملك بني إسرائيل فكان نبياً محجوباً عن الأبصار ـ وقال عمر بن دينار: إن الخضر وإلياس عليهما السلام لا يزالان حيين في الأرض ما دام القرآن فيها فإذا رفع القرآن منها ماتا.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه خرجت مع رسول الله ﷺ وإذا بصوت يجيء من شعيب (أي من جهة) فقال يا أنس انطلق فأبصر ما هذا الصوت؟ قال فانطلقت فإذا رجل يصلي ويقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة ـ المغفور لها ـ المستجاب لها ـ المتوب عليها. فأتبت رسول الله ﷺ وأعلمته بذلك فقال لي انطلق فقل له إن رسول الله ﷺ يقرؤك السلام ويقول لك من أنت؟ فأتيته فأعلمته بما قال رسول الله ﷺ. فقال لي إقرىء رسول الله ﷺ مني السلام وقل له أخوك الخضر يقول لك أدع الله أن يجعلني من أمتك المرحومة. المغفور لها. المستجاب لها. المتوب عليها.

الخضر وموسى عليهما السلام:

قال ابن عباس رضي الله عنهما حدثني أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ ، أن موسى نبي بني إسرائيل سأل ربه فقال يا رب. إن كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه. فقال عز وجل: ﴿**نعم. في عبادي من هو أعلم منك**﴾ ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له في لقائه.

وقال ابن عباس كان الخضر عليه السلام يعلم علم الغيب فأتاه موسى وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر في جزيرة من جزر البحر فوقف ينتظر فراغه من الصلاة فأحس به الخضر فالتفت بعد صلاته وقال السلام عليك يا موسى بن عمران - فقال موسى عليك السلام أيها العبد الصالح من أين عرفتني؟.

فقال الخضر عرفني بك من عرفك بي - يا موسى سل عما تريد فقال موسى: ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً؟﴾ قال إنك، لن تستطيع معي صبراً - لأني أعلم علم الباطن وهو علم علمنيه الله تعالى. وأعمل على الباطن. وأنت تعمل على الظاهر. فكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً؟ قال موسى ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً - قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء عملته مما تنكره حتى أحدث لك منه ذكراً وأبين لك شأنه.

لغة الطير: انطلق الخضر وموسى عليهما السلام سائرين على جانب البحر يلتمسان سفينة يركبان فيها. وإذا بطائر أقبل فغمس منقاره في البحر ثم أخرجه فمسحه على جناحه وطار نحو المشرق حتى غاب ثم رجع فقال الخضر لموسى أتدري ماذا قال هذا الطائر؟ قال لا. قال إنه يقول: ما أوتوا من العلم إلا بمقدار ما أخذت بمنقاري من هذا البحر فتعجب موسى من علمه.

خرق السفينة: قال أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ : انطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم

بغر نوال: فلما دخلوا البحر أخذ الخضر عليه السلام فأساً فخرق لوحاً من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسى بثوبه وقال أخرقتها لتغرق أهلها وقد حملونا وأحسنوا إلينا فخرقت سفينتهم. ما هذا جزاؤهم منا لقد جئت شيئاً ادا أي عجباً منكراً ـ قال الخضر ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ـ **قال موسى**: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا أي لا تكلفني ولا تضيق علي أمري.

قال ابن عباس لما خرق الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال في نفسه. ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل. كنت في بني إسرائيل أتلو عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعوني. فقال له الخضر يا موسى أتريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك؟ قال نعم. قال: قلت كذا وكذا.

قتل الغلام: خرج الخضر وموسى من السفينة، وانطلقا يمشيان فلقيا غلماناً يلعبون، وفيهم غلام جميل صحيح البدن فأخرجه الخضر من بينهم وعمد إلى صخرة فضرب بها رأس الغلام فقتله. فعظم ذلك على موسى. ففال: أيها العبد الصالح أقتلت نفساً زكية بغير ذنب لقد جئت شيئاً نكراً ـ قال الخضر يا ابن عمران ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ـ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدني عذراً.

إقامة الجدار: ثم سارا حتى أتيا إلى قرية أنطاكية قبل غروب الشمس فاستطعما أهلها. فأبوا أن يضيفوهما ومكثا في هذه الليلة الشاتية الباردة، بلا طعام ولا شراب ولا مأوى، فالتجأوا إلى حائط على شارع الطريق فوجداه يريد أن ينقض ويسقط فأقامه الخضر وجمع الطين والحجارة وسواه. فضجر موسى وقال أيها العبد الصالح. لو شئت لاتخذت عليه أجراً. ليكون لنا قوتاً على سفرنا حيث أننا استضفناهم فلم يضيفونا ـ فقال الخضر: هذا فراق بيني وبينك، سآتيك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ثم أخذ يفسر له.

التفسير: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها

وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقها طغياناً وكفراً. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً ـ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ـ وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾.

وصية الخضر لموسى:

روي عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لما أراد موسى فراق الخضر، قال له الخضر استودعتك الله ـ فقال له موسى أوصني فقال له الخضر: (لا تكن مشاء في غير حاجة، وإياك واللجاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير الخاطئين بخطاياهم، وأبك على خطيئتك، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد).

من عامل الله بإخلاص لا يخسر أبداً:

روى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أحدثكم عن الخضر؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني إسرائيل إذ لقيه مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله لك فقال: آمنت بالله وما يقضي من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه ـ فقال الرجل تصدق علي بارك الله عليك فإني ارى الخير في وجهك فرجوت الخير من ذلك: فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضي من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه ـ فقال السائل أسألك بالله لما تصدقت علي. فقال الخضر: آمنت بالله وما يقضي من أمر سيكون ما معي شيء أعطيكه إلا أن تأخذ بيدي وتدخلني السوق فتبيعني. قال الرجل وهل يكون مثل هذا، قال الحق أقول إن سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبتك فخذ بيدي وأدخلني السوق فبعني فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بأربعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياماً لا يستعمله في شيء فقال له الخضر استعملني فقال له إنك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك. قال لا يشق علي ذلك ـ قال فقم فانقل هذه الحجارة

من هنا إلى هناك وكانت الحجارة لا ينقلها إلا ستة نفر في يوم تام فقام ونقلها في ساعة واحدة وأعانه الله على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر. فقال للخضر إني أراك أميناً صالحاً ناصحاً فاخلفني في أهلي قال نعم إن شاء الله تعالى فاستعملني في شيء. قال أكره أن أشق عليك. قال لا يشق ذلك علي. فقال اضرب لي لبناً أريده لقصري ووصفه له. ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره إذ هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد منه تعجباً. وقال له من أنت؟ قال أنا المملوك الذي كنت اشتريتني. فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت؟.

فقال الخضر إن هذا القسم هو الذي أوقعني في العبودية أما أنا فسأخبرك، أنا الخضر سألني سائل بوجه الله ربي أن أعطيه ولم يكن معي شيء أعطيه.. فأمكنته من نفسي حتى باعني. وبلغني أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس عليه لحم ولا جلد إلا عظم يتقعقع.

قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بأبي أنت وأمي أشفقت عليك ولم أعرفك فاحكم علي في مالي وأهلي: وإن أحببت أن أخلي سبيلك فعلت... قال نعم أحب أن تخلي سبيلي لأعبد ربي... وكان الرجل كافراً فأسلم على يديه وأعطاه أربعمائة دينار، وخلى سبيله، فأوحى الله إليه قد نجيتك من الرق وأسلم الكافر على يديك، وأعطاك مكان كل درهم ديناراً أن لا يخسر أحد في معاملتي».

الخضر يصوم شهر رمضان ويحج كل عام:

أخبر أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال: إن الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويحضران موسم الحج في كل عام.

اخلاق الياس عليه السلام

أثنى الله تعالى على نبيه إلياس عليه السلام بقوله: ﴿**إنه من عبادنا المؤمنين**﴾ فقد كان رحيماً بالناس جميعاً، حليماً، رشيداً، زاهداً في الدنيا، وقد صبر على قومه حينما أرادوا قتله وعفى عنهم ودعا لهم بالأمن والخير فأمر الله النار والوحوش والطير بإطاعته ومنحه قوة ثلاثين نبياً... وقال الله في حقه: ﴿**وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون، أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين. الله ربكم ورب آبائكم الأولين.. فكذبوه فإنهم لمحضرون. إلا عباد الله المخلصين. وتركنا عليه في الآخرة سلام على آل ياسين. إنا كذلك نجزي المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين**﴾. سورة الصافات.

نسبه: هو إلياس بن ياشيعا بن فنجاص بن عيزار بن هارون عليهما السلام.

مولده: لما انتهت مدة التيه على بني إسرائيل في الأرض التي حددها الله سبحانه وتعالى عليهم بأربعين سنة حينما قالوا لنبيهم موسى عليه السلام: (اذهب أنت وربك فقاتلا إننا ها هنا قاعدون) أذن الله تعالى بفتح فلسطين فدخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة بقيادة نبي الله يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف الصديق عليهما السلام فجمع بني إسرائيل وقسم الأرض والبلاد عليهم. وفي مدينة بعلبك ولد إلياس عليه السلام من أسرة جدها هارون بن عمران عليه السلام.

وحينما ولد إلياس طلع منه نور أضاء المشرق والمغرب فتبعت بنو إسرائيل

هذا النور فوجدوه مولوداً من ولد هارون فقالوا هذا الذي بشرنا به وإن الله يهلك الجبابرة أو يهديهم على يديه.

نشأته: قال كعب الأحبار لما بلغ إلياس عليه السلام من العمر سبع سنين حفظ التوراة وكان يرتلها بصوت حسن، ولما بلغ أشده قال يا بني إسرائيل سأريكم مني عجباً - فانتظروا - فصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبهم، ولما سكن رعبهم أرادوا قتله فهرب منهم إلى الجبال فكان يدور مع السباع والوحوش حتى كمل عمره أربعين سنة.

نبوته: قال كعب الأحبار لما أتم إلياس من العمر أربعين سنة أرسل الله إليه جبريل عليه السلام وهو في الجبال ومع الوحوش والسباع. فقال له من أنت؟ قال أنا جبريل جئتك لأبشرك بالنبوة، وأن الله جعلك رسولاً إلى الملوك الجبابرة الذين يعبدون الأصنام في الأرض الطيبة - فقال إلياس وكيف أصنع مع هؤلاء الملوك الجبابرة وأنا وحيد وهم يملكون الجموع والسلاح والقوة؟ فقال جبريل عليه السلام: إن النصر لك والقوة. وإن الله أمر الوحوش والنار والطيور بإطاعتك وأعطاك قوة ثلاثين نبياً. فامض إلى قومك. وكان قومه يعيشون في سبعين مدينة على كل مدينة ملك جبار.

معجزاته وجهاده:

المعجزة الأولى: عندما فر إلياس إلى الجبال في شبابه وعاش بها إلى أن استنبىء في سن الأربعين من عمره وفي الفترات الأخرى التي فر فيها إلى الجبال خوفاً من بطش قومه سخر الله له جيشاً من الطير تنقل إليه طعامه وشرابه ولباسه وجميع حاجياته من العمران وأمر الوحوش والسباع بإطاعته والخضوع له وخدمته.

المعجزة الثانية: بناء على أمر الله بتبليغ الرسالة نزل إلياس عليه السلام من الجبال إلى مدينة بعلبك بالشام وكان أغلب سكانها من العمالقة الجبابرة وكانوا يعبدون صنماً كبيراً يسمونه بعلا طوله عشرون ذراعاً وله أربعة وجوه. ثم جلس

بجانب قصر جبارها (لاجب) وأخذ يتلو التوراة بصوت حسن فسمعه الملك الجبار وزوجته. فجاءت إليه وقالت من أنت وما تريد؟ فقال أنا رسول الله إليكم فقالت وما حاجتك؟ قال ما تريدون!! قالت: ادع هذه النار تأتيك وتسعى إليك من مكانها ـ فدعا النار بإذن الله فأتته تسعى هرولة. فأخبرت المرأة زوجها فآمنا به وصدقاه واتخذاه مرشداً لهما ومسدداً.

تبليغ الرسالة: ذهب إلى أهل المدينة وبلغهم رسالة ربه: **﴿إذ قال لقومه ألا تتقون؟ أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين. الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه﴾** ثم ضربوه وأهانوه وأوثقوه بالحبال وأخذوه إلى ملكهم الكبير عاميل. فجمع أكابر القوم وعلماءهم وقال لهم ما تقولون في أمر إلياس الذي يدعي أنه نبي ـ فقال رهط كبير منهم: إنا رأينا في التوراة صفة هذا الرجل وأنه يبعث نبياً وتسخر له النار والأسود والسباع والطيور وإنه لا يسمع صوته أحد إلا زل وقال بعض علمائهم إنه ساحر كذاب ـ فقال الملك عاميل مهلاً حتى ننظر.

المعجزة الثالثة: في اليوم التالي لهذا المؤتمر مات ابن الملك عاميل وكان يحبه حباً شديداً فجاء إليه إلياس عليه السلام وقال له يا عاميل إذا كان الصنم بعل الذي تعبدونه من دون الله له قدرة فقل له يرد روح ولدك إليه. فمضى عاميل إلى صنمه وسجد له وتضرع وسأله أن يرد روح ابنه إليه فلم يجبه ـ فدعا إلياس وقال إن كان ربك يرد روح ابني آمنت بك وبربك ـ فدعا إلياس ربه فقام الولد بإذن الله حياً سالماً فقال عاميل أشهد أن لا إله إلا الله وأن إلياس رسول الله ثم خلع نفسه من المملكة ولبس المسوح وتبع الياس في دينه.

استمر إلباس عليه السلام في تبليغ رسالة ربه فعارضه قومه بشدة وتعرضوا له بالإيذاء الشديد ووقفوا له في كل طريق فدعا عليهم بالقحط وخرج لاحقاً بالجبال فاستجاب الله دعاءه فأصابهم الجرب والقحط حتى أكلوا دوابهم وكلابهم وفيرانهم وساء حالهم.

المعجزة الرابعة: طال العهد بإلياس في الجبل فاشتاق إلى العمران فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بني إسرائيل وهي أم يونس بن متى ذو النون عليه السلام فاستخفى عندها ستة أشهر ـ ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع ـ ولما ضاق ذرعاً بالعمران اشتاق إلى الجبال فعاد إلى مكانه بها فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقده وعندما فطمت ابنها يونس مرض ومات فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب إلياس وبعد جهد شاق عثرت عليه في الجبل فسلمت عليه وقالت له: إني فجعت بعدك بموت ابني وعظمت به مصيبتي واشتد لفقده بلائي وليس لي ولد سواه فارحمني وادع لي ربك تعالى أن يحيي لي ابني ويجبر مصيبتي فإني تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها إلياس عليه السلام ليس هذا مما أمرتُ به وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما أمرني به ربي ولم يأمرني بهذا... فجزعت أم يونس وتضرعت فعطف الله عليها قلب إلياس فقال لها ومتى مات ابنك؟ قالت: من سبعة أيام. فانطلق إلياس عليه السلام معها حتى أتى إلى منزلها فوجد ابنها يونس ميتاً فتوضأ إلياس ودعا الله. فأحيا الله يونس بن متى عليه السلام ـ فلما أحياه وجلس وثب إلياس وانصرف وتركه وعاد إلى موضعه في الجبال.

المعجزة الخامسة: ثم اشتاق إلياس عليه السلام إلى العمران مرة أخرى فنزل إليه حتى دخل إلى قرية فرأى امرأة عجوز فطلب منها طعاماً فاعتذرت بالقحط الشديد وقالت له ما ذقت خبزاً من مدة طويلة ولي ولد أشرف على الموت من الجوع وإنه على دين إلياس... فقال لها ما اسمه؟ قالت اسمه اليسع ـ فدخل عليه إلياس فوجده ميتاً من الجوع. فأحياه الله بدعوة إلياس. فقام وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن إلياس رسول الله ـ وقد جعلني الله لك وزيراً فاصطحبه إلياس في كل مكان يحل به وأخذه تلميذاً له ووزيراً وصاحباً.

إلياس يدعو لقومه: اشتد الجرب والقحط على قوم إلياس وعندما وقع نظرهم أثناء تجواله بالعمران اجتمعوا عليه وشكوا إليه سوء أحوالهم من شدة القحط وقالوا إنا قد هلكنا فادع لنا ربك يزيل قحطنا ويبدله رخاء وأمناً وسنؤمن بك

وبربك فدعا لهم الله وكان معه اليسع عليهما السلام فأرسل الله عليهم الأمطار فأغاثتهم وأخصبت بلادهم - فقالوا له الزرع والخير!!.. فأمرهم أن يبذروا الرمل فبذروه فأنبت الله لهم الزروع وأكثر لهم من الخيرات. فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالهم.

ولما يئس إلياس من إيمانهم طلب من الله أن يريحه منهم. فأوحى الله إليه يا إلياس قد بلغت رسالة ربك وفعلت ما أمرت به فاستخلف الآن اليسع وأنت عندنا لمن المؤمنين الصادقين - ثم قيل له أخرج عن قومك إلى موضع كذا فإذا جاءك شيء فأركبه ولا تهبه - فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج إليه فإذا بفرس ملتهب نوراً تقف بين يديه وتقول له أنا هدية الله إليك فركبها وجاء جبريل عليه السلام وقال له يا إلياس طر مع الملائكة في الأرض حيث شئت فقد كساك الله ريشاً وقطع عنك لذة المطعم والمشرب وجعلك آدمياً سماوياً أرضياً.

إلياس حي في الأرض يطير مع الملائكة: انطلق الفرس طائراً في الهواء بإلياس حيث شاء الله وشاء هو فناداه اليسع عليه السلام، يا إلياس ما تأمرني به؟ فقذف إليه كساءه من الجو. فكان ذلك علامة على استخلافه إياه على بني إسرائيل - وذهب إلياس وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله إلياس من بين أظهرهم وترك الخلافة والنبوة للنبي اليسع عليه السلام - وبذلك يكون إلياس عليه السلام حياً في الأرض حتى الآن وإلى أن تقوم الساعة فهو من الأنبياء الأربعة الأحياء وهم أدريس وعيسى والخضر وإلياس عليهم السلام.

أخلاق إلياس عليه السلام: كان من أخلاق إلياس عليه السلام بين قومه حتى رفعه الله من بينهم.

١ - الصبر الجميل على قومه الذين أرادوا قتله في شبابه وطاردوه في حياته

بالجبال وآذوه في رسالته أشد الإيذاء ووقفوا له في كل طريق جاحدين معاندين مطالبين برأسه .

٢ ـ الإيمان القوي بالله والجهاد المتواصل في إظهار وتأكيد دعوة التوحيد بالله ومحاربته الباطل وعبادة الأوثان بشجاعة فائقة في قوم زاد عددهم وسلاحهم وجاههم وطغيانهم ـ فقد أثنى الله عليه بقوله : **﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾** .

٣ ـ العفو عن الناس مع مقدرته عليهم فدعا لهم بزوال جدبهم وقحطهم وإبداله رخاء وأمناً .

٤ ـ كان براً رحيماً بمن يعرفه ومن لا يعرفه عطوفاً بالناس جميعاً فاعلاً للخيرات .

٥ ـ كان حليماً رشيداً زاهداً في الدنيا رغم القوة البدنية الهائلة التي تساوي قوة ثلاثين نبياً ـ والتي منحها الله له في حياته بين قومه .

دعاء ونصائح إلياس عليه السلام: قال ابن قتحويه عن رجل من أهل عسقلان : إنه كان يمشي بالأردن عند نصف النهار فرأى رجلاً فقال يا عبد الله من أنت؟ فقال أنا إلياس . قال: فوقعت على رعدة شديدة فقلت له أدع الله أن يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك . قال : فدعا لي بثمان دعوات ، وهن يا بر يا رحيم يا منان يا حنان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمها وقيل هما باهيا شراهيا فرفع الله عني ما كنت أجد ووضع كفه بين كفي فوجدت بردها بين يدي . فقلت له أيوحي إليك اليوم فقال: منذ بعث محمد ﷺ رسولاً فإنه لا يوحى إلي .

الأنبياء الأحياء: قال فقلت له كم من الأنبياء اليوم أحياء؟ قال أربعة : اثنان في الأرض، واثنان في السماء أما اللذان في السماء فعيسى وإدريس عليهما السلام وأما اللذان في الأرض فإلياس والخضر عليهما السلام .

عدد الأبدال: فقلت له كم يكون عدد الأبدال؟ قال: ستون رجلاً: خمسون منهم في الأرض والبلاد من عريش مصر إلى شاطىء الفرات، ورجلان بالصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان. كلما أذهب الله واحداً منهم جاء بآخر مكانه ـ وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون.

أين الخضر عليه السلام: قلت: وأين يكون مكان الخضر عليه السلام؟ قال: في جزائر البحر: فقلت وهل تلقاه؟ قال نعم.. قلت: وأين؟ قال: بالموسم.. قلت: فما يكون حديثكما؟ قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره.

إلياس يحذر من النساء الأربع: قال: فقلت له فإني أريد أن أصحبك. قال: فإنك لا تقدر على صحبتي ـ فقلت له إني خلو لا زوجة لي ولا عيال. قال تزوج وإياك والنساء الأربع: الناشرة، والمختلعة، والملاعنة، والبرزة، وتزوج ما بدا لك من النساء.

إلياس يعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان من كل عام: قال فقلت له أني أحب أن ألقاك ـ قال فإذا رأيتني فقد لقيتني إني أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان من كل عام... ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما دريت كيف ذهب.

الخضر وإلياس على قيد الحياة: قال عمر بن دنيا، إن الخضر وإلياس عليهما السلام على قيد الحياة ما دام القرآن موجوداً في الأرض فإذا رفع القرآن يموتان.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الخضر وإلياس يجتمعان كل سنة على جبل عرفات مع الحجاج وفي مسجد الخيف بمنى، وذكر أن كل واحد منهما يحلق شعر صاحبه هناك ويأخذ كل منهما شعر صاحبه ويمضيان ويقولان عند تفرقهما الدعاء المشهور.

اخلاق اليسع عليه السلام

نشأ النبي اليسع عليه السلام عابداً صالحاً ورعاً سمحاً مع الناس عادلاً بينهم، رؤوفاً بهم، فجعله الله من المصطفين الأخيار وذكره بقوله تعالى: **﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾** وقال تعالى: تكريماً لحقه: **﴿وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين، ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده﴾**.

نسبه: هو اليسع بن أخطوب بن العجوز (عم إلياس عليه السلام) بن فنجاص بن عبزار بن هارون عليهم السلام.

مولده: ولد اليسع عليه السلام في بيت إسرائيلي وفي مدينة بعلبك بفلسطين في أيام نبي الله إلياس عليه السلام، ولما اشتد القحط على الناس في بعلبك كعذاب لكفرهم بالله مات اليسع من الجوع. فاستنجدت أمه بالنبي إلياس. فجاء إليه ودعا له بالحياة فاستجاب الله وأحياه بدعوته. فقام من الموت وقال (أشهد أن لا إله إلا الله وأن إلياس رسول الله). وقد جعلني الله لك يا إلياس وزيراً.

نبوته: كان اليسع عليه السلام في صغره يعبد الله على دين إلياس، ولما أحياه الله من موته بدعوة نبيه إلياس، اصطحبه ولزمه في كل مكان يحل به. فتعلم منه

الحكمة وفصل الخطاب وعرف الحق وأهله ـ وكان إلياس قد أسن وكبر، وكان اليسع غلاماً شاباً وعندما رفع الله سبحانه وتعالى إلياس من بين ظهراني قومه، وجعله إنسياً ملكياً سماوياً أرضياً يطير على فرسه النورانية مع الملائكة في الأرض حيث يشاء إلى ما شاء الله استخلف اليسع على بني إسرائيل وأنبأه بفضله فجعله نبياً ورسولاً إلى بني إسرائيل.

قال الواقدي: في أيام نبوة اليسع عليه السلام بنيت مدينتي طرطوس ومطالية وكان يقضي بين الناس بالحق، فعظموه وانتهوا إلى أمره وحكم الله تعالى فيهم. فانصلح حالهم وبارك الله في أرزاقهم (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله) فكان الواحد منهم يجمع التراب على صخرة ثم يبذر فيه الحب فيخرج منه ما يأكل هو وعياله وكان الآخر يعصر القليل من الزيتون فيأكل هو وأهله سنة كاملة.

أخلاقه: من قصة النبي المختار اليسع عليه السلام نستنبط هذه الأخلاق التي تحلى بها.

١ ـ نشأ عابداً لله صالحاً له مؤمناً به، وراعياً لحقوقه، مطيعاً لنبيه إلياس فاستخلفه على بني إسرائيل.

٢ ـ كان خلقة العدل بين الناس والحكم بما أنزل الله في التوراة ففضله الله على العالمين في زمانه.

٣ ـ وكان سمحاً مع قومه رحيماً بهم رؤوفاً عليهم فجعله الله من المصطفين الأخيار.

وفاته: كانت حياته العاطرة كلها دعوة إلى عبادة الله وحده وقضاء عادلاً بين الناس وإنصافاً لهم ورحمة بهم إلى أن توفاه الله ودفن بفلسطين.

اخلاق داوود عليه السلام

كان داود عليه السلام حسن الخلق، طاهر القلب نقيه، وكان قوي الدين. رجاعاً إلى الله تعالى في شدته ورخائه، في سره وعلانيته، يستغفره ذنبه ويستعين به على شدائده، ويستنصره على خصومه ـ ولقد أجمل الله تعالى تلك الأخلاق في قوله تعالى: ﴿**واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب**﴾ إنه كان أعبد الناس في الأرض، وكان يأكل من عمل يده وقال ﷺ: «كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به إلا الحياء والخوف من الله تعالى».

رواه نافع عن ابن عمر

> «يا بني: عليك بتقوى الله وطاعته فإنهما يغلبان كل شيء، وإياك والغضب فإنه يستخف صاحبه، واقطع طمعك عن الناس فإن ذلك هو الغنى، وإياك وما تعتذر عنه من القول والفعل، وعود نفسك ولسانك الصدق، والزم الإحسان في قولك وعملك، وصل صلاة مودع، ولا تجالس السفهاء، ولا ترد على عالم، ولا تماره في الدين، وارج رحمة الله فإنها وسعت كل شيء».
>
> من وصية داود لابنه سليمان عليهما السلام

نسبه: هو داود بن إيشا بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب ابن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذاء بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

الخليل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

مولده: ولد داود عليه السلام في قرية بيت لحم بفلسطين وهي القرية التي ولد فيها السيد المسيح عليه السلام بعد ذلك بمئات السنين، من أبوين إسرائيليين وعاش مع إخوته الاثني عشر في رعي الأغنام.

أوصافه وأخلاقه: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ: «زرقة العين يمن» وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه رقيق [illegible]ين، سبط الشعر، أبيض الجسم، طويل اللحية فيها جعودة ـ حسن الصوت والخلق، طاهر القلب نقيه ـ وكان قوي الدين، رجاعاً إلى الله تعالى في شدته ورخائه، في سره وعلانيته، كلما حز به أمر أو جد به الجد ـ يستغفره ذنبه، ويستعين به على شدائده، ويستنصره على خصومه، ويطلب منه ما لا يقدر عليه غيره، ولا يستطيعه سواه ـ ولقد أجمل الله تعالى تلك الصفات والأخلاق في قوله تعالى: ﴿**واذكر عبدنا داود ذا الأيد**﴾ أي صاحب القوة في دينه، الصلب في عقيدته، الشديد مع ثقته بربه وخالقه، ﴿**إنه أواب**﴾ أي إنه رجاع وكثير الرجوع إلى مولاه في حاجاته وعبادته.

نبوته: كان داود عليه السلام أصغر إخوته الثلاثة عشر. وقد بدت عليه علامات النبوة حينما كان في أول عهده بالشباب إذ قال لأبيه يا أبت إني لم أضرب بقدمي شيئاً إلا صرعته في الحال. فقال أبوه بشراك يا نبي الله فإن الله تعالى قد وهبك فضلاً عظيماً وخيراً كثيراً، ثم قال مرة ثانية: لقد ألان الله لي الحديد فصنعت منه هذا الدرع ثم رفع ثوبه فإذا هو يلبس تحته درعاً ذات حلقات لم يصنع مثلها في التاريخ على قدر جسمه تماماً. فقال له أبوه أبشر يا نبي الله فقد جعل الله رزقك في يديك، ثم قال له ووهب لي أيضاً قوة كامنة في هذا المقلاع فما رميت به أحداً إلا صرعه. فقال الشيخ شكراً لله على ما أولاك من نعمه العظيمة وفضله الواسع، ثم قال داود واليوم كنت سائراً في الطريق أسبح بحمد الله

فسمعت تسبيحاً بجانبي فإذا أحجار ثلاثة تردد تسبيحي فوقفت أنظر إليها فنادتني وقالت: خذنا معك يا داود وسوف ينصرك الله بنا وهذه هي الأحجار - وبالأمس رأيت هدهدين جميلين على فرع شجرة يتحدثان ففهمت حديثهما، فقال الأول مشيراً إلي بمنقاره، هذا هو داود الذي سينصر الله به قومه وقال الثاني هو الذي ألان الله له الحديد في يديه كالعجين ثم قالا معاً الله يؤت الحكمة من يشاء ثم مشيت وسط الجبال فوجدتها تسبح معي بحمد الله وترجع تسبيحاتي ووجدت الوحوش تقبل علي وتتمسح بي. فسجد الشيخ إيشا والد داود لله شكراً وقال سبحان الله العظيم المنعم الذي علمك منطق الطير، وألان لك الحديد، وسخر لك الجبال والوحوش يسبحن معك، وشكراً لله على النصر القريب والنبوة المرتقبة.

كيف قتل داود جالوت: كان بنو إسرائيل قبل طالوت وداود في ضياع.. ضاع ملكهم، وضاع تابوت عهدهم الذي كانوا يستنصرون به في حروبهم على أعدائهم، وذهب ريحهم وأصبحوا في مذلة وهوان فذهبوا إلى نبيهم صمويل في هذا الوقت فقالوا له لقد استعبدنا الفلسطينيون العمالقة فأخرجونا من ديارنا وأموالنا وأذلونا وأصبحنا في مهانة وذلة فنرجوك أن تطلب من الله أن يبعث لنا ملكاً منا يقودنا لنقاتل في سبيل الله فقال لهم: ﴿هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا؟ قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا - فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين. وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً. قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في الجسم والعلم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم. وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين. فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني، ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا

طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله والله مع الصابرين. ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾ .

لما تقابل الجيشان: جيش الفلسطينيين العمالقة بقيادة جالوت، وجيش بني إسرائيل بقيادة طالوت. وتلاقى طالوت مع جالوت ـ أرسل جالوت يقول لطالوت إن أبرزت من يقاتلني وقتلني فله ملكي وإن قتلته فلي ملكه. فشق ذلك على طالوت فنادى في جنوده. من برز إلى جالوت وقتله أعطيته نصف ملكه وزوجته بابنتي مكيال فلم يجبه أحد من جنوده. وكان في صحبته النبي صمويل، فقال له طالوت يا نبي الله صمويل أدع الله أن يأتينا بمن يبرز لجالوت ويقتله. فدعا الله تعالى أن يأتيه بمن يقتل جالوت. فتقدم داود وهو في ذاك الوقت صبي صغير السن لا يزيد عمره عن خمسة عشر عاماً، وكان معه مقلاعه وأحجاره الثلاثة التي كلمته في الطريق وقالت له خذنا معك يا داود فإن الله سينصرك بنا ـ فمط جالوت شفتيه وهز كتفيه وقال: إنك صغير ولا تصلح ولكن النبي صمويل زكاه وقال نعم فالله أوحى إلي أنه هو الذي يقتل جالوت ـ فأركبوه فرساً عظيماً، وألبسوه درعاً من الحديد، وقلدوه سيفاً وسار مع الجنود في مقابلة جالوت. وكان جالوت أشد الناس بأساً وقوة وكان يهزم الجيوش وحده وبمفرده وكان له فرس أبلق عظيم الخلقة.

ولما برز إليه داود الصبي الصغير ألقى الله الرعب في قلب جالوت من داود فقال له جالوت يا صبي أنت مع صغر سنك تبارزني؟ فقال داود نعم أبارزك ثم أخرج من مخلاته الأحجار الثلاثة ووضعها في مقلاعه فقال له جالوت تبارزني بالحجر والمقلاع كما يبارز الكلب؟ فقال داود نعم لأنك أشر من الكلب. فقال جالوت: لأقسمن لحمك بين الكلاب.. فقال داود باسم الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون.. ثم رمى بها جالوت فوصلت الأحجار مثل النار إلى

دماغه فقتلته وحطمت ما عليه من الحديد حتى خرجت من قفاه فكبرت بنو إسرائيل وهللت ومال جيش طالوت على جنود جالوت بـالضرب فهـزمـوهـم ونصرهم الله عليهم. ثم ذهب داود إلى جثة جالوت وأخذ خاتمه من يده، ووضعه في يد طالوت. فرح بنو إسرائيل بهذا النصر العظيم ومضوا إلى أرضهم، وكان جالوت يسكن بيت المقدس وهو من العمالقة القدماء، وكانت المبارزة بين بيت لحم وبيت المقدس.

خلافة داود: قال الله تعالى: **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلوك عن سبيل الله﴾** .

ملك طالوت الحكم على بني إسرائيل خمساً وثلاثين عاماً ثم قتل في حرب مع الفلسطينيين العمالقة. فاستخلف الله بعده داود. وقد جمع الله لداود عليـه السلام بين الخلافة والملك والنبوة وأتاه الحكمة وفصل الخطـاب. وفتـح على يـديـه الشـام وفلسطين وعمان وحلب وخصه بالفضائل، والكرامات وأعطاه ملكاً عظيماً. وكان عمره وقت أن أخذ الملك ستين عاماً فمكث في الملك والحكم أربعين عاماً وحين توفاه الله كان عن مائة عام.

نعم الله على داود: أنعم الله تعالى على داود عليه السلام بنعم عظيمة وخصه بفضله الواسع حين أعطاه النبوة والملك والخلافة وهي:

١ ـ أنزل الله عليه الزبور باللغة العبرانية كما في قوله تعالى: **﴿وآتينا داود زبوراً﴾** وهو عبارة عن قصائد وأناشيد تتضمن تسبيح الله وحمده والثناء عليه والتضرع له، كما يتضمن أخباراً عن أهل العراق وأهل إيران وكثيراً من الحكم والمواعظ.

٢ ـ أعطاه الله الصوت الحسن والإنشاد الجميل والنغمة اللذيذة والترجيع والألحان الحلوة. فكان إذا قرأ الزبور بصوته الملائكي خرج إلى الفضاء فتخرج خلفه علماء بني إسرائيل ثم تخرج الناس خلف العلماء وتقف الجن خلف الناس

والشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع مطأطئة أعناقها ورؤوسها وتظله الطيور مضحية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح لتسمع آيات الزبور بمزامير داود، والزبور يسمى عند أهل الكتاب بالمزامير وعددها مائة وخمسون مزموراً بعضها للتسبيح وبعضها في شأن بختنصر وأهل بابل وبعضها في شأن الروم من أهل إيران وبعضها مواعظ وحكم.

٣ ـ سخر الله معه الجبال يسبحن إذا سبح وكما سبح فكان إذا مشى في الجبال أو بينها فسبح الله تعالى رجعت الجبال تسبيحه فكتب الله له ثواب تسبيحها ـ قال تعالى: **﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه﴾** أي رجعي معه في التسبيح كلما سبح ورجع.

٤ ـ تسبيح الطير معه كما تسبح الجبال كقوله تعالى: **﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير﴾** وقوله تعالى: **﴿والطير محشورة كل له أواب﴾** أي رجاع.

٥ ـ منطق الطير: علمه الله منطق الطير فقد جاء في سورة النمل في قوله تعالى: **﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء﴾** والضمير في أوتينا وعلمنا راجع للاثنين معاً.

٦ ـ إلانة الحديد: ألان الله له الحديد كما في قوله تعالى في سورة سبأ: **﴿وألنا له الحديد أن أعمل سابغات وقدر في السرد﴾** وألنا له الحديد أي جعلناه في يده كالشمع والعجين يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بآلات أو بقوة فكان يعمل الدروع المسرودة أي ذات الحلق من الحديد بيده معجزة له وأمراً خارقاً للعادة.

٧ ـ علمه الله صنعة الدروع من الحديد وهو أول من عملها. وكانت قبل ذلك صفائح، فكان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم. وكان يأكل ويطعم أولاده ويتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قول الله تعالى: **﴿وعلمناه**

صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون؟﴾ .

٨ ـ قوة المملكة: كما قال تعالى: **﴿وشددنا ملكه﴾** أي قويناه بالهيئة والنصرة وكثرة الجنود، وقال ابن عباس كان داود عليه السلام أشد ملوك الأرض سلطاناً فكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل، وقال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل.

٩ ـ آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب والمراد بالحكمة النبوة وفصل الخطاب فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل.

١٠ ـ والقوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى: **﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾** يعني صاحب القوة في العبادة. إنه أواب يعني تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً يصوم النهار ويقوم الليل.

فتنة داود: قال الله تعالى: **﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوَّروا المحراب. إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط ـ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم. وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب. فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾** آيات ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، من سورة ص.

اختلفت العلماء بأخبار الأنبياء في سبب امتحان الله لنبيه داود عليه السلام فقال أبو بكر الوراق ـ كان سبب ذلك أن داود كان كثير العبادة فأعجب بعبادته فقال هل في الأرض أحد أكثر عبادة مني ويعمل عملي؟ فأتاه جبريل عليه السلام فقال له إن الله يقول لك: أعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة فإن أعجبت ثانياً وكلتك إلى نفسك. فقال داود يا رب كلني إلى نفسي سنة. فقال إنها

لكثيرة . قال فشهراً . . . قال فإنه لكثير . . قال فأسبوعاً . . . قال إنه لكثير قال فيوماً . . . قال إنه لكثير . . . قال فساعة . . قال فشأنك . . .

(وفي هذه الساعة التي وكله الله فيها إلى نفسه والنفس أمارة بالسوء ففتن ووقع في الخطيئة . ولما عرف ذنبه استغفر ربه فتاب عليه) .

والقصة : أن داود عليه السلام كان له من الزوجات تسع وتسعون زوجة ـ وقد قسم زمانه ثلاثة أيام . يوماً للعبادة ويوماً للقضاء بين الناس ويوماً يقضيه في بيته مع زوجاته ـ وكان لا يسمح لأحد بالدخول إليه في يوم عبادته .

دخل المحراب يوم عبادته لربه وغلق أبواب المحراب وانكب على العبادة فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاءه الشيطان وتمثل في صورة حمامة من ذهب فيها كل لون جميل تهبط بجواره ، فأعجبه شكلها وهم بها يمسكها ، فطارت ونزلت غير بعيد وكأنها تغريه بمتابعتها ، فظل يتابعها وهي تحاوره حتى اختفت عن ناظره . وإذا امرأة أمامه ما رأى داود أجمل منها فأعجبه حسنها فسأل عنها وعن أهلها فقيل له إنها سابع بنت شائع وإنها خطيبة لشاب في ميدان الحرب اسمه ماريا الحثي . فأرسل داود يطلب زواجها ، فتزوجته لجلاله وملكه . ودخل بها غير مكترث بخطيبها المحارب ، صار لداود بهذه الزوجة مائة زوجة وأراد الله أن يطلعه على خطيئته التي وقع فيها في الساعة التي وكله فيها إلى نفسه .

فبينما كان جالساً يتعبد في محرابه يوم عبادته ـ دخل عليه ملكان في شكل الرجال ولم يعلم كيف جاءا وكأنما انشقت الأرض عنهما ففزع وخاف منهما فقالا لا تخف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض وجئناك لتحكم بيننا بالعدل فقال لأحدهما قص علي حكايتك . . قال إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فاغتصبها مني وأضافها إلى نعاجه سأل داود الرجل الثاني عن رأيه في قول أخيه فصدق عليه وقال أخذتها لأكمل بها نعاجي مائة . . . فقال داود للأول لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ، وقال للثاني رد نعجته إليه وإلا عاقبتك .

فضحك الملك الثاني وقال يا داود لقد حكمت بذلك على نفسك . ثم اختفيا وكأن الأرض قد بلعتهما فظن داود أن الله قد فتنه وعلم أنه قد وقع في خطأ وأن هذا الخطأ كان في الساعة التي تركه الله فيها لنفسه ـ فقد أوقعته نفسه في زواج هذه المرأة التي كانت مخطوبة لغيره. وتجسمت أمامه الخطيئة فاستغفر ربه وخر ساجداً لله أربعين يوماً لا يرفع رأسه خشية من الله وخوفاً وحياء وظل يطلب الصفح والمغفرة في بكاء متواصل، وندم مستمر، حتى غفر الله له وتاب عليه .

أنس الطاعة ووحشة المعصية :

قيل إنه عندما خرج داود من محرابه بعد الغفران من الخطيئة ، وجد الأمور قد تغيرت فنقصت نعمته ، وتغير صوته الحسن ، ورأى الجبال لم تعد ترجع تسبيحه كما كانت تفعل وأنه لم يعد أحد يستمع إليه حينما يقرأ آيات الزبور والماء الجاري اصبح لا يقف، والريح الجارية لن تسكت والوحوش والبهائم والطيور لم تعد تصغي له كما كانت تفعل قبل الخطيئة . فقال إلهي ما هذا ؟ فأوحى الله إليه : **ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية . يا داود إن المعصية هي التي غيرت صوتك وحالك . فقال: يا إلهي أوليس قد غفرتها لي؟ قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التي بيني وبينك من الود والقرب فلن تدركها أبداً** إن المعاصي تزيل النعم .

داود يبكي على خطيئته حتى الممات: قال وهب بن منبه إن داود عليه السلام لما تاب الله عليه أخذ يبكي على خطيئته حتى مات ـ فظل يبكي ثلاثين سنة ولا ترفأ له دمعة ليلاً ولا نهاراً ـ وكان قد وقع في الخطيئة وهو في السبعين من عمره والمعروف أنه مات وله من العمر مائة سنة .

وعن نافع بن عمر أنه قال ـ قال رسول الله ﷺ : « كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به إلا الحياء والخوف من الله تعالى » .

داود يستخلف ابنه سليمان: قال أبو هريرة رضي الله عنه : أنزل الله تعالى كتاباً من السماء على داود عليه السلام مختوماً بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشر مسألة ،

فأوحى الله تعالى إليه أن سل عنها ابنك سليمان فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك ـ قال فدعا داود عليه السلام سبعين قساً وسبعين حبراً ، وأجلس سليمان بين أيديهم وقال: يا بني: إن الله تعالى أنزل علي كتاباً من السماء فيه مسائل. وأمرني أن أسألك عنها فإن أخرجتها فأنت الخليفة من بعدي فقال سليمان: ليسألني نبي الله عما بدا له وما توفيقي إلا بالله » .

قال داود يا بني ما أقرب الأشياء وما أبعدها؟ وما آنس الأشياء وما أوحشها؟ وما أحسن الأشياء وما أقبحها؟ وما أقل الأشياء وما أكثرها؟ وما القائمان وما الساعيان؟ وما المشتركان وما المتباغضان؟ وما الأمر الذي إذا ركبه الرجل حمد آخره، وما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذم آخره؟ فقال سليمان عليه السلام:

أما أقرب الأشياء فالآخرة، وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا، وأما آنس الأشياء فجسد فيه روح، وأما أوحش الأشباء فجسد لا روح فيه، وأما أحسن الأشياء فالإيمان بعد الكفر، وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان. وأما أقل الأشياء فاليقين، وأما أكثر الأشياء فالشك، وأما القائمان فالسماء والأرض وأما الساعيان فالشمس والقمر، وأما المشتركان فالليل والنهار، وأما المتباغضان فالموت والحياة، وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب قال: ففكوا الخاتم فإذا جواب المسائل سواء على ما أنزل من السماء ـ .

فقال القسيسون والرهبان لا نرضى حتى نسأله عن مسألة فإن أخرجها فهو الخليفة من بعدك. فقال سليمان عليه السلام سلوني وما توفيقي إلا بالله ـ .

قالوا له ما الشيء الذي إذا صلح، صلح كل شيء في الإنسان وإذا فسد فسد كل شيء في الإنسان قال هو القلب. فقام داود عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: إن الله تعالى أمرني أن أستخلف عليكم سليمان فضجت بنو إسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو أفضل منه وأعلم!! .

بلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط بني إسرائيل وقال لهم: إنه قد بلغتني مقالتكم فأروني عصيكم فأي عصا أثمرت فإن صاحبها يلي الأمر بعـدي ثم قالوا قد رضينا فجاءوا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل اسمه على عصاه فكتبوا . ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتاً وأغلق عليها الباب وسد بالأقفال وحرسه رؤوس أسباط بني إسرائيل حتى الصباح - ثم صلى بهم داود صلاة الغداة وبعد الصلاة قام وهم معه ففتح الباب وأخرج عصيهم كما هي وأمـا عصا سليمان فقد اخضرت وأورقت وأثمرت فسلموا الأمر في ذلك لداود عليه السلام . فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني إسرائيل قائلاً إن هذا خليفتي عليكم من بعدي .

وصايا داود لابنه سليمان: قال وهب بن منبه لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال:

« يا بني: إياك والهزل فإن نفعه قليل، ويهيج العداوة بين الإخوة، وإياك والغضب فإن الغضب يستخف بصاحبه ، وعليك بتقوى الله وطاعته ، فإنهما يغلبان كل شيء ، وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس، وإن كانوا براء، واقطع طمعك عن الناس فإن ذلك هو الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وإياك وما يعتذر منه من القول والفعل، وعود نفسك ولسانك الصدق، والزم الإحسان في قولك وعملك، فإن استطعت أن يكون يومك خيراً من أمسك فافعل، وصل صلاة مودع، ولا تجالس السفهاء، ولا ترد على عالم ولا تماره في الدين، وإذا غضبت فألصق نفسك بالأرض، وتحول من مكانك، وارج رحمة الله فإنها وسعت كل شيء » .

وفاة داود: دخل ملك الموت على داود في بيته فقال له داود من أنت أيها الرجل ومن أدخلك هذه الدار في هذا الوقت من غير إذن؟ فقال له: أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذن. فقال له: إذاً فأنت ملك الموت. قال نعم.

وقال: أفجئت داعياً أم ناعياً؟ فقال: بل ناعياً... فقال داود عليه السلام: فهلا أرسلت إلي قبل ذلك وآذنتني لأستعد للموت؟ فقال كم أرسلت إليك فلم تنتبه - قال ومن كانت رسلك التي أرسلت إلي؟ فقال يا داود أين أبوك إيشا وأين أمك وأين أخوك وأين جارك أين قهارمتك أين فلان أين فلان؟ فقال ماتوا كلهم. فقال: أما علمت أنهم رسلي إليك؟.

وقال المؤرخون كان عمر داود عليه السلام مائة سنة، وكانت مدة ملكه أربعين سنة.

كان داود أعبد الناس في الأرض: روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه. وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى). وفي رواية الصحيحين: وكان يصوم نصف الدهر، وفي رواية الصحيحين: (صم صيام داود فإنه كان أعبد الناس).

كان داود عليه السلام يأكل من عمل يده: عن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده).

أحاديث قدسية

مع داود عليه السلام

١ - أوحى الله إلى نبيه داود عليه السلام: (يا داود حذر وأنذر أصحابك كل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني) .

رواه ابن عباس

٢ - أوحى الله إلى داود يا داود إن العبد ليأتي بالحسنة يوم القيامة كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها أفتحب أن تكون كلبا منهم فتجر معهم يا داود طيب الكلام ولين اللباس والصيت في الناس وفي الآخرة لا تجتمع أبداً .

رواه الديلمي عن علي

٣ - أوحى الله إلى داود يا داود إن العبد ليأتي بالحسنة يوم القيامة فأحكمه بها في الجنة قال داود يا رب ومن هذا العبد؟ قال مؤمن يسعى لأخيه المؤمن في حاجته يحب قضاءها . قضيت على يديه أو لم تقض .

رواه الخطيب وابن عساكر عن علي

٤ - أوحى الله إلى داود وعزتي ما من عبد يعتصم بي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات والأرض بمن فيها إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء بين يديه ، وأرسخت الهوى من تحت قدميه ، وما من عبد يعطيني إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني ، ومستجيب له قبل أن يدعوني ، وغافر له قبل أن يستغفرني .

رواه أبو تمام وابن عساكر والديلمي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه

٥ ـ أوحى الله إلى داود أن قل للظلمة لا يذكروني فإني أذكر من يذكرني وأن ذكري إياهم أن ألعنهم.

رواه الحاكم (في تاريخه) والديلمي وابن عساكر عن ابن عباس.

٦ ـ قال داود: يا رب ما حق عبادك عليك إذا هم زاروك فإن لكل زائر على المزور حقاً؟ قال يا داود فإن لهم علي أن أعافيهم في دنياهم، وأغفر لهم إذا لقيتهم.

رواه الطبراني وابن عساكر عن أبي ذر

٧ ـ قال داود: إلهي ما جزاء من شيع ميتاً إلى قبره ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيعه ملائكتي فتصلي على روحه في الأرواح قال اللهم فما جزاء من يعزي حزيناً ابتغاء مرضاتك؟ قال جزاؤه أن ألبسه لباس التقوى، وأستره به من النار فأدخله الجنة. قال اللهم ما جزاء من عال يتيماً أو أرملة ابتغاء مرضاتك؟ قال جزاؤه أن أظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلي. قال اللهم فما جزاء من سالت دموعه على وجنتيه من مخافتك؟ قال جزاؤه أن أقي وجهه لفح جهنم وأقيه يوم القيامة الفزع الأكبر.

رواه ابن عساكر والديلمي عن ابن مسعود

٨ ـ قال داود فيما يخاطب ربه: يا رب أي عبادك أحب إليك أحبه بحبك؟ قال: يا داود أحب عبادي إلي نقي القلب، نقي الكفين، لا يأتي إلى أحد سوء أو لا يمشي بالنميمة، تزول الجبال ولا يزول، أحبني وأحب من يحبني، وحببني إلى عبادي قال يا رب إنك لتعلم أني أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى عبادك؟ قال: ذكرهم بآلائي وبلائي ونعمائي يا داود إنه ليس من عبد يعين مظلوماً أو يمشي معه في مظلمته إلا أثبت قدميه يوم تزول الأقدام.

رواه البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس.

اخلاق سليمان عليه السلام

ملك الإنس والجن والشياطين والوحوش والطير والرياح

كان سليمان عليه السلام لوالديه باراً مطيعاً مخلصاً حسن الخلق. خاشعاً لله متواضعاً فقال: رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي: **فأعطاه الله** ملكاً عظيماً وسخر له الإنس والجن والشياطين والوحوش والطير والرياح ـ **فكان** يركب الريح بالبساط إلى حيث يشاء، وكان البحر خزائنه والجن خدمه والملائكة حفظته والطير تظله من الشمس والوحوش تحرسه واسم الله الأعظم مكتوب على خاتمه. . . ومع هذا كان عليه السلام متواضعاً يخالط الفقراء والمساكين ويجالسهم ويأكل معهم ويحدثهم كأنه منهم وكان لا يشبع إلا من خبز الشعير ولا يلبس إلا مع سعة ملكه وقد أثنى الله عليه فقال تعالى: **﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾** .

إن قصة سليمان النبي والحكيم عليه السلام تدلنا على إيمانه القوي بالله وعلى صبره على طاعته وأعماله الفاضلة وأخلاقه الحميدة وإعراضه عن الشهوات والملذات فقد ركب هو وجنوده الريح يوماً . فرآه حراث فقال: لقد آتاك الله يا ابن داود ملكاً عظيماً لم ينله أحد قبلك . فحملت الريح كلامه في أذن سليمان فنزل إليه وقال له: إني سمعت كلامك يا أخي وأقول لك: إن تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير لك من ملك سليمان .

نسبه :

هو سليان بن داود بن ايشا بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن أرام بن حصرون فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم الصلاة والسلام وأمه سابع بنت شائع .

مولده .

ولد سليان عليه السلام في مدينة أورشليم عاصمة ملك بني إسرائيل . من المرأة التي كانت خطيبة لماريا الحثي الجندي بجيش داود والتي تزوجها داود وأكمل بها زوجاته المائة .

نشأته :

نشأ سليان بن داود عليهما السلام في بيت الملك والنبوة ، نشأة الصالحين المؤمنين فأحبه أبوه حباً شديداً ، ولم يكن يطيق فراقه في حله وترحاله ، ولما اطمأن والده إلبه وعرف حسن أخلاقه أخذ يعده لولاية العهد من بعده دون إخوته الثمانية عشر فأخذ يجلسه معه في مجالس الحكم والقضاء ويستشيره في مهام الأمور ويعرض عليه الفصل في الخصومات فرأى منه ذكاء خارقاً وحكماً صائباً .

أوصافه وأخلاقه :

كان علبه السلام أبيض اللون جسياً . وضيئاً جميلاً كثير الشعر يلبس البيض من الثباب وكان لوالديه باراً مطيعاً مخلصاً حسن الخلق . خاشعاً متواضعاً . يخالط المساكين ويجالسهم ويأكل معهم ويتحدث إليهم ويقول : مسكين يجالس مسكيناً . وكان لا يشبع إلا من خبز الشعير ولا يلبس إلا مع سعة ملكه ولا ينفق إلا من عمل يده ، وقد أثنى الله تعالى عليه في قوله : ﴿**ووهبنا لداود سليان نعم العبد إنه أواب**﴾ .

نبوته:

قال الله تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾ ورثه في نبوته وحكمه وعلمه وملكه دون سائر أولاده ـ وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ولداً أصغرهم سليمان.

أعماله الداخلية:

عندما ولي سليمان عليه السلام الملك تفرغ لشؤون البلاد الداخلية فشجع التجارة وأنشأ لها أسطولين كبيرين: أحدهما في بحر الروم والثاني في بحر القلزم فكانت سفنه تجوب البحار وتصل بلاد الشرق ببلاد الغرب واجتمع لسليمان من ذلك مال وفير وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة والدر والياقوت فذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق. وجاءه الملوك يقدمون إليه الهدايا وفروض الولاء ـ وكانت مملكته تتكوّن من خليج أيلة وفلسطين وشرق الأردن ولبنان وسوريا إلى شط الفرات وكانت عاصمة ملكه أورشليم.

ولقد عني سليمان بجيشه فجهزه بأمضى الأسلحة وأقوى الدروع وأمده بالجياد الصافنات، والخيول المطهمة التي، كان يشتريها بنفسه، ويرسل عملاءه لشرائها من بلاد العرب ويعنى بتربيتها عناية فائقة.

آيات الله على سليمان:

قال الله تعالى: ﴿وقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير عن عباده المؤمنين﴾ وقال الله تعالى إخباراً عنه: **﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾** فأجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحداً من قبله ولا من بعده، فمنها:

١ ـ الخاتم:

أعطى الله سليمان في ملكه سلطاناً عظيماً، فكان لا يمتنع عليه شيء في البر أو

الجو أو البحر، ومن ذلك ما يسمى بخاتم سليمان. فكان ملكه في خاتمه ـ فإذا لبسه كان إنساناً خارقاً للعادة ـ عكف عليه الإنس والجن والشياطين والطير والوحوش والريح مسخرين. ودانت له الدنيا بأكملها ولم يمتنع عليه شيء فيها وإذا خلعه من إصبعه وتركه من يده انخلع عنه كل شيء، وأصبح إنساناً عادياً لا يملك إلا ما يملكه الناس ولا يقدر إلا كما يقدر عليه غيره ـ وكان الخاتم من ياقوته خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه اسم الله الأعظم (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

٢ ـ تسخير الريح وبساط الريح:

قال الله عز وجل: ﴿**فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب**﴾ أي حيث أراد، وفي آية أخرى ﴿**ولسليمان الريح عاصفة تجري إلى الأرض التي باركنا فيها**﴾ أي الريح العاصفة تجري بأمره رخاء ـ قال محمد بن إسحاق وغيره من أصحاب الأخبار: كان سليمان عليه السلام رجلاً غزاء، لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يذله ويقهره، وكان إذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له الخشب، ثم ينصب له سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلات الحرب كلها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر الريح العاصف فندخل تحت الخشب فتحملها حتى إذا أقلتها أمر الريح الرخاء فتسير به حيث يشاء وكما يريد من سرعة وبطء وسير وتوقف. وكانت تسير بالبساط في الذهاب شهراً وفي الإياب شهراً كما قال الله تعالى: ﴿**ولسليمان الريح غدوها شهراً ورواحها شهر**﴾.

وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهبا في إبريسم وكان في وسطه منبر من الذهب فيقعد عليه وحوله ثلاث آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظلهم الطير بأجنحتها لئلا

تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومسيرة شهر من الرواح إلى الصباح .

وقال وهب بن منبه : إن سليمان عليه السلام ركب الريح يوماً فمرت بحراث فنظر إليها الحراث وقال لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً فحملت الريح كلامه وألقته في أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له : إني سمعت كلامك يا أخي وإنما نزلت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه وأقول لك إن تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتي آل داود . وقيل خير من ملك سليمان فقال له الحارث : أذهب الله همك كما أذهبت همي .

وقال السدي : لم يقع لأحد من ملوك الأرض مثل ما وقع لسليمان وذلك أن الريح مركبه والبحر خزائنه والجن خدمه والملائكة حفظته والطير من الشمس تظله والوحوش تحرسه وآصف بن برخيا وزيره والاسم الأعظم مكتوب على خاتمه .

وقيل إن سليمان تأمل ذلك وأعجب بنفسه فمال البساط من تحته في مسيره فهلك من جيشه نحو اثني عشر ألف إنسان في ساعة واحدة ، ولما رأى سليمان ذلك ضرب البساط بقضيب كان في يده وقال : اعتدل أيها البساط فأجابه البساط من تحته اعتدل أنت يا سليمان ، حتى اعتدل أنا فعلم أن البساط مأمور ، فخرّ ساجداً لله تعالى فاعتدل البساط .

٣ ـ منطق الطير وتسبيحه :

من آيات الله ونعمه على سليمان عليه السلام ، أن علمه منطق الطير والنمل كما في قوله تعالى : **﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾** . والمراد بقوله (من كل شيء) كثرة نعم الله تعالى عليه ومنها : تعليمه كلام الطير وتسبيحه . فقد قال كعب الأحبار :

ـ صاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول؟ قالوا لا . قال إنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا .

ـ وصاح طاووس . فقال إنه يقول : كما تدين تدان .

ـ وصاح هدهد . فقال إنه يقول : من لا يرحم لا يُرحم .

ـ وصاح صرد . فقال إنه يقول : استغفروا الله يا مذنبون .

ـ وصاح طيطوي . فقال إنه يقول : كل حي ميت وكل جديد بال .

ـ وصاح خطاف . فقال إنه يقول : قدموا خيراً تجدوه .

ـ وصاح قمري . فقال إنه يقول : اللعنة للعشارين .

ـ وهدرت حمامة فقال إنها تقول : سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وملء أرضه .

ـ وصاحت حدأة . فقال إنها تقول : كل شيء هالك إلا وجهه .

ـ وصاحت القطا . فقال إنها تقول : من سكت سلم .

ـ وصاحت العنقاء . فقال إنها تقول : ويل لمن كانت الدنيا همه .

ـ وصاح البازي . فقال إنه يقول : سبحان ربي الأعلى وبحمده .

ـ وصاحت الضفدعة . فقال إنها تقول : سبحان ربي القدوس .

ـ وصاح العصفور . فقال إنه يقول : سبحان المذكور بكل مكان .

ـ وصاح الدراج . فقال إنه يقول : الرحمن على العرش استوى .

وهذا الفضل لمحمد عليه السلام:

فبإسناد عن صالح المروي عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : الديك إذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلون .

وروي عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام

أنه قال: إذا صاح النسر يقول: يا ابن آدم عش ما شئت فإن آخرك الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد عن الناس أنس، وإذا صاح القنبر. قال اللهم العن مبغض آل محمد. وإذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القارىء.

وعن ابن مسعود عن أبيه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفره فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذناهما فجاءت الحمامة وشكت إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: من فجع هذه الحمامة بفرخيها؟ فقلنا: نحن فقال: ردوهما إلى موضعهما.

٤ ـ منطق النمل:

علمه الله منطق النمل والدواب كما في قوله تعالى: **﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾**.

مرّ سليمان بموكبه على نمله فقالت النملة: سبحان الله العظيم! ما أعظم ما أوتي آل داود! فتبسم سليمان من قولها. وفسَّر قولها لجنوده فقال لهم إنها تقول: اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب.

وحكي أن نملة مشت على سليمان فحملها ورماها على الأرض فكلمته شاكية فعله فيها. فسألها العفو عنه فقالت بشرط أن لا تنظر إلى الدنيا بعين الشهوة، ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك إلا بذلته له، فقال: قد فعلت ذلك قالت: فإني عفوت عنك، وبمروره بوادي النمل في موكبه الحافل قامت نملة تمشي وكانت عرجاء تتكاوس في حجم الذئب الكبير، فلما رأت سليمان في موكبه الحاشد نادت النمل وقالت: ﴿يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ قال مقاتل: فسمع سليمان كلامها من

ثلاثة أميال ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ .

وفي بعض الأخبار: أن سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال أئتوني بها ـ ولما أوتي بها قال لها: لم حذرت النمل مني؟ قالت يا نبي الله خشيت أن يتمنين ما أعطيت فيفتن ويشتغلن بالنظر إليك عن التسبيح . فقال عظيني .

عظة النمل لسليمان:

قالت النملة تعظ سليمان بناء على طلبه منها :

هل علمت لم سمي أبوك داود؟ قال لا . قالت لأنه داوى جراحة قلبه . ثم قالت: وهل تدري لم سمّيْت سليمان؟ قال لا . قالت لأنك سليم وقد أوتيت ما أوتيت بسلامة صدرك، وحق لك أن تلحق بأبيك داود . ثم قالت: أتدري لماذا سخر الله تعالى لك الريح؟ قال لا ـ قالت: ليخبرك الله أن الدنيا كلها ريح ـ فتبسم ضاحكاً من قولها متعجباً ـ وقال: «رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي» الآية .

٤ ـ تسخير الجن والشياطين:

أخبر الله تعالى في كتابه الكريم بأنه سخر الجن لسليمان إذ قال: **﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾** وقال بعد أن ذكر تسخير الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب **﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾** وقال تعالى أيضاً: **﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾** .

ذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان

ضربه ضربة أحرقته، فكانت الجن والشياطين تطيعه وتنفذ أمره وكانوا يعملون له ما يشاء: من ضخم المباني والعمائر والتماثيل (وكانت التماثيل يجوز صنعها عندهما) والقدور الراسيات والجفان التي كأنها الحياض لسفنها.

وقد ذكر في سفر الملوك الأول ص ٩ ـ العمائر التي قام بعملها وهي:

١ ـ بيت الرب.
٢ ـ بيت الملك.
٣ ـ سور أورشليم.
٤ ـ حاصور.
٥ ـ مجدو.
٦ ـ جازر.
٧ ـ بيت حورون السفلى.
٨ ـ بعلة.
٩ ـ تدمر المدينة.

كل ذلك عدا المخازن ومدن المركبات، ومدن الفرسان. وما بناه في لبنان وغيرها من سائر مملكته كما عملوا له الطواحين والحمامات والقوارير والصابون وحفروا له نهر الملك وقصر شيرين، وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون له منها أنواع اللآلىء والدّرر وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وأنواع الجواهر الثمينة. والمعادن وهم أول من فعل ذلك.

كرسي سليمان:

روي أن نبي الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين بعمل كرسي له يقعد عليه للقضاء ـ وأمر أن يعمل بديعاً مهولا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت. فعملوا له كرسياً من أنياب الفيلة، وزيّنوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الأخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض، وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب، على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار

الكرم من الذهب الأحمر، واتخذوا عناقيد من الياقوت الأحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل على الكرسي.

وقالوا: كان سليمان إذا أراد الصعود إلى هذا الكرسي وضع قدميه على الدرجة السفلى، فيستدير الكرسي ورجله فيها ويدور دوران الرحى المسرعة، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الأسدان أيديهما، ويضربان الأرض بأذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان فإذا استوى عليه أخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر ينثرانهما عليه. ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء. وقالوا ويجلس عظماء بني إسرائيل على كراسي الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهي ألف كرسي على يمينه، وتجيء عظماء الجن فيجلسون على كراسي الفضة عن يساره وهي ألف كرسي حافين به جميعاً ثم تظله الطير وتتقدم الناس إليه للقضاء فإذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لإفادة الشهادات دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دوران الرحى المسرعة.

قال معاوية لوهب بن منبه: ما الذي كان يدير ذلك الكرسي؟ قال بلبلان من ذهب: فإذا دار الكرسي بسط الأسدان أيديهما، ويضربان الأرض بأذنابهما وينشر النسران والطاووسان أجنحتهما فتفزع منه الشهود ويداخلهم منه رعب شديد فلا يشهدون إلا الحق.

فلما توفي سليمان عليه السلام. بعث بختنصر. فأخذ ذلك الكرسي وحمله إلى أنطاكية، فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله، فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى، رفع الأسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة ثم رماه على الأرض مغشياً عليه مكسوراً فحمل بختنصر ـ فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات ـ وبقي الكرسي بأنطاكية حتى غزاهم ملك آخر يسمى كداش بن سداس ـ فهزم خليفة بختنصر ورد الكرسي إلى بيت المقدس، فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به، فوضع تحت الصخرة

فغاب ولم يعرف خبره ولا يدرى أين هو حتى الآن .

بناء بيت المقدس:

كان داود عليه السلام وأحبار بني إسرائيل قد اختاروا أرضاً فسيحة بالقرب من بيت لحم لبناء بيت المقدس ثم بدأوا البناء حتى رفعوه قدر قامة الرجل ثم عجزوا عن اتمام بنائه .

ولما استخلف الله تعالى سليمان عليه السلام أمره الله بإتمام بيت المقدس . فجمع سليمان الجن والإنس والشياطين، وقسم عليهم الأعمال وخصّ كل طائفة بعمل يصلح لها . فتم بناء بيت المقدس وهيكل سليمان في سبع سنين فقط وهي مدة بسيطة بالنسبة لعظمة بناء البيت ـ وقد تجلت فيه بعد إتمام البناء، روعة الفن وجمال النقش، وإبداع الصنعة على أحدث طراز وجد في هذا الزمان .

وكان قد أسال الله لسليمان عيناً ساخنة في الجبل تسمى عين القطر يخرج منها نحاس مصهور ينحدر من الجبل في قنوات كبيرة ثم يجري في الوادي كأنه نهر عظيم فيغترفون منه النحاس في أوان من الحديد ويتخذون منه صفائح يصنعون منها الأواني النحاسية . فأمر سليمان مهرة النحاسين فصنعوا من النحاس صفائح رقيقة وزركشوها بالرسوم والألوان الجميلة ثم بطنت بها قباب المسجد وأعمدته وجدرانه وصار كاللؤلؤة المتألقة يقصده الناس من جميع الجهات للحج والعبادة .

ولما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قرباناً على صخرة بيت المقدس ثم قال، (اللهم أنت وهبت لي هذا الملك منا منك عليّ وجعلتني خليفتك في أرضك وأكرمتني من قبل أن أكون شيئاً فلك الحمد . اللهم إني أسالك لمن دخل هذا المسجد خصالا : أن لا يدخله أحد يصلي فيه ركعتين مخلصاً فيهما، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ولا يدخله مذنب إلا تبت عليه وخائف إلا أمننه ولا سقيم إلا شفيته ولا مجدب إلا أخصبته وأغنيته) .

وصخرة بيت المقدس وصفها رسولنا الكريم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في حديثه الشريف المروي عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: (صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضي الله عنهما ينظمان حلى أهل الجنة إلى يوم القيامة).

سليمان وملكة سبأ:

قال تعالى في سورة النمل: ﴿**وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. لأعذبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين. فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين. إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون. ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون. الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم**﴾.

دلت الآيات على أن الله سبحانه وتعالى سخر الطير لسليمان فكانت تطيعه وتأتمر بأمره وتنفذ ما يطلبه. كما دلت على أن الله تعالى علمه منطق الطير - فكانت الطير تظل سليمان عليه السلام من حرارة الشمس، وكان الهدهد يشغل مكاناً في مظلة سليمان، كما كان دليل سليمان على الماء فكان يرى الماء من تحت الأرض فيشير إليه ويدل عليه بأن ينقر الأرض بمنقاره فيعرفون موضع الماء وعمقه ثم تجيء الشياطين والمردة فيحفرون الأرض حتى يخرج الماء - وقد روي قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنهاكم عن قتل الهدهد فإنه كان دليل سليمان على الماء).

تفقد سليمان الطير يوماً فلم يجد الهدهد - فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين - فلما جاء الهدهد

سأله عن غيبته فأحبره أنه كان في مدينة سبأ من بلاد اليمن. وقد أحطت منها بما لم تحط به وجئتك منها بنبأ يقين ـ إن في سبأ مملكة عظيمة وعرشاً أكبر من عرشك وأن على هذا العرش والملك العظيم امرأة أوتيت من كل شيء واسمها بلقيس وأنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله. فقال له سليمان سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين، وأعطاه كتاباً ليوصله إلى الملكة وقال له إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثم تولّ عنهم فانظر بم يرجعون. فذهب الهدهد بالكتاب وألقاه على سريرها في مواجهتها ـ فأخذته فإذا به ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين﴾ ـ أخذت بلقيس الكتاب. فلما رأت خاتم سليمان عليه ارتعدت وخضعت، لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل هذا الكتاب هو أعظم منها ملكاً وأقوى شأناً، وقالت إن ملكاً تكون رسله الطير لملك عظيم ـ فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد عنها غير بعيد ـ لم ترد الملكة أن تستبد بإجابة. فجمعت رجال دولتها وأهل مشورتها وأعلمتهم بالكتاب فقالت لهم: ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين) فأخذتهم العزة وثارت فيهم الحماسة وقالوا لها: ﴿نحن أولو قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾.

كانت الملكة عاقلة فنظرت في الأمر بعين الفطنة وقالت لهم ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ أي أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم أمر ـ وإني أعرض عليكم رأياً أجده أقرب إلى حل هذه الأزمة التي جاءتنا على بغتة: أن أرسل إلى سليمان وقومه بهدية نصانعه بها ونستنزل بسببها مودته ونختبره بها أملك هو أم نبي ـ فإن يك ملكاً قبل الهدية وانصرف عنّا وإن يك نبياً لم يقبل الهدية ولم يرض منّا إلا أن نتبعه على دينه ثم ننظر ماذا يرجع به رسلنا إلى سليمان ـ فلما جاءت رسلها إلى سليمان بالهدية لم يقبلها، وأظهر لرئيسهم أنه ليس في حاجة إلى أموالهم، وأنه في حالة حسنة وانفساح ثروة أوفر مما فيه ملكتهم وأنه سيرسل إلى بلادهم جنوداً لا قبل لهم بها. وذلك قول الله تعالى:

﴿فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون. إرجع اليهم فلتأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ .

جاء الخبر من الرسل إلى الملكة فعلمت عظمة سليمان وقوة ملكه فقالت ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة وبعثت إليه فقالت: إني قادمة بكبار قومي للنظر ما تدعونا إليه من دين.

علم سليمان باعتزام ملكة سبأ على زيارته في عاصمة ملكه ﴿أورشليم﴾ فأمر الجن بأن يبنوا لها قصراً عظيماً من زجاج وتمرد أرضه بالزجاج فبنته في ساعات. ولما قربت بلقيس من ديار سليمان أراد أن يريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها المنيع فأمر باحضاره من مملكتها قبل أن تصل إليه لتجلس عليه في هذا الصرح الجديد، فقال لجنوده ﴿أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟﴾ أي طائعين خاضعين ﴿قال عفريت من الجن﴾ وهو المارد القوي ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي مجلسك الذي تجلس فيه وإن قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر ـ فقال سليمان أريد أسرع من هذا ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان ـ وقال معظم المفسرين أنه هو آصف بن برخيا وكان صديقه ومن علماء بني اسرائيل وكان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

أخبر ابن ميمون بإسناده عن ابن عباس قال: إن آصف قال لسليمان حين صلّى ودعا الله تعالى: مد عينيك حتى ينتهي طرفك قال فمد عينيه نحو اليمين فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدون الأرض خداً حتى انخرقت الأرض بالسرير فنبع بين يدي سليمان.

واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الإتيان بالعرش

فروي عن عائشة رضي الله عنها أن الإسم الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا: يا حي يا قيوم.

وروي عن الزهري قال: دعا الذي عنده علم من الكتاب فقال: يا إلّهنا وإلّه كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت إئتني بعرشها: وقال مجاهد: يا ذا الجلال والإكرام

فلما رأى سليمان العرش مستقراً عنده محمولاً إليه من مأرب باليمن إلى اورشليم بفلسطين في قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة ﴿قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾.

وقال سليمان (نكروا لها عرشها) أي زيدوا فيه أو إنقصوا منه وغيروه إلى حال تنكره إذا رأته ننظر أتهتدي إلى عرشها وتعرفه أم تكون من الجاهلين به ـ أراد بذلك أن يختبر عقلها.

فلما جاءت ورأت العرش (قيل لها أهكذا عرشك)؟ قالت: (كأنه هو) فقيل لها ادخلي الصرح ـ وكان الصرح قصراً من زجاج كأنه الماء بياضاً يجري من تحته الماء وفيه السمك وقد مردت أرصيته بالزجاج ووضع في مدخله وصدره سرير سليمان وقد جلس عليه وعكف عليه الطير والجن والشياطين والإنس ـ فلما رأت الصرح بهذا الشكل ظنت الزجاج ماء، فكشفت عن ساقيها لئلا تبتل بالماء وأخبرت بأن ما ظنته ماء إنما هو زجاج. فقيل لها إنه صرح ممرد من قوارير وليس بماء. فلما جلست على عرشها الذي وجدته مأتياً به من اليمن ـ دعاها سليمان إلى الإسلام ـ وقد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فأجابت سليمان إلى الإسلام وقالت: (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين).

والطريقة التي أتى بها العرش على يد الذي عنده علم من الكتاب شيء لم يكشف عنه العلم وقد حدثت بنص صريح قاطع الثبوت والدلالة وهو أمر خارق للعادة

ومعجزة من معجزات سليمان عليه السلام .

والمعجزات الخارقة للعادة لم يستطع العلم حتى الآن ولن يستطع أن يحللها أو يكشف عنها .

وفاة سليمان:

بعد واقعة إسلام بلقيس ملكة سبأ قضى سليمان عليه السلام البقية الباقية من حياته الحافلة يسوس رعيته بالعدالة ويتقرب إلى الله تعالى بالعبادة، وقد اختار لعبادته مكاناً في بيت المقدس لا يجرؤ أحد على الدنو منه ما دام هو قائماً به يصلي في المحراب .

فلما أحس بدنو أجله توكأ على عصاه وخرج إلى المسجد فدخل المحراب واتجه إلى الله مرتكزاً على عصاه . فقبضه ملك الموت . وظل جثمانه واقفاً تسنده العصا أياماً وقيل عاماً كاملاً ، والناس لا يدرون بموته ولا يجرؤون على الدنو منه في محرابه حتى تاكلت العصا ووقع الجثمان فشاع الخبر وشيعه بنو إسرائيل إلى مثواه وعادوا من قبره يرددون: سبحانك اللهم تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء: ويقول ابن كثير: يذكر الله تعالى في قوله: **﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾** كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف أخفى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة . فإنه مكث متوكأ على عصاه ـ وهي منسأته ـ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحواً من سنة ـ فلما أكلتها دابة الأرض وهي (الأرضة) ضعفت وسقط على الارض . وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس بذلك .

وقال أهل التاريخ: كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثاً وخمسين سنة ومدة ملكه أربعون سنة منها وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت

المقدس لأربع سنين مضت من ملكه ثم ملك بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم. وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبياً ولم يكن رسولاً ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعد ذلك ابنه آفيا ابن رحبعم وكان ملكه ثلاثاً وستين سنة. ثم ملك بعده ابنه أسابن آفيا وكان رجلاً صالحاً وكان أعرج يعتريه عرق النساء فطمع فيه الملوك لضعفه. وتفرقت ملوك بني إسرائيل فغزاهم ملوك الهند والعراق ولكن انتصر بنو اسرائيل على هذه الملوك فيما بعد.

ولما ظهر الفساد في بني اسرائيل، وتفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوكهم الأصنام من دون الله تعالى، غضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر ملك العراق فأزال ملكهم ومزق شملهم وأذهب ريحهم وأخذهم عبيداً وإماء وخرب بيت المقدس ـ فسبحان المعز المذل ـ يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

قبر سليمان:

اختلفوا في مكان قبر سليمان عليه السلام فقيل إنه دفن في طبرية وقيل في بيت لحم وقيل مع أبيه داود ببيت المقدس في المسجد وقبره هناك مشهور يزار.

اخلاق يونس عليه السلام

أثنى عليه رسولنا الكريم سيدنا محمدﷺ فقال: (لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) كان يونس عليه السلام أخير الناس في زمانه فكان صالحاً تقياً مسبحاً مستغفراً مخلصاً لله.

لما آمن قوم يونس بعد طول كفرهم وجحودهم ودعوا الله بقولهم: يا حي يا قيوم حين لاحي غيرك. لا اله إلا أنت ولا إله غيرك. قبل الله توبتهم وكشف عنهم العذاب ومتعهم إلى حين.

ولما دعا يونس ربه وهو في بطن الحوت بعد مغاضبة قومه بقوله: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) إستجاب الله دعاءه وأمر الحوت أن يلفظه من بطنه على الشاطىء حياً نجياً. فقال يونس ما أشبهني بقومي وما أوسع حلم ربي وأقرب صفحه ورحمته!!

نسبه:

هو يونس بن متى بن ماتان بن ملك رجيم بن ملك نياشاه بن سليمان بن داود عليهم الصلاة والسلام وأمه اسمها زاد.

مولده:

ولد يونس عليه السلام في مدينة بعلبك بفلسطين في أيام نبوة ورسالة نبي الله الياس عليه السلام.

أخلاقه:

كان يونس عليه السلام رجلاً صالحاً تقياً مسبحاً مستغفراً لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى مخلصاً له الدين، وكان حسن القراءة يستمع إلى قراءته الطير والوحوش كما كان لداود، فكان أخير الناس في زمانه وقد قال فيه رسولنا الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام (لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى).

أخلاق قومه:

كان أهل مدينة نينوى ـ وملكهم الرومي وهي مدينة تقع على شاطىء نهر دجلة بسوريا وعددهم أكثر من مائة ألف نسمة ـ قد سلكوا مسلك الفساد والضلال والكفر وانحرفوا عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام. ثم أخذوا يكثرون من عدد الأصنام بتوالي السنين والأيام وكانوا ينسبون إليها كل خير يصيبهم ويقدمون لها القرابين والنذور، لتبارك محصولاتهم وليدفعوا عن أنفسهم سخطها وغضبها.

نبوته:

أراد الله أن يطهر هذه المدينة من الشرك ويكلأها برحمته ونعمته ـ فأرسل يونس بن متى نبياً ورسولاً إل أهلها ليخرجهم من الظلمات إلى النور فيهديهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فجاءه جبريل عليه السلام وقال له إن الله يأمرك أن تتوجه إلى مدينة نبنوى فتدعو أهلها إلى عبادة الله وحده وتنهاهم عن الكفر وعبادة الأوثان.

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه: بعث الله يونس ابن متى إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى ثلاثاً وثلاثين سنة فلم يؤمن به إلا رجلان أحدهما روبيل وكان عالماً حكماً والآخر

تنوخا وكان عابداً زاهداً .

تبليغ الرسالة:

ذهب يونس عليه السلام بأمر ربه إلى مدينة نينوى فوجد أن ملك هذه المدينة وهو رومي الأصل ومعه أمراؤه قد استغلوا جهل أهلها ونسبوا أنفسهم إلى الأصنام فادعوا أنهم أبناء هذه الآلهة وصدق الشعب دعواهم فآمن بها . فهذا الملك ابن الإله الأكبر ، وهذا الأمير ابن اله النور ، وذلك ابن اله الظلام وغيره ابن إله النار والمطر، وما إلى ذلك من الأصنام الكثيرة التي نحتوها من الأحجار ، وعبدوها من دون الله .

حزن يونس لحالهم، وتعجب لعقولهم التي وصلت إلى هذا الحضيض بعد الرسالات السماوية والنبوات الكثيرة التي سبقته ـ وكيف يضلون طريق الله بعد الكتب المقدسة : التوراة والزبور التي نزلت على موسى وداود يعبدون أحجاراً لا تنفع ولا تضر بعد التقدم العقلي والديني .

فكر يونس كثيراً في كل ذلك، فانحدرت دموعه على خده رحمة بقومه وأسفاً عليهم ، فذهب إلى وسط المدينة وصعد إلى مكان مرتفع وصاح بأعلى صوته قائلاً : يا أيها الناس إني لكم نذير مبين من الله القادر النافع الضار العزيز الحكيم إني أنهاكم عن عبادة الأصنام، لأنها أحجار لا تنطق ولا تنفع ولا تضر وأدعوكم إلى عبادة الله الواحد القهار الخالق البارىء المصور خالقكم ورازقكم لا إله إلا هو الحي القيوم الذي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وإليه المصير ـ وإنه قد أرسلني إليكم نبياً ورسولاً لأخرجكم من ظلمات الشرك إلى نور الحق واليقين والإسلام . فاجتمعوا عليه وسخروا منه ثم ضربوه ضرباً مبرحاً حتى خر مغشياً عليه . فأوحى الله إلى طائر الورشان أن يغمس جناحيه في الماء ويرش بها على وجه يونس . ولما أفاق يونس من غشيته صعد ثانياً وقال يا قوم قولوا معي لا إله إلا الله وإن

يونس رسول الله فاجتمع الناس وأخذوا يضربونه بالحجارة ويسبونه ويقولون إنه لمجنون .

ظلّ يونس يدعو قومه إلى عبادة الله ثلاثاً وثلاثين سنة فلم يؤمن معه غير رجلين - ولما يئس من هداية قومه دعا عليهم وطلب من الله أن يعجل لهم العذاب ويهلكهم جميعاً كما أهلك الأمم التي كذبت أنبياءها من قبل - فهبط عليه الروح الأمين جبريل عليه السلام وقال له : لماذا تعجل على قومك فتطلب هلاكهم - إن الله في لوحه المحفوظ قد كتب لهم الإيمان وأراد لهم التوبة - فقال يونس ما رأيت منهم إلا الإصرار على الكفر والتمسك بعبادة الأصنام .

فقال جبريل : إن الله يأمرك أن تتابع دعوتك أربعين يوماً فإن تابوا وآمنوا غفر لهم وجعل لك ضعف ثوابهم جميعاً وإن لم يؤمنوا أهلكهم .

عاد يونس إلى قومه يدعوهم صباح مساء وهم عنه معرضون . ولما فاض بهم الكيل من إلحاحه عليهم وتسفيهه آلهتهم وشوا به إلى الحاكم .

فأرسل إليه الحاكم وجمع له الأمراء والناس وقال له : من إلهك يا يونس قال هو الذي يعطي الناس أرزاقهم . . قال الحاكم أليس هذا الصنم إله الرزق والخيرات ؟ قال يونس ليس هذا بإله ولكنه حجر أصم لا ينطق ولا ينفع ولا يضر - قال الملك أيستطيع ربك أن يمنع عنك عذابي ؟ قال يونس نعم إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

قال الملك إذن أطلب من ربك أن يمنع عنك عذابي هذا . ثم أمر الجلادين . . فانهالت السياط على جسم يونس فمزقت ثيابه ومزقت جلده ونزف دمه غزيراً وهو صابر لا يئن ولا يتأوه - وما زالوا به حتى أغمي عليه ووقع على الأرض لا يستطيع حراكاً فضحك الناس عليه وقالوا : غلب ربنا ربه وأصبح يونس عبرة لكل جاحد لآلهتنا .

عاد الملك إلى قصره وانفض الناس من حوله . ولما أفاق من غشيته ذهب إلى

أحد أصدقائه المؤمنين معه وظل في ضيافته نحو ثلاثة أيام حتى سكنت آلامه ثم عاد إلى جهاده وتبليغ دعوته .

كان قد مضى عليه سبعة وثلاثون يوماً من نزول الوحي عليه ولم يبق سوى ثلاثة أيام على نزول العقاب .

فلما أصبح الصباح خرج إلى الناس وصار يدعوهم إلى الهداية قبل أن يحل غضب الله . فلما رأوه بينهم من جديد فروا منه خائفين فذهب إلى الميدان الكبير أمام قصر الملك ونادى بأعلى صوته :

يا قوم : الله ـ الله ـ العذاب ـ العذاب ـ فخرج الملك وأرسل الجنود فقبضوا عليه وجاء الناس من الحقول والدور يتزاحمون على رؤية هذا الرجل المستهين بحياته وسيق يونس حتى كان أمام الملك والجنود عن يمين وشمال قد سلوا سيوفهم ينتظرون إشارة الملك ـ فقال الملك ماذا تريد اليوم ألم يكفك ما نالك من عذاب الأمس فجئت لتأخذ الكيل مضاعفاً ؟

قال يونس : ألا فاعلموا جميعاً أنكم تعبدون أصناماً لا حول لها ولا قوة ، وأن الله حق وهو الذي خلقكم ورزقكم وهو القادر على أن يخسف بكم الأرض ألا فاشهدوا أني بريء مما تعبدون . إني بلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن لم تؤمنوا فسيأتيكم العذاب بعد يومين . فنظر الملك إلى يونس مستهزئاً وقال كيف يكون العذاب يا هذا ؟ قال يونس : إن لم تؤمنوا اليوم فإن ألوانكم ستتغير غداً ويأتيكم العذاب بعد غد إن شاء الله .

ضحك الملك فقال سنمهلك للغد حتى يعرف الناس كذلك فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين .

ولما أصبح الصبح تغيرت ألوانهم ففزعوا . وقال بعضهم لبعض نزل بكم ما قال يونس . . وقال آخرون . . انظروا حتى يأتي المساء . . فإن بيت في المدينة فأنتم في أمن من العذاب الذي وعدكم وإن خرج الليلة من المدينة فإن العذاب سيحل

بكم في الصباح فنسارع بالإيمان بالله قبل نزول العذاب .

فلما كانت ليلة الأربعين أيقن يونس بنزول العقاب بعد ما تبين له من بعد الناس عنه فخرج من المدينة وهو يتوعد أهلها بعذاب الله في الغد .

فلما كان الغد غشيهم العذاب من فوق رؤوسهم فخرج عليهم غيم أسود يدخن دخاناً شديداً ثم نزل على المدينة فاسودت المباني وكاد القوم يختنقون . فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك . وطلبوا يونس ليتوبوا على يديه فلم يجدوه . ووجدوا داراً قد انقشع .الغيم عنها فدخل بعضهم فيها يحتمي من الدخان . ووجدوا فيها رجلين مؤمنين هما صاحبا يوّنس كانا يدعوان الله لقومهما بالهداية ورفع العذاب عنهم . فلما رأوا ذلك منهما قالوا : قد آمنا بما آمنتم به وصدقنا بما تصدقون وطلبنا يونس لنؤمن على يديه ويعلمنا الدين ولكنه خرج من المدينة فاحدق بها العذاب فاخرجا إلى قومكما لتعلماهم ما يفعلون .

خرج الرجلان واجتمع الناس حولهما ، وقد تكاثف الدخان ولمع البرق وقصف الرعد واشتد ضيق الناس وفزعهم وزاغت أبصارهم قال أحد الرجلين المؤمنين : يا أيها الناس أدعوا معي بهذا الدعاء :

يا حي يا قيوم حين لا حي غيرك ، لا إله إلا أنت ولا إله غيرك .

تحركت الألسنة ورددت هذا الدعاء . وتسربت أنوار الإيمان إلى صدورهم ونزلت دموع التوبة على خدودهم فانجابت السحب وانكشفت السماء وأقلع عنهم العذاب وقد صاروا جميعاً إخواناً في دين الله فردوا المظالم إلى أهلها حتى أن الواحد كان يقلع الحجر من داره ويعيده إلى صاحبه ثم فرقوا المال بالتساوي بينهم وبين الفقراء .

قبل الله توبتهم ، وكشف عنهم العذاب وإذا سحاب ممطر يغسل دورهم مما علق بها من السواد ويروي الأرض ـ ثم أشرقت الشمس تعلن السلام للناس فكان أول عمل قاموا به هو هدم معابد الوثنية وتكسير الأصنام وبناء المعابد التي

يقيمون فيها شعائر الدين فاستقامت حياتهم وحسن إيمانهم .

موقف يونس:

ظل يونس بعيداً عن المدينة ينتظر أخبار العذاب الذي نزل بها . وكلما مرّ عليه إنسان سأله عن حالها وما حصل لسكانها . فكانت الإجابة على غير ما كان يرجو وينتظر وكان أهل نينوى يبحثون عنه وقد أوفدوا أحد الرجلين اللذين آمنا به ليدعوه إليهم ويعود إلى المدينة التي خرج منها فيكون زعيمهم ونبيهم يعملون برأيه ويهتدون بهديه . فلما قابله الرجل عزّ على يونس أن يعود إليها وقد ظن أن الله خذله فيها مرتين: الأولى حين لم يمنع عنه الملك لما تحداه . والثانية حينما أخذهم بالعذاب فمنعه الله عنهم فكان كذاباً في نظرهم .

رفض يونس العودة إلى قومه ، وكان حانقاً غاضباً عليهم فقال الرجل: لقد آمنوا جميعاً وأصبحوا على ما كنت ترجو لهم فما سبب غضبك وحنقك؟

قال يونس: كنت أود أن يحقق الله نبوءتي فينزل العذاب بقومي ثم يكرمني برفعه عنهم على يدي: قال الرجل ولكنك فررت من المدينة قبل أن يحيق بها العقاب . ولو أنك نفذت أمر الله ومكثت بينهم الليلة الأخيرة من الأربعين يوماً لكان كشف العذاب بوساطتك أنت فقال يونس أذهب عني فلا أطبق أن اسمع بقومي بعد ذلك الخذلان المرير . ثم ابتعد عن الرجل مغاضباً فهجر الديار ومشى في الأرض على غير هدى . وكل همه أن يبتعد عن هذه الديار حتى لا يرى وجه إنسان عرفه من قبل .

في هذا الموقف يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿**ولا تكن كصاحب الحوت**﴾ لأنه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم وقال رسول الله ﷺ: « كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسح تحتها تفسح الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضباً » .

ظل يونس مهاجراً حتى أشرف على ساحل البحر فوجد سفينة مشحونة بالمسافرين وعروض التجارة وعرض على ربانها أن يحمله فيها ولما رأى الربان على وجهه الصلاح والتقوى قال في نفسه لعل الله يكرمني بإكرام هذا الرجل الصالح فيمنع عن سفينتي أخطار البحر بسببه فأذن له بالركوب.

سارت السفينة أياماً وليالي. وكلما مرّت بجزيرة خرج أهلها يتبادلون معها عروض التجارة وتأخذ السفينة منها حاجتها من الماء والطعام ثم تقلع إلى غيرها تدفعها ريح هادئة طيبة، ثم جاءها ريح عاصف وخيم عليها سحاب أسود. فهاج البحر وثارت الأمواج فاضطربت الأحوال وذعر الركاب فرفعوا رؤوسهم إلى السماء بالدعاء لينجيهم الله من الكارثة وكان يونس يدعو معهم فرأى سحاباً يخرج منه دخان أسود وخاف خوفاً شديداً لأنه علم أن هذا الدخان هو نذير العذاب كما حصل لأهل نينوى وتذكر أنه خالف أمر ربه فخرج من المدينة وأراد هلاك قومه فابتلاه الله بالعذاب الذي أراده لهم. ألهم إن وجوده على ظهر هذه السفينة سيكون سبباً في كارثة تحل بالجميع، فأسرع يونس إلى ربان السفينة وقال له ان ما ترونه الآن من بوادر العذاب بسبب خطيئتي فألقوني في البحر يرفع الله عنكم الشر ـ فقال الربان أنك أصلح رجل فينا وما عهدناك إلا رجلاً صالحاً تقياً مخلصاً لله مسبحاً مستغفراً فالخطيئة من غيرك وسوف نستخير الله فنقترع بالسهام على المخطىء بيننا ونضحي به لسلامة الجميع.

أجريت القرعة ثلاثة مرات فأصابت يونس في كل مرة، وفي كل مرة كانوا يحجمون عن إلقائه في البحر، ولكن يونس تأكد أن الله قد ابتلاه واختاره، فألقى نفسه في الماء، وكان الظلام حالكاً والموج صاخباً فلم يستطع ركاب السفينة إنقاذه فأسفوا عليه وترحموا له، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿فساهم فكان من المدحضين﴾** .

الحوت يبتلع يونس:

أقبل الحوت فاغر فاه فابتلع يونس من بين الأمواج وعاد إلى مسكنه في قعر

البحر، فألهم الله الحوت أن يحافظ عليه، فلا يخدش له لحماً ولا يكسر له عظماً فبقي حيا في بطن الحوت بإذن الله - ولما انتهى به الحوت إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه ما هذا؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت أن هذا تسبيح، دواب البحر فأسف لما بدر منه من الغضب وأخذ يسبح الله ويستغفره حتى سمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بصورة غريبة - فقال تعالى: ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت - قالوا لقد كان عبدا صالحاً. يصعد له كل يوم عمل صالح وشفعوا له، فألهم الله يونس شفاعة الملائكة فنادى في الظلمات ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾.

روى سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«اسم الله الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى، دعوة يونس بن متى» فقلت يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم بجماعة المسلمين؟ فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة إذا دعوا بها. ألم تسمع قوله تعالى - فنادى في الظلمات - إلى قوله - وكذلك ننجي المؤمنين - لما دعا يونس وشفعت الملائكة.

استجابة دعاء يونس:

فلما دعا يونس ربه بدعوته المعروفة، وشفعت له الملائكة، استجاب الله دعاءه **﴿ولولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾**.

قبل الله توبة يونس وأمر الحوت أن يسرع به إلى البر فينبذه على الأرض بالعراء. وأخذ الحوت طريقه إلى الشاطىء ولفظه على البحر طريا ضعيفاً لا يتحمل حرارة القيظ ولا برد الليل كما ينزل الطفل من بطن أمه.

أنبت الله بجانبه شجرة من يقطين (أي شجرة قرع) مدت إليه فروعها فغطته أوراقها الطرية، وأرسل اليه دابة وحشية كانت ترضعه كل صباح ومساء حتى صلب عوده وعادت إليه قوته. فيبست الشجرة وجفت أوراقها فحزن يونس

علبها وبكى. فنزل اليه جبريل وقال له يا يونس: أتبكي على هلاك شجرة ولا تحزن على مائة ألف من قومك أردت إهلاكهم وغضبت لرحمة الله بهم؟ ـ فقال يونس: إني كنت من الظالمين.. قال جبريل: قم واذهب إلى قومك فهم لا يزالون ينتظرون عودتك إليهم. فقد عفا الله عنك وعنهم.

اتجه يونس إلى بلاد الموصل عائداً إلى قومه. فلما أشرف على نينوى جلس يعد نفسه للقاء قومه الذين رضي الله عنهم فأخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور الايمان، وطهرهم من آثامهم التي ارتكبوها في جهالتهم فكأنما ولدوا من جديد. فذكر أنه مثلهم قد مرت به أحوال مثل أحوالهم حتى إذا لفظه الحوت كان كأنما ولد هو ابضاً من جديد. فقال: ما اشبهني بقومي. وما أوسع حلم ربي وأقرب صفحه ورحمته

معجزة ليونس:

مر بيونس غلام يرعى الغنم، فقال من أين أنت يا غلام؟ قال أنا من قوم يونس فقال إذا رجعت اليهم، فقل لهم إنك لقيت يونس. فقال الغلام إن كنت يونس فأنت تعلم أنه إن لم يكن لي بينة قتلوني فمن يشهد لي؟ فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار إلى شاة من غنمه. فقال الغلام ـ فمرهم. قال لهم يونس: إذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له ـ فقالوا نعم ـ فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك.. إني قد لقيت يونس وأنه يقرأ عليكم السلام. فأمر الملك بقتله وقال كذبت. فقال: إن لي بينة فأرسلوا معي أحداً يشهد، فأرسلوا معه رجالاً فأتوا إلى البقعة والشجرة والشاة ـ وقالوا نناشدكم الله. هل أشهدكم يونس؟ قالوا نعم، فرجع القوم مذعورين، وقالوا للملك شهدت له الشجرة والأرض والشاة، فأخذ الملك بيد الغلام وأجلسه بجواره، ثم طار الخبر فانتشر بين سكان المدينة فخرجوا لاستقباله وعلى رأسهم الملك. فجاءوا يتبركون به ويظهرون له الطاعة والولاء فمكث فيهم بعد ذلك أربعين عاماً يعظهم ويهديهم،

ويندم على ما فرق في حق الله وحقهم ـ وكان دائماً يسبح الله بدعائه المعروف المأثور:

« لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » .

القصة في القرآن الكريم:

وقصة يونس في القرآن الكريم وفي السور والآيات الآتية:

ففي سورة الأنبياء قوله تعالى:

﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ :

وفي سورة الصافات قوله تعالى:

﴿وإن يونس لمن المرسلين. إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين. فالتقمه الحوت وهو مليم. فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون. فنبذناه بالعراء وهو سقيم. وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون، فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾

صدق الله العظيم

اخلاق زكريا عليه السلام

قال: ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء. فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيي مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾.

﴿ وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه. إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾
سورة الأنبياء

نسبه:

هو زكريا بن برخيا بن يوحنا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود ابن سليمان بن مسلم بن صديقة بن تاخور بن سلوم بن ثهفاساط بن أيبا بن رحبعم ابن سليمان بن داود عليهم السلام.

مولده:

ولد في مدينة بيت لحم بفلسطين، ولما كبر عاش في مدينة أورشليم.

أخلاقه :

كان زكريا عليه السلام رجلاً صالحاً تقياً رضياً خاشعاً، يدعو الله رغبة ورهبة مسارعاً في الخيرات، وذلك قوله الله تعالى فيه هو وزوجته : **﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾** .

نبوته :

عمل في خدمة بيت المقدس، وحرر نفسه له، ووهبها الله، فكان الحبر الكبير، والعابد المخلص. فبعثه الله نبياً ورسولا إلى بني إسرائيل. فكان يعظهم ويعلمهم أمور دينهم، ويقضي بينهم بالفتوى الشرعية، وكان صلباً في الدين لا يخاف فيه لومة لائم. وفي سبيل تمسكه بأحكام دينه ورسالته أوذي حتى قتل.

كفالته مريم عليه السلام:

عندما ولدت مريم ابنة عمران أم المسيح عليها السلام، أخذتها أمها إلى بيت المقدس لتودعها فيه، لأنها كانت قد نذرتها له، فأخذها أحبار البيت وأجروا القرعة على من يكفلها . فكانت القرعة على زكريا زوج خالتها، وذلك قول الله تعالى : **﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت رب أني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وأني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا﴾** في طفولتها وفي صباها حتى بلغت مبلغ النساء فكان يأتيها بطعامها وشرابها في كل يوم ـ وكان إذا دخل عليها في غرفتها ببيت المقدس وجد عندها رزقاً أي فاكهة في غير وقتها فكان يرى فاكهة الشتاء في فصل الصيف، وفاكهة الصيف في فصل الشتاء، فيقول لها : (يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله) من قطوف الجنة (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

زكريا يطلب من الله الذرية الصالحة:

كان زكريا عليه السلام قد بلغ من الكبر عتيا، واشتعل رأسه شيباً، وكانت سنه مائة وعشرين سنة وامرأته اليصابات عاقراً لم تلد وعمرها أصبح ثمانية وتسعين عاماً. وقد بلغ درجة اليأس من أن يكون له ولد وكان يخشى على بني إسرائيل أن يبتلوا بمواليه الذين يلون الرياسة فيهم بعده، لما يعلم من حالهم، وعدم استمساكهم بالشريعة فحفزه ما يراه من إكرام الله تعالى لمريم على أن يطرق باب الدعاء لله ليرزقه ذرية صالحة، ليذهب من الدنيا مطمئناً وكان يناجي ربه بما في نفسه. فأخبر الله عنه في قوله تعالى: **﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفياً قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربي شقيا. وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾** فناداه الله تعالى: **﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحي لم نجعل له من قبل سميا ـ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا؟ قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئاً. قال رب اجعل لي آية. قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾** .

فحاضت زوجة زكريا في يومها ثم حملت، فلما وضعت ابنها يحي ربّته تربية صالحة، فلما كبر عكف على عبادة الله وتقواه، وكان معظم حياته وأحواله الحزن والبكاء وكان لا يأكل ولا يشرب ولا يمل البكاء. فقال زكريا مناجياً الله: رب إني طلبت منك ولداً انتفع به وهذا مشتغل دائماً بالبكاء. فأوحى الله إليه يا زكريا. أنت قلت هب لي من لدنك وليا. والولي لا يكون إلا على هذه الصفة.

مقتل زكريا عليه السلام:

قال كعب الأحبار:

لما سمع زكريا أن ابنه يحي قتل وخسف بالقوم انطلق هارباً في الأرض حتى

دخل بستاناً عند بيت المقدس فيه الأشجار، فنادته شجرة يا نبي الله الى هنا. فلما أتاها انفتحت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها، فانطلق ابليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم. وقد أخذ الملك وأهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم: ما تلتمسون؟ قالوا: نلتمس زكريا، فقال ابليس أنه دخل هذه الشجرة. قالوا: لا نصدقك، قال: فهذه علامته وأراهم طرف رداء زكريا فصدقوه وأخذوا المناشير وعمدوا الى الشجرة فنشروها نصفين ونشروا معها زكريا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه، ثم سلط الله على ملوك وعظماء بني اسرائيل أخبث أهل الأرض من المجوس، فانتقم منهم بدم زكريا ويحيي فقتل منهم حوالي خمسين ألفاً.

اخلاق يحيى عليه السلام

قال رسول الله ﷺ : (ما من أحد يلقى الله عز وجل إلا وقد هم بخطيئة أو عملها إلا يحيي بن زكريا فإنه لم يهم ولم يعمل) رواه ابن عباس

قال الله تعالى: ﴿يا يحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا . وبرا بوالديه ولم يكن جباراً شقيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ سورة مريم

نسبه :

هو يحيي بن زكريا عليهما السلام، وينتهي نسبهما الشريف إلى سليمان بن داود ثم إلى النبي العظيم ابراهيم الخليل عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

مولده :

ولد يحيي عليه السلام في مدينة القدس في العام الذي ولد فيه المسيح عليه السلام في بيت لحم - إذ حملت فيه والدته إيشاع بنت فاقوذ أو الياصابات كما يسمونها أهل الكتاب زوجة زكريا عليه السلام وهي في سن الثامنة والتسعين من عمرها في الزمن الذي كانت مريم ابنة عمران ابنة أختها حنة بنت فاقوذ حاملة

فيه بعسى عليهما السلام ـ وقد قابلت أم يحيي ابنة أختها مريم وهي حاملة بعيسى فقالت لها يا مريم أحامل أنت؟ فقالت لها لماذا تقولين هذا ؟ قالت : اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك.. فحدث أن ولد يحيي قبل عيسى بستة أشهر ـ وكان يحيي أول من آمن بعيسى وصدقه في رسالته .

صفاته وأخلاقه :

كان يحيي عليه السلام من أجمل الناس وجها وصورة ، لين الجناح قليل الشعر قصير الأصابع ، طويل الأنف ، مقرون الحاجبين ، رقيق الصوت ، كثير الغيرة ـ قوياً في طاعة الله تعالى ، وكان أكثر الناس عبادة وطاعة وأحسنهم خلقاً وأعظمهم نبلا وفضلاً وكرماً ومحتداً ، وكان زاهداً حليماً لا يغضب ولا يحسد ولا يحقد . حصر نفسه وحبسها عن شهوات الدنيا وملذاتها حتى قتل . وقد سماه الله يحيي لأنه تعالى أحياه بالطاعة فلم يتغير ولم يهم بمعصية ، وقيل لأن الله أحيا قلبه بالإيمان والنبوة ، وقيل لأن الله أحيا به عقر أمه . وقيل لأنه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ـ وكان يحيي على أكمل أوصاف الصلاح والتقوى منذ صباه ـ وقد قال رسولنا الكريم في شأنه ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما (ما من أحد يلقى الله عز وجل إلا وقد هم بخطيئة أو عملها إلا يحيي بن زكريا فإنه لم يهم ولم يعمل) وقال أيضاً مروياً عن أبي هريرة رضي الله عنه (كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيي بن زكريا فإنه كان سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) .

نبوته :

قال الله تعالى : ﴿**يا يحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا**﴾ ثم أنبأه الله قبل أن يبدأ الثلاثين من عمره فكان يدعو الناس الى التوبة من الذنوب وكان يعمدهم في نهر الأردن للتوبة من الخطايا . وقد اعتمد منه المسيح وكان يقضي

بالفتوى بين بني إسرائيل في أحكام التوراة. ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس إلى عبادة الله ولما بعثه الله تعالى الى بني إسرائيل أمره أن يأمرهم بخمس خصال وضَرَب لكل خصلة منها مثلا .

١ ـ أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا .

وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبيداً ـ من خالص ماله ثم أسكنهم دارا له ودفع لهم ما لا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منهم ما يكفيه ثم يؤدون إليه فضل الربح . فعمد العبيد إلى فضل الربح فدفعوه إلى عدو سيدهم .

٢ ـ وأمرهم بالصلاة:

فقال إن مثل المصلي كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضي حاجته ، فلما دخل عليه الرجل التفت يميناً وشمالا ولم يهتم بحاجته فأعرض الملك عنه ولم يقض حاجته .

٣ ـ وأمرهم بالصدقة:

وقال: مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم، فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي إليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فأعتق .

٤ ـ وأمرهم بذكر الله عزّ وجل:

وقال: مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فإذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم، كذلك ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان.

٥ ـ وأمرهم بالصيام:

وقال: مثله كمثل الجنة، لا تدع عدو الصائم يصل اليه وتستر الصائم من جميع أعدائه .

مقتل يحي عليه السلام:

قال النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه: (من هوان الدنيا على الله أن يحي

ابن زكريا قتلته امرأة).

قال السدي بإسناده: كان ملك بني إسرائيل يكرم يحي بن زكريا ويدنيه من مجلسه ويستشيره في أموره ولا يقطع أمراً دونه - وأن الملك رغب في أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحي فنهاه عن ذلك وقال لست أرضاها لك فإنها لا تحل لك - فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحي حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثياباً جميلة وزينتها وطيبتها وألبستها الحلى الفاخرة وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض له. فإذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فإذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحي بن زكريا في طشت أو في طبق. ففعلت ذلك وأخذت تسقيه وتتعرض له. فلما أخذ منه الشراب. راودها عن نفسها فقالت لا.. حتى تعطيني ما أسألك. قال وما تسألنني؟ قالت أن تبعث الي برأس يحي بن زكريا في هذا الطبق.. قال ويحك سلني غير هذا.. فلما أبت عليه بعث فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول (لا تحل لك) فلما أصبح وجد دم القتيل يغلي على الارض فأمر بتراب فألقي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلي ويلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي. فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم وأذهب ريحهم وضيع ملكهم ومجدهم وقتل وسبى منهم مائة وسبعين ألفاً من بني إسرائيل، لأنهم كانوا يقتلون أنبياءهم ويعصون الله ما أمرهم ويعبثون في الأرض الفساد.

- وفي الخبر: أن الشمس بكت على يحي أربعين صباحاً، وكان بكاؤها أن طلعت وغربت حمراء.

- ويروى أن يحي سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم إلى الجنة - عليه وعلى نبينا العظيم الصلاة والسلام.

اخلاق المسيح عليه السلام

هو عبد الله ومسيحه وكلمته وروحه ونبيه ورسوله

عيسى بن مريم عليه السلام

جاء المسيح إلى الدنيا ليعلمها التسامح والمحبة والسلام ولكن اليهود رفضوه لأنه جاء بفضائل لا يطيقونها ومشرق عصر عظيم لا يسمح لنقائصهم بالأزدهار .

كان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام. باسم الله الأعظم وبتأييد الروح القدس يبرىء الأكمه (أي الأعمى) والأبرص والأجذم ويحيي الموتى وكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكان يداوي المرضى والزمني والمبتلين، والمجانين ويقمع الشياطين بدعاء الإيمان، وكان باسم الله يمشي على وجه الماء في البحر، وكان أشعث الرأس صغير الوجه، زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، حريصاً على عبادة الله، لقبه الله في القرآن الكريم بالمسيح تعظيماً لشأنه وكناه بابن مريم إعلاء لقدر أمه، وأرسله بمملكة الفضائل والأخلاق والرحمة لبني اسرائيل ليهديهم ويردهم عن الضلال ويخلصهم من آثامهم وشرورهم، ويطهرهم من أرجاسهم، ولكنهم عموا وضلوا فهموا بقتله وصلبه فرفعه الله إلى السماء .

وكان دعاؤه عليه السلام الذي يشفي به المرضى ويحيي به الموتى بإذن الله: اللهم أنت إله من في السموات وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك، وأنت جبار من في السموات وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك؛ وأنت ملك من في السموات وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك، وأنت حكم من في السموات

وحكم من في الأرض لا حكم فيهما غيرك، قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء. أسألك بأسمائك الكرام فإنك على كل شيء قدير.

نسبه:

هو عبد الله ومسيحه، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه ونبيه ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام، وأمه مريم العذراء بنت عمران العالم الإسرائيلي إمام وخطيب بيت المقدس، وهو آخر أنبياء الله ورسله من بني إسرائيل، كما أن آخر الأنبياء والرسل من بني الإنسان جميعاً هو محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم عدة مرات، تارة باسمه العلمي وهو عيسى، وتارة بكنيته الكريمة وهي (ابن مريم) تعظيماً لشأن أمه الطاهرة الشريفة وتارة بلقبه السمح وهو المسيح إعلاء لقدره بين قومه اليهود المنكرين الجاحدين الذين تحولوا إلى المادية وتجاوزوا حدود الله ولم يراعوا كتابه فأحلوا حرامه وحرموا حلاله فأرسله إليهم بمملكة الفضائل ومكارم الأخلاق والرحمة والإخلاص ليهديهم إلى الطريق السوي ويردهم عن الضلال ويخلصهم من آثامهم ويطهرهم من أرجاسهم وشرورهم. ولكن الشيطان استبد بهم وأعماهم عن الحق وعن الطريق المستقيم فوضعوا أصابعهم في آذانهم، ولما ضاقوا به ذرعاً. هموا بقتله وصلبه. فرفعه الله إليه.

مولده:

ولد عيسى عليه السلام بقرية بيت لحم، القريبة من بيت المقدس بفلسطين في ليلة الاثنين التاسع والعشرين من شهر كيهك في أيام الملك هيرودوس ملك اليهود التابع لقيصر أوغسطس ملك الروم، وكان ذلك بعد مضي إثنتين وأربعين سنة من تملك الملك الذي اتخذ مركز رياسته بلاد الشام وقبل مولد النبي محمد عليه الصلاة والسلام بمدة ٥٧١ سنة.

مريم عليها السلام:

كانت مريم الفتاة الصالحة العابدة التقية تقوم بخدمة بيت المقدس، الذي كان يخطب فيه والدها عمران العالم الإسرائيلي قبل وفاته. وكانت هي وابن عمها وخطيبها: يوسف النجار الشاب اليهودي الصالح البار الحليم يسقيان الماء للرواد والمصلين. وكانت ملائكة الله تأتي إلى مريم حينما تنفرد في خلوتها بالكنيسة فتخبرها باصطفاء الله تعالى لها، وتطهيرها من الأرجاس والأدناس وتحثها على الاجتهاد في العبادة والقنوت، وذلك قول الله تعالى في سورة آل عمران: **﴿وإذ قالت الملائكة: يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ـ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾** .

وحينما بلغت مبلغ النساء وهو ما بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة من عمرها جاءتها الحيضة فتركت الكنيسة حتى تطهر وذهبت إلى بيت خالتها الياصابات أخت أمها حنة وهي زوجة النبي زكريا وأم النبي يحيى عليهما السلام ـ ولما انتهت الحيضة أرادت الاغتسال فخرجت إلى عين ماء فجاءها جبريل عليه السلام في صورة شاب أمرد جميل الشكل مضيء الوجه مجعد الشعر، وقال لها في أدب وهدوء: السلام عليك يا مريم: إن الله بعثني إليك لأهب لك غلاماً زكياً ـ فاضطربت من كلامه وفزعت منه وأخذها الرعب وظنته أنه يريد بها سوءاً ـ فاستعاذت بالله منه لعله يكون شيطاناً فقالت: (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي مؤمناً ومطيعا ـ فقال لها. لا تفزعي يا مريم (إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا) إن الله يبشرك بمولود ذكر سيكون نبياً لبني اسرائيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين وأنه يكلم الناس في المهد وكهلا، وسيعلمه الله الكتاب والحكمة والتوراة ويعطيه الإنجيل وأنه سيكون آية للناس على قدرة الله تعالى ورحمة منه لعباده ـ وذلك قول الله تعالى في سورة آل عمران **﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلا**

ومن الصالحين﴾ فأخذها العجب من ذلك حيث قالت: « رب أنىّ يكون لي ولد ولم يمسسني بشر. قال كذلك الله يفعل ما يشاء. إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والأنجيل » فلما قال لها ذلك وعلمت علم اليقين أنه أمر من عند الله. قالت لتكن مشيئة الله يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير فأخذ جبريل بذيل قميصها ونفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام ـ إذ خلق الله من هذه النفخة عيسى عليه السلام.

فقال تعالى: **﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾**.

وقال تعالى: **﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾**.

حملت مريم بعيسى، وظهر حملها وثقل فكانت تتوارى عن أعين الناس كاتمة أمرها وسرها، وقد لحظ ذلك عليها خطيبها وابن عمها وزميلها في الكنيسة والعبادة يوسف النجار.. فاستعظم الأمر. فحدثته نفسه أن يقتلها.. فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: لا تقتلها إنه من روح القدس. فتركها متعداً عنها. فأمر في منامه بإمساكها ورعايتها وخدمتها لأنها طاهرة وشريفة وبريئة من الدنس. فجند نفسه لخدمتها ورعايتها.

أما مريم فكانت مطمئنة لأن جنينها كان يكلمها وهو في بطنها ويطمئنها ويقول لها: إنني ابنك عيسى عبد الله ومسيحه وروحه وكلمته التي ألقاها إليك ـ ولما قرب نفاسها ذهبت ثانية الى بيت خالتها أم يحيى فاستقبلتها مكرمة إياها ـ وبين عشية وضحاها فاجأها المخاض. فالتجأت الى جذع نخلة ليسترها عن أعين الناس ولتتكىء عليه ليساعدها على الولادة.

وكان جذع نخلة يابسة لس فيها سعف ولا خضرة ولا بلح ـ وقد حسبت في ذلك الوقت ألف حساب لما هي قادمة عليه من لوم اللائمين من قومها وما سيرمونها

به من الفاحشة . فأحاطتها الملائكة من كل جانب .

وحينما اشتد الأمر عليها قالت: (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . .) فناداها جبريل (ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) فلما ولدت عيسى عليه السلام أجرى الله لها نهراً من ماء عذب يكون بارداً اذا شربت منه وفاتراً إذا اغتسلت منه أو غسلت، وأحيا لها النخلة فأخضرت وأثمرت وأرطبت .

قال ابن عباس: ضرب عيسى، وقيل جبريل عليه السلام برجله الأرض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد جفافها فتدلت غصونها وأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لمريم ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً فكلي واشربي وقري عينا﴾ ولا يحزنك ما يقولون فإذا رأيت من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً عن الكلام فلن أكلم اليوم أنسيا .

عندئذٍ قام يوسف النجار ابن عمها مسرعاً بعمل حظيرة من الحطب حولها لتسترها من أعين الناس وليقيها شر البرد لأن الولادة كانت في ليلة شاتية، باردة وهي ليلة الاثنين الموافق التاسع والعشرين من شهر كيهك القبطي . وفيها يشتد البرد ثم أشعل بجوارها ناراً لتستدفيء بها وأحضر لها ما يلزمها من الطعام، ثم قامت مريم بعمل اللازم من تخليص المولود وربطه بأقمطة، ولفه بلفافات من القماش ووضعته في مزود بجوار النخلة (والمزود هو المكان الذي يوضع فيه أكل الغنم ويقال له مدود) ثم شكرت الله تعالى على وليدها المبارك الذي سيكون له شأن عظيم كما أخبرتها الملائكة بذلك ـ وأخذت تعد نفسها لملاقاة أهلها وقومها بابنها الذي ولد من غير أب .

رجوع مريم بعيسى إلى قومها :

لما هيأ الله تعالى لمريم عليها السلام أمرها وسهل لها أسباب ولادتها ـ طمأنها على نفسها وحياتها ووليدها وأرشدها إلى ما يجب أن تفعله وتقوله للناس فقال لها:
يا مريم: كلي من الرطب وأشربي من الماء العذب وقري عينا وطيبي نفساً ولا تخافي

أحداً من قومك. فأما ترين من البشر أحداً فسألك عن ولدك أو لامك عليه فقولي إني نذرت للرحمن صوماً عن الكلام فلن أكلم اليوم إنسياً؛

ولما اطمأن قلبها وقويت روحها قامت معتمدة على الله وعلى ذراعيها وليدها البكر ومعها ابن عمها وخطيبها وراعيها يوسف النجار فتوجهت إلى أهلها وهي تدعو الله أن يعينها عليهم ويلهما الإجابة المقنعة لهم ـ وهنا كلمها وليدها عيسى فقال لها أبشري يا أماه اني عبد الله ومسيحه ولا تخافي الناس فإن الله معك.

وما إن سمع الناس بأمر مريم وولادتها العجيبة وزاد عجبهم أنها من بيت صالح وعائلة تقية، وأنها هي بالذات عابدة صالحة من أبوين كريمين حتى هرعوا زرافات ووحدانا إلى منزل أهلها وهناك تجمعوا في ذهول وسخط ـ فلما دخلت مريم على أهلها وقومها ومعها الوليد على ذراعيها فريق بكى وفريق حزن وفريق أخذ الحجارة وأراد أن يرجمها بها فتجلت رحمة الله عليها فأنقذتها فقالوا لها: ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ أي بدعا منكراً وشيئاً فظيعاً ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً﴾ أي زانية.. فمن أين لك بهذا الولد؟ فأشارت لهم إلى عيسى أن كلموه. فغضبوا وقالوا: ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟﴾.

ولكن زكريا عليه السلام قام من فوره ووجه كلامه لعيسى وقال له: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فنطق عيسى عليه السلام فقال: (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّا).

هنا ظهرت الآية الكبرى، والمعجزة التاريخية الأولى من نوعها: مخلوق من غير أب اكتملت به العناصر الأربعة الدالة على قدرة الله وهي:

العنصر الأول: خلق الله آدم من غير أب ولا أم.

العنصر الثاني: خلق الله حواء من آدم فهي من أب ولا أم لها .
العنصر الثالث: خلق الله الإنسان من أب وأم .
العنصر الرابع: خلق الله عيسى من أم ولا أب له .

ولما رأى القوم هذه المعجزة الجديدة والآية الالهية الكبرى بولادة عيسى بغير أب وكلامه في المهد واعلانه للناس بأنه عبد الله ونبيه ـ إنصرفوا إلى بيوتهم وأعمالهم حاملين في صدورهم الإيمان بالله والحب لمريم، والأمل الكبير في المسيح عيسى بن مريم .

عيسى أنطقه الله في المهد ليدرأ التهمة:

سأل جماعة من النصارى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالوا له: إن من كرامات نبينا عيسى أنه نطق في المهد . . فهل نطق نبيكم وهو في المهد؟ فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إن نبيكم عيسى عليه السلام كان في حاجة إلى النطق في المهد لأنه ولد ولادة غير عادية من غير أب فخاف من التهمة فأنطقه الله معجزة له من أجل نبوته ورسالته ليدرأ التهمة عن نفسه وعن أمه أمام مجتمعه والأجيال القادمة . . أما نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه فكان في غير حاجة إلى النطق وقت ولادته لأنه ولد ولادة طبيعية من أم وأب معروفين .

رحيل مريم وعيسى إلى مصر:

طير خبر ولادة عيسى العجيبة وكلامه العظيم في المهد إلى هيرودوس ملك بني إسرائيل، فخاف على نفسه وملكه ومجده . فأخذ يعمل جهد طاقته على قتله والتخلص منه قبل أن يكبر ويستفحل أمره . فبعث الله ملكاً إلى يوسف النجار وأخبره بما أراد هيرودوس، وأمره أن يهرب بالغلام وأمه إلى مصر، وأوحى الله إلى مريم أن الحقي بمصر، فإن هيرودوس إذا ظفر بابنك قتله . فإذا مات هيرودوس فارجعي إلى بلادك ـ حينئذٍ حمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى

وصل إلى مصر. وهي الربوة التي قال الله تعالى عنها: ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ فأقامت مريم بابنها بمصر اثنتي عشرة سنة، وكانت تعيش من صناعتها لغزل الكتان والصوف ومن التقاطها سنابل القمح وبقايا القطن في أثر الحصادين والجماعين حتى م لعيسى اثنتا عشرة سنة

عيسى في الكتاب:

روي عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه أنه لما كبر عيسى أرسلته أمه إلى الكتاب بمصر، فأجلسه الشيخ وقال له: قل: بسم الله الرحمن الرحيم: فقالها عيسى فقال الشيخ: قل أبجد. فرفع عيسى رأسه وقال له هل تدري ما أبجد؟ فأراد الشيخ أن يضربه. فقال: يا سيدي الشيخ لم تضربني؟ إن كنت لا تدري فاسألني حتى أفسر لك. فقال الشيخ فسره لي. فقال: الألف لا إله إلا الله، والباء بهجة الله، والجيم جلال الله، والدال دين الله ـ أما هوز: فالهاء هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل لأهل النار، والزاي زفير أهل جهنم، أما حطي: فهي حطت الخطايا عن المستغفرين ـ وكلمن. فمعناها كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته، وسعفص يعني صاع بصاع والجزاء بالجزاء، وقرشت يعني تقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم ـ فأرسل الشيخ إلى أمه، وقال لها خذي ابنك، فإنه قد علم ولا حاجة له إلى معلم.

وقد أخبر الحسين بن محمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (إن عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم: قل بسم الله. فقال عيسى وما بسم الله؟ قال المعلم لا أدري؟ قال عيسى: الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكة الله عزّ وعلا).

عيسى في صباه:

قال عطاء: أسلمت مريم ابنها عيسى بعدما أخرجته من الكتاب إلى أعمال

شتى ، فكان آخر ما دفعته إلى الصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه . فـاجتمـع عنده عدة تياب مختلفة الألوان . فعرض للرجل سفر ـ فقال لعيسى إنك قد تعلمت حرفتنا . وأنا خارج اليوم في سفر ، وسأعود بعد عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الألوان ـ وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يصبغ به فأحب أن تكون فارغاً منها وقت قدومي . ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جباً واحداً على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب . وقال لها كوني بإذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ فوجد الثياب كلها في جب واحد : فقال يا عيسى ما فعلت؟ قال : فرغت منها . قال أين هي ؟ قال : هي في الجب ـ قال كيف تكون كلها في جب واحد ؟ لقد أفسدت تلك الثياب . قال قم فانظر ـ فقام فأخرج عيسى ثوباً أصفر وثوباً أخضر وثوباً أحمر إلى أن أخرجها على الألوان التي أرادها . فتعجب الصباغ وعلم أن ذلك من الله عز وجل ، وقال انظرو' إلى ما فعل عيسى . . قال وهب بن منبه . بينما كان عيسى يلعب مع الصبيان في مصر إذ وثب غلام على صبي فوكزه برجله فقتله وألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم ، فاتهمه الناس بقتله وأخذوه وانطلقوا به إلى القاضي ، فقالوا له هذا قتل صبياً كان يلعب معه ، فسأله القاضي عن ذلك ـ فقال عيسى لا أدري من قتله ـ وما أنا بصاحبه . . . فأرادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام ـ فقال لهم : إئتوني بالغلام . فقالوا له وما تريد منه ؟ قال : أريد أن أسأله عمن قتله ؟ قالوا وكيف يكلمك وهو ميت؟ فأخذوه إلى مقتل الغلام ـ فدعا عيسى ربه بدعاء طيب فأحياه الله تعالى ، فقال له عيسى من قتلك ؟ قال : قتلني فلان . ودل على الذي قتله ـ فقال الناس له من هذا ؟ قال لهم عيسى بن مريم ـ قالوا له ومن معه ؟ قال لهم القاضي . ثم مات الغلام من ساعته . فرجع عيسى إلى أمه وتبعه خلق كثير من الناس . فقالت له أمه : يا بني لا تفعل مثل هذا أبداً أمام الناس ، حتى لا يحسدوك . فقال لها إن الله حافظنا وهو أرحم الراحمين .

رجوع مريم وعيسى إلى فلسطين:

لما مات هيرودوس ملك بني إسرائيل بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام، أوحى الله تعالى إلى مريم يخبرها بموت هيرودوس، ويأمرها بالرجوع هي وابنها مع ابن عمها يوسف النجار إلى الشام، فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا في قرية الناصرة بجبل الجليل. وبهذه القرية سميت النصارى.

عيسى يحاج علماء بني إسرائيل.

نشأ عيسى عليه السلام نشأة محمودة لا غبار عليها، غيوراً على الدين منذ صغره، حريصاً على تفهم أحكامه وأسراره، فكان يجالس العلماء ويناقشهم ويسائلهم ويجيبهم، وكان علماء الهيكل يعجبون من أمره ومناقشته القوية لهم في أمر الناموس، وكانوا يقولون كيف أوتي مثل هذا العمل، وهو حدث صغير ولم يتعلم القراءة والكتابة.

عيسى يحاج الشيطان:

الحديث الآتي من الآية ٣ ص ٤٠ أشعيا يوضح لنا محاجة عيسى عليه السلام للشيطان.

وأن المسيح قد جاء إلى يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا عليهما السلام) واعتمد منه في الأردن، وأن الروح القدس نزل عليه مثل حمامة. ثم أن المسيح بعد ذلك صام في البرية أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب، ثم جرب من الشيطان على أثر صومه إذ أحس بالجوع، فأتاه الشيطان وقال له ـ إن كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً؟ فقال له: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله. فأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أن يوصي ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصطدم بحجر رجلك. فقال له: « مكتوب أيضاً لا تجرب الرب

إلهك » فأخذه إبليس على جبل عال وأراه ممالك الأرض ومجدها وقاله له: أعطيك هده جميعها إن خررت وسجدت لي. فقال له المسيح: (اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد. فذهب عنه الشيطان).

آيات الله على عيسى:

١ ـ تأييد الله إياه بروح القدس:

قال الله تعالى: **﴿وأيدناه بروح القدس﴾** وقال تعالى في سورة المائدة: **﴿إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيـدتـك بـروح القـدس﴾** والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى: **﴿وروح منه﴾** **﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾**.

قال السدي وكعب الأحبار: روح القدس جبريل. وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه، يعينه ويسير معه حينما سار إلى أن صعد به إلى السماء، وقال سعيد بن جبير وعقيد بن عمر. روح القدس هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ويرى الناس هذه العجائب.

٢ ـ تعليم الله إياه الإنجيل والتوراة:

وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى: **﴿وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾**.

٣ ـ خلقه الطير من الطين:

كما قال الله تعالى مخبراً عنه: **﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وقال تعالى: ﴿اذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني﴾** فكان يصور من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش، لأنه أكمل الطير خلقاً فيكون أبلغ في القدرة لأن له ثدياً وأسنانا ويلد ويحض ويطير.

قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرونه، فإذا غاب عنهم سقط ميتاً:

ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى . وليعلم أن الكمال لله عز وجل .

٤ ـ إبراء الأكمة والأبرص:

كما قال تعالى: ﴿**وتبرىء الأكمة والأبرص بأذني**﴾ والأبرص هو الذي به وضح، والأكمة هو الذي ولد أعمى ولم يرَ ضوءاً قط، وقد خصّ الله عيسى بهذين النوعين، لأنهما أعجزا الأطباء في عهد عيسى، والمعروف أن عهده كان يتميز بالطب فأراهم الله المعجزة من جنس عملهم ومهارتهم .

ويروى أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان . فقال ما هؤلاء؟ فقيل له هؤلاء قوم طلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم، فقال: ما دعاكم الى هذا ؟ قالوا: خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى . فقال أنتم العلماء والحكماء والأحبار والأفاضل، إمسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا: باسم الله . . ففعلوا ذلك فإذا هم جميعاً قيام ينظرون .

٥ ـ إحياء الموتى بإذن الله:

قال الله تعالى: ﴿**وإذ تخرج الموتى بإذني**﴾ فقد أحيا أمواتاً كثيرين منهم:

(١) العاذر: وكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك العاذر يموت وكان بينه وبين بيت صديقه العاذر مسيرة ثلاثة أيام ـ فحضر اليه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقالوا لأخته إنطلقي بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره وهو صخرة مطبقة فقال عيسى: اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرتهم أني أحيي الموتى بإذنك فأحي العاذر . فقام العاذر وخرج من قبره وعاش وخلف أولاداً .

٢ ـ ابن العجوز:

وقصته: أن عيسى عليه السلام كان قد مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال لهم: إن في هده المدىنة كنزاً، فمن يذهب ليستخرجه لنا؟ فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه القرية أحد غ ىب إلا قتله أهلها .

فقال لهم عيسى مكانكم. فمضى حتى دخل المدينة، فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار. غريب أطعموه.. فقالت له امرأة عجوزاً أما ترضى أن أدعك ولا أذهب بك إلى الوالي حتى تقول اطعموني. فبينما عيسى بالباب إذ أقبل الفتى ابن العجوز، فقال له عيسى أضفني ليلتك هذه. فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى أما إنك لو فعلت ذلك فإني أزوجك بنت الملك فقال له الفتى إما أن تكون مجنوناً وإما أن تكون عيسى بن مريم ـ فقال له أنا عيسى ـ فأضافه وبات عنده ـ فلما أصبح قال له إذهب إلى الملك وادخل عليه وقل له جئت أخطب ابنتك. فإنه سيأمر بضربك واخراجك، فمضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له ذلك فأمر بضربه وأخرج. فرجع الفتى إلى عيسى فأخبره الخبر فقال له: إذا جاء الغد فاذهب إليه واخطب ابنته فإنه ينالك بأقل من ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضربه ضرباً أخف من الضرب الأول. فرجع إلى عيسى فأخبره فقال: ارجع إليه سوف يقول لك أنا أزوجك إياها على حكمي. وحكمي هو قصر من ذهب وفضة ـ وما فيه من ذهب وفضة وزبرجد. فوافق على ذلك فإذا بعث معك أحد فاخرج به فإنك سوف تجده فلا تحدث فيه شيئاً ـ فدخل الفتى على الملك فخطب ابنته ـ فقال الملك أتصدقها بحكمي؟ قال وما حكمك؟ فحكم بالذي سماه عيسى. فقال نعم رضيت فابعث معي من يقبض ذلك ـ فبعث معه رجالا فسلم اليهم ما سأله الملك. فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحالة فقال له عيسى: اني آثرت ما يبقى على ما يفنى فقال الفتى أنا أيضاً. فسأتبعك وأصحبك وقال لهم هذا هو الكنز الذي قلت لكم فكان معه ابن العجوز الى أن مات ومرّ به وهو ميت على سريره فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فعاش وخلف أولاداً.

(٣) ابنة العشار:

والعشار رجل كان يأخذ العشر، فلما ماتت ابنته قال لعيسى أتستطيع أن

تحييها لنا وقد ماتت بالأمس؟ فدعا عيسى الله عز وجل فحيت وعاشت وبقيت وولد لها .

(٤) سام بن نوح:

قال الحواريون لعيسى وهو يصف لهم سفينة نوح ـ لو بعثت لنا من شهد السفينة فيصفها لنا . فقام ودعا الله وضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح . إن شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الأعظم وضرب التل بعصاه وقال أحي بإذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه . فقال أوقد قامت القيامة؟ قال لا ولكني دعوتك باسم الله الأعظم وكان سام بن نوح قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب فأخبرهم بخبر السفينة . ثم قال له عيسى مت ـ فقال بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت . فدعا الله عيسى عليه السلام فتم ذلك .

(٥) عزير عليه السلام:

اجتمع اليهود وقالوا لعيسى عليه السلام أحيِ لنا عزيراً وإلا أحرقناك بالنار وجمعوا حطباً كثيراً من حطب الكرم وكانوا في ذلك الوقت يدفنون موتاهم في صناديق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوباً على ظهره اسمه فحاولوا فتحه فلم يستطيعوا أن يفتحوه فرجعوا إلى عيسى فناولهم إناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الغطاء فأتوا بجثة عزير إلى عيسى وهي في أكفانها سليمة صحيحة لأن الأرض لا تأكل أجسام الأنبياء . فنزع عيسى الكفن عنه وأخذ ينضح على جثته الماء ثم قال: أحي يا عزير بإذن الله تعالى . فإذا هو جالس أمام الناس . فقال الناس يا عزير ما تشهد لهذا الرجل؟ يعنون عيسى قال: اشهد أنه عبد الله ورسوله . فقالوا يا عيسى أدع ربك يبقيه لنا ليكون بين أظهرنا حيا . فقال عيسى : ردوه إلى قبره فردوه إلى قبره ـ فعاد ميتاً فآمن بعيسى بن مريم من آمن وعاند من عاند .

قال الكلبي: كان عيسى يحيي الموتى بيا حي يا قيوم.

(٦) الإخبار بالغيبيات:

قال الله عز وجل إخباراً عنه: ﴿**وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم**﴾ قال الكلبي: لما أبرأ عيسى الأكمه والأبرص وأحيا الموتى: قالوا هذا ساحر. فاذا كان نبياً حقاً فليخبرنا بما نأكل وبما ندخر. فكان يخبر الرجل بما يأكل في غذائه وبما يأكل في عشائه.

(٧) المشي على الماء:

روي أن عيسى عليه السلام خرج في بعض سياحاته ومعه رجل قصير من أصحابه، وكان هذا الرجل ملازماً لعيسى. فلما انتهى عيسى إلى البحر قال بسم الله بصحة ويقين. فمشى على وجه الماء. فقال الرجل القصير: باسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء. فداخله العجب. فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء. فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير؟ فأخبره بما خامر خاطره، فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه. فمقتك الله على ما قلت. فتب إلى الله مما قلت، فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها.

لو عرفنا الله:

حدث الإمام أبو منصور الخمشاوي بإسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: (لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلـغ ذلك أحد قط قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا.. قالوا يا رسول اللهقد بلغنا أن عيسى بن مريم مشى على الماء ـ قال نعم. ولو ازداد خوفاً ويقيناً لمشى على الهواء ـ قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر؟ فقال إن الله تعالى أبلغ شأناً من أنْ يبلغ أحد شأنه.

(٨) نزول المائدة:

قال الله تعالى في سورة المائدة: **﴿إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء. قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ـ قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ـ قال الله تعالى إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾** .

روى قتادة عن جابر بن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنه قال: نزلت المائدة عليها خبز ولحم، وذلك أنهم سألوا عيسى طعاماً يأكلون منه ولا ينفذ. فقال لهم إني فاعل ذلك وإنها مقيمة لكم ما لم تخبثوا أو تخونوا فإن فعلتم ذلك عذبتم ـ قال فما مضى يومهم حتى خانوا وخبنوا » وفي بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل أبداً فرفعت ومسخوا قردة وخنازير.

وقال ابن عباس:

قال عيسى لبني اسرائيل صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوماً. فلما فرغوا ـ قالوا يا عيسى ادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء ـ فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال: (اللهم ربنا أنـزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها ـ عليها سبعة أرغفة وسبعة حيتان ووضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

وقال سليمان الفارسي:

إن الحواريين سألوا عيسى أن ينزل عليهم الموائد صنوفاً فقال: (اللهم ربنا أنزل علبنا مائدة من السماء) .. الآية.

قال الترمذي:

فأنزل الله عليهم سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون إليها ، ولما نظرها عيسى قال: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها نقمة . فما زالت تنزل قليلاً حتى هبطت بين يدي عيسى عليه السلام ، وكان عليها منديلا مغطى به السفرة ، فعند ذلك خرّ عيسى ساجداً لله تعالى وسجد معه الحواريون ، ثم قالوا له قم واكشف عن هذه السفرة حتى تنظر ما فيها ، فقام عيسى وكشف عنها ، فإذا بها سمكة مشوية وعند رأسها شيء من الخل والملح وعند ذنبها خمسة أرغفة كبار كل رغيف عليه شيء من الزيتون والتمر ونحو ذلك من سائر البقول .

وكان الحواريون الذين سألوا عيسى اثنى عشر شخصاً ـ فقال شمعون وهو أكبر الحواريين ـ يا عيسى إن هذه السمكة من طعام الدنيا أم من طعام الجنة ؟

فقال عيسى: ما أخوفني عليكم من عذاب الله تعالى:

قال الحواريون لعيسى يا روح الله: أنت أول من يأكل من السمكة . فقال لهم معاذ الله إنما يأكل منها من سأل عنها . فخاف الحواريون أن يأكلوا منها خشية أن تكون فتنة .

عند ذلك نادى عيسى عليه السلام الفقراء والمساكين وأصحاب العاهات من العميان والمقعدين ليأكلوا منها فأكلوا حتى اكتفوا عن آخرهم . وكانوا نحو ألف وثلثمائة شخص فبرىء منها أصحاب العاهات جميعهم بإذن الله ـ فلما سمع الناس بذلك جاءوا إليها من سائر البلدان وازدحموا على الأكل منها ـ فلما رأى عيسى ازدحام الناس عليها جعلها أقساماً بينهم . فللفقراء يوم وللأغنياء يوم . فكانت هذه المائدة تنزل كل يومين مرة، كما كانت ناقة صالح تختفي يوماً وتظهر يوماً واستمرت على ذلك أربعين يوماً .

(٩) رفعه إلى السماء:

قال الله تعالى: **﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي، ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الي يوم القيامة ثم إلي**

مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ سورة آل عمران .

وقال تعالى في سورة النساء : **﴿وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما﴾** .

روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا : قد جاء الساحر ابن الساحر الفاعل ابن الفاعلة . فقذفوه وأمه . فلما رأى عيسى ذلك دعا عليهم فقال : (اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت . وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي . اللهم إلعن من سبني وسب أمي) فاستجاب الله دعاه ومسخ الذين سبوه وأمه خنازير ـ فلما رأى ذلك رئيس اليهود وأميرهم فزع وخاف دعوته ـ فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وأخذوا يسألونه . فقال يا معشر اليهود إن الله يبغضكم ، فغضبوا من كلامه غضباً شديداً وثاروا عليه ليقتلوه . فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام فادخله خوخة وواراه في سقفها ورفعه الله تعالى إليه منها فأمر رئيس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فليطانوس لم يرَ عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتلهم فيها . فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه .

وقال مقاتل : إن اليهود وكلوا بعيسى رجلاً يكون عليه رقيباً يدور معه حيثما دار فصعد عيسى جبل الجليل فجاءه الملك فرفعه إلى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى عليه فأخذوه وكان يقول لهم : إني لست عيسى ، إني فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه .

وقال السدي :

إن عيسى رفع من كنيسة السليق ببيت المقدس ، ولما رفع إلى السماء كساه الله أوصاف الملائكة وقطع عنه لذة المأكل والمشرب وصار ملكاً سماوياً أرضياً . وهو حي إلى الآن وهذا مذهب أهل السنة .

وقال الحافظ بن كثير وابن جرير وغيرهما من المفسرين: إن المسيح لما قرب وقت القبض عليه، ندب أصحابه ثلاث مرات طالباً أن يتقدم واحد منهم ليفديه ويقدم نفسه إلى اليهود عوضاً عنه ويكون جزاؤه الجنة. فلم ينتدب له في كل مرة إلا واحد بعينه فلما جاء أعداؤه ألقى الله على صحبه الذي انتدب له شبح المسيح ـ وصار بحيث لا يشك أحد من أصحابه في أنه يسوع. فألقي القبض عليه وصلب وقتل: ويقول موسى جار الله (أنه يهوذا الأسخر يوطي).

(١٠) نزول عيسى إلى الأرض في آخر الزمان:

أخبر أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

(الأنبياء أخوة أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وإني أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لأنه لم يكن بيني وبينه نبي. ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً. وأنه نازل على أمتي وخليفتي عليهم. فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين مخصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويهل من الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ملبياً بهما جميعاً ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين، ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضاً ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي علبه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر).

وأخبر محمد بن القاسم الفارسي بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (إذا أهبط الله المسبح عيسى يعيش في هذه الأمة ما يعيش ثم يموت في

مدينتي هذه ويدفن إلى جانب قبر عمر فطوبى لأبي بكر وعمر يحشران بين نبيين).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: (كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها؟).

نبوة عيسى عليه السلام:

قال الله تعالى في سورة الصف: **﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين. ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ـ هو الذي أُرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾** .

لما طال الأمد على بني إسرائيل وقست قلوبهم. حرفوا شريعة الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام وانحرفوا عن الطريق الواضح وما أقامهم عليه الأنبياء من الطريق المستقيم وخرجوا إلى الإفراط والتفريط، ويتضح ذلك من قول الله لنبيهم أشعيا: (حقاً إن هذا الشعب يعبدني باطلاً لأنهم أبطلوا شريعتي التي أعطاهم إياها عبدي موسى ويتبعون تقاليد شيوخهم) وأيضاً كما وضحه المسيح نفسه فيما قاله برنابا في الفصل الثاني والثلاثين (أجاب يسوع. وأنا أسألكم لأي سبب أبطلتم شريعة الله لتحفظوا تقاليدكم).

فكانت أحوالهم تستدعي إصلاحاً قوياً ومصلحاً مخلصاً. فأرسل الله سبحانه وتعالى اليهم المسيح عيسى بن مريم نبياً ورسولاً وهو في الثلاثين من عمره ليخلصهم جميعاً مما هم فيه من انحطاط وتأخر وضلال وأعطاه الإنجيل هدى ونوراً ليدعوهم إلى عبادة الله والرجوع إليه ومصدقاً للتوراة التي سبقته على يد موسى عليه السلام ومبشراً بشريعة جديدة ورسول جديد اسمه أحمد.

فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة. ولكنه جاءهم مكملاً لشريعة موسى لا ناقداً ـ جاءهم ليزحزحهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقظهم على فقهها والمراد منها ويأمرهم بمراعاتها وبما يجذبهم إلى عالم الروح بتحري كمال الآداب.

فرسالته من الناحية الأولى امتداد لرسالة موسى عليه السلام وشريعته مكملة لشريعة موسى ومن الناحية الثانية جاء ليبشر بنبينا الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى ذلك فالمسيح هو آخر أنبياء بني اسرائيل.

واذا نظرنا إلى ما جاء به المسيح عليه السلام لم نجده سوى عظات ونصائح وحكم وأمثال يريد بذلك توجيه نظر جماهير اليهود الى إخلاص العبادة لله تعالى والتخفيف من مادياتهم التي غرقوا فيها إلى آذانهم وترك الربا والنفاق وأن يلتبسوا بروح الدين الذي ورثوه عن موسى كما جاءهم وأن يطلقهم من أسار الكهنة الذين يعوجون الشريعة ويتخذونها مستغلاً لإشباع جشعهم ويحرفونها عن مواضعها ارضاء لشهواتهم وملذاتهم ويبشرهم باقتراب ملكوت السموات أي الشريعة الإلهية الدائمة وبمجيء محمد ﷺ.

وإذا نظرنا إلى الإنجيل نجده لم يجيء بشيء من الأحكام إلا في القليل النادر كوجوب الاقتصار على زوجة واحدة وعدم تزوج من طلق أمرأة بامرأة سواها وعدم تزوج المطلقة بآخر، وعدم جواز الطلاق الا بعلة الزنا ـ وأمر بالعفة وبالغ في ذلك حتى قال: ان من نظر الى امرأة ليشتهيها يكون زانياً بها في قلبه، ونهى عن الأخلاق الرديئة كالمكر والخداع وأكل الأموال بغير حق، والربا والنفاق وشدد النكير على المتصفين بالأخلاق الرديئة من اليهود والكتبة وأفاض في ذلك إفاضة عظيمة ـ ولو أن إنجيل المسيح قد وصل إلى الناس كما كتبه ـ وهو ﷺ لا يكتب الا ما أنزل الله اليه لكان هذا الكتاب من أهم الكنوز وأغلاها قيمة ولكنه للأسف غير موجود.

إن الإنجيل الذي أتى به المسيح وذكره القرآن الكريم في آياته وسوره لا وجود له الآن بين الناس على وجه الأرض. فقد سلمه عليه السلام إلى تلاميذه الحواريين وأمرهم أن يبشروا به. ولكنهم أضاعوه. وأبدلوه بقصص ألقوها في هيئة أناجيل كثيرة بأسمائهم مثل انجيل متى وانجيل لوقا وانجيل برنابا وانجيل مرقص.. الخ.

وهذه الأناجيل المؤلفة قصصها بمعرفة تلاميذ تلاميذه لم تسلم من التحريف والزيادة والحذف.

صفاته وأخلاقه:

كان عيسى عليه السلام رجلاً أشعث الرأس صغير الوجه أحمر مائلا إلى البياض وكان سياحاً في الأرض زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة حريصاً على عبادة الله يمشي حافياً، لم يتخذ بيتاً ولا متاعاً ولا ثياباً ولا حلية ولا رزقا إلا قوت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح ـ وكان يبرىء الأكمه والأبرص والأجذم ويشفي المرضى والزمني والمبتلين والمجانين ويحيي الموتى بإذن الله، وكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون لغد، وكان يمشي على وجه الماء في البحر.

لقبه الله في القرآن الكريم بالمسيح (أي الملك) تعظيماً لشأنه في الحياة وكناه بابن مريم إعلاء لقدر أمه الطاهرة الشريفة، وأرسله إلى بني اسرائيل المنحلة في أخلاقها ودينها بمملكة الفضائل والأخلاق والرحمة والإخلاص والسماحة ليهديهم الى الهدى والنور ويردهم عن الضلال ويخلصهم من آثامهم وشرورهم ويطهرهم من أرجاسهم ولكنهم رفضوا هذه المملكة الإلهية الروحية وفضلوا عليها مملكة الربا والنفاق والخداع والغدر والضلال والكفر.

وكان دعاؤه عليه السلام الذي يشفي به المرضى ويحيي به الموتى بإذن الله هو:

(اللهم أنت إله من في السموات وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك، وأنت جبار من في السموات وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك، وأنت ملك من في السموات وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك، وأنت حكم من في السموات وحكم من في الأرض لا حكم فيهما غيرك. قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء. أسألك بأسمائك الكرام، فإنك على كل شيء قدير).

نبوة عيسى ثلاث سنين:

أوحى الله سبحانه وتعالى إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وهو في الثلاثين من عمره، ورفعه إلى السماء من بيت المقدس في ليلة القدر من شهر رمضان وهو إبن ثلاث وثلاثين سنة ـ فكانت نبوته ثلاث سنين ـ وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين ـ وكانت مدة حياتها نحو خمسين سنة . . . ودفنت ببيت المقدس ـ وقبرها يزار إلى الآن

إنجيل برنابا يقول:

عيسى يبشر بنبوة محمد ورسالة الإسلام

(جاءت طائفة من اليهود إلى عيسى يسألونه عن اسم النبي الذي يبعث آخر الزمان. فقال عيسى: إن الله تعالى خلق النبي في آخر الزمان، ووضعه في قنديل من نور وسماه: محمداً. قال يا محمد إصبر لأجلك خلقاً كثيراً، وهبت لك كله فمن ضي منك فأنا راض منه، ومن يبغضك فأنا بريء منه. فإذا أرسلت يفوق كلامك على كل الكلام، وشريعتك باق إلى أبد الآبدين) انجيل برنابا صفحة ١٤٩.

وننقل إلى القارىء الكريم الفصلين السادس والتسعين، والسابع والتسعين من

إنجيل برنابا المترجم من اللغة الإنجليزية إلى العـربيـة للـدكتـور خليـل سعـادة، صفحات (١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩) مطبعة المنار .

الفصل السادس والتسعون

(١) ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال: « قف يا يسوع، لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكيناً لأمتنا » .

(٢) أجاب يسوع: « أنا يسوع بن مريم من نسل داود، بشر مائت، ويخاف الله وأطلب ألا يعطى الإكرام والمجد إلا لله » .

(٣) أجاب الكاهن: « أنه مكتوب في كتاب موسى: أن إلهنا سيرسل لنا مسيا: الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة الله .

(٤) لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق . هل أنت مسيا الله الذي ننتظره »؟ .

(٥) أجاب يسوع: « حقاً إن الله وعد هكذا، ولكني لست هو، لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي » .

(٦) أجاب الكاهن: « إننا نعتقد من كلاك وآياتك على كل حال: أنك نبي وقدوس الله . (٧) لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها واسرائيل أن تفيدنا حباً في الله بآية كيفية سيأتي مسيا » .

(٨) أجاب يسوع: « لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي: أني لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الأرض، كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلاً: بنسلك أبارك كل قبائل الأرض . (٩) ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله (١٠) فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً . (١١) حينئذٍ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله . (١٢) الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام، وعبدة الأصنام . (١٣)

وسننتزع من الشيطان سلطته على البشر . (١٤) وسيأتي برحمة الله ، لخلاص الذين يؤمنون به . (١٥) وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً .

الفصل السابع والتسعون

(١) « ومع أني لست مستحقاً أن أحل سير حذائه ، قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه » .

(٢) فأجاب حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين : لا تزعج نفسك يا يسوع قدوس الله ، لأن هذه الفتنة لا تحدث في زمننا مرة أخرى . (٣) لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمر ملكي أن : لا أحد يدعوك فيما بعد الله أو ابن الله » .

(٤) فقال حينئذ يسوع : « إن كلامكم لا يعزيني ، لأنه يأتي ظلام حيث يرجون النور . (٥) ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيّ وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره ، لأنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم . (٦) وإن ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحاً » .

(٧) أجاب الكاهن : « أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله ؟ » .

(٨) فأجاب يسوع : « لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله . (٩) ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني . (١٠) لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى إنجيلي » .

(١١) أجاب هيرودوس : « كيف أن مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل ؟ » .

(١٢) أجاب يسوع : « من العدل أن من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعنته .

(١٣) لذلك أقول لكم إن العالم كان يمتهن الأنبياء الصادقين دائماً ، وأحب

الكاذبين كما يشاهد في أيام ميشع وأرميا ، لأن الشبيه يحب شبيهه » .

فقال حينئذ الكاهن : « ماذا يسمى مسيا وما هي العلامة التي تعلن مجيئة ؟ » .

(١٤) أجاب يسوع : « إن اسم مسيا عجيب ، لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي .

(١٥) قال الله تعالى : (إصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجماً غفيراً من الخلائق التي أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً . (١٦) ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة ، حتى ان السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبداً . (١٧) إن اسمه المبارك محمد) .

(١٨) حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : « يا الله أرسل لنا رسولك . يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم » .

كلمات مضيئة

من مواعظ المسيح وأخلاقه

١ ـ موعظة الجبل:

لما رأى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام الجموعَ ـ صعد إلى الجبل ـ فلما جلس تقدم إليه تلاميذه فقال لهم معلماً:

طوبى للمساكين بالروح؛ لأن لهم ملكوت السموات، طوبى للحزانى؛ لأنهم يتعزون، طوبى للودعاء؛ لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطاشى إلى البر؛ لأنهم يشبعون، طوبى للرحماء؛ لأنهم يرحمون، طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعي السلام؛ لأنهم أبناء الله يدعون، طوبى للمطرودين من أجل البر؛ لأن لهم ملكوت السموات، طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين، افرحوا وتهللوا؛ لأن أجركم عظيم في السموات. فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم.

أنتم ملح الأرض. ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح. لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس، أنتم نور العالم. لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل. ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت. فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات.

لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل،

فإني ـ الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى. وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات، فإني أقول لكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات.

قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل: ومن قتل كان مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه رفا يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم ـ فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذابح، وأذهب أولاً اصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدم قربانك، كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق. لئلا يسلك الخصم إلى القاضي ويسلمك القاضي إلى الشرطي فـلقى في السجن ـ الحق أقول لك: لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير.

قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك؛ لأنك خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله في جهنم، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم.

وقبل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق، ءأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني. ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني.

أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث، بل أوف للرب أقسامك، وأما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا البتة. لا بالسماء؛ لأنها كرسي الله، ولا بالأرض لأنها موطيء قدمه ولا بأورشليم؛ لأنها مدينة الملك العظيم، ولا تحلف برأسك لأنك لا

تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء ـ بل لكن كلامكم نعم نعم، لا لا ـ وما زاد على ذلك فهو من الشرير.

سمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ومن سألك فآعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.

سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنبكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إلبكم ويطردونكم ـ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين. ويمطر على الأبرار والظالمين لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم. أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا؟ فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل.

احترزوا من أن تضعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم. وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات. فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع وفي الأزقة لكي يمجدوا من الناس.. الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم ـ وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ـ لكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجاريك علانية.

ومتى صليت فلا تكن كالمرائين. فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع؛ لكي يظهروا للناس. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم.. وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك، وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية، وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم فلا تتشبهوا

بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه.

فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك لتأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. حبرنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين - فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم ومتى صممتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين - الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم - وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك، واغسل وجهك؛ لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية.

لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك ايضاً، سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً. فإن كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون؟

لا يقدر أحد أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر - لا تقدرون أن تخدموا الله والمال. لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام. والجسد أفضل من اللباس. انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحرى أفضل منها، ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة ولماذا تهتمون باللباس تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزل ولكن أقول لكم: إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها، فإن كان عشب الحقل

الذي يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جداً بلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان. فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكل وماذا نشرب أو ماذا نلبس؟ . فإن هذه كلها تطلبها الأمم؛ لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها ـ لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم ـ فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره.

لا تدينوا لكي لا تدانوا. لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم، ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها ـ أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وها هي الخشبة في عينك ـ يا مرائي أخرج أولاً الخشبة من عينك. وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك. لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا دوركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم.

اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له، أي إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً وإن سأله سمكة يعطيه حية ـ فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذي في السموات يهب خيرات للذين يسألونه. فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم لأن هذا هو الناموس والأنبياء.

ادخلوا من الباب الضيق، لأنه واسع الباب، ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه، ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه.

احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنباً، أو من الحسك تيناً هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة. وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً

ردية، لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار. فإذا من ثمارهم تعرفونهم.

٢ ـ مواعظ أخرى:

قال عليه الصلاة والسلام:

(١) ويل لصاحب الدنيا، يموت ويتركها، وتغره ويأمنها، وتخذله ويثق بها، وتخونه ثم يقبل عليها.

ويل للمغترين بالدنيا، وقد أرتهم ما يكرهون، وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما بوعدون يا معشر الحواريين: أرضوا بقليل الدنيا مع سلامة الدين. كما رضي أهل الدنيا بقليل الدين مع سلامة الدنيا!.

(٢) سأل رجل من بني إسرائيل المسيح يوماً فقال له: (أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟) فأجابه:

« لماذا تدعوني صالحاً..؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد، وهو الله تعالى. أنت تعرف الوصايا. لا تزن.. لا تقتل.. لا تسرق.. لا تشهد بالزور.. لا تسلب.. أكرم أباك وأمك» فقال الرجل يا معلم هذه كلها حفظتها منذ حداثتي.. فأجابه المسيح: «يعوزك شيء واحد.. أذهب بع مالك وأعط الفقراء».

(٣) ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟.

(٤) إن فرح السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً، لا يحتاجون إلى توبة.

(٥) من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن فيكم خادماً.

(٦) ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

(٧) ابحثوا عن الحق.. فالحق يحرركم.

(٨) أنا خبز الحياة .

(٩) الله محبة .

(١٠) أنا ما جئت لأدعو أبرار للتوبة بل خطائين .

(١١) ما جئت لأهلك أنفس الناس بل لأخلص .

(١٢) من ليس علينا .. فهو منا .

(١٣) من أعطى كثيراً .. يطلب منه كثير .

(١٤) كل مملكة منقسمة على نفسها تخرب .

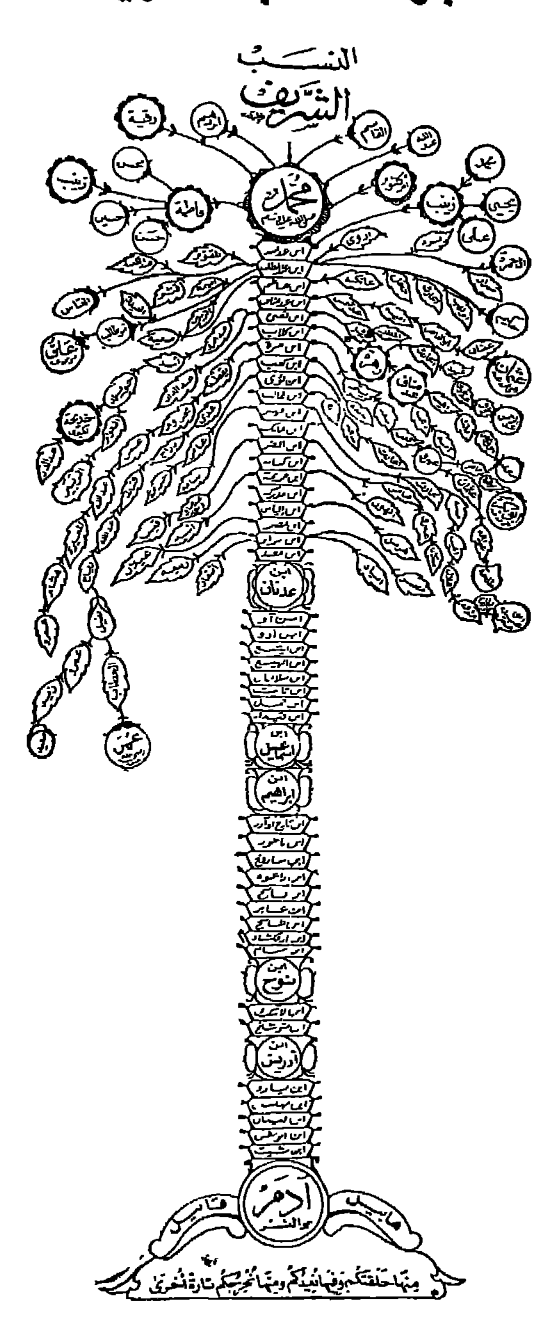
(١٥) إذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا ، لأنه لا بد أن يكون هذا أولاً ولكن لا يكون المنتهى سريعاً ..

(١٦) طوبى للمتواضعين في الدنيا . هم أصحاب المنابر يوم القيامة ، وطوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا ، هم الذين ، يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله يوم القيامة .

آخر كلمة قالها المسيح:

آخر كلمة قالها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هي : سلاماً أترك لكم .

شجرة النسب الشريف



اخلاق نبي الرحمة المهداة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى مثنياً على نبيه محمد ﷺ ومخاطباً له: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ . وقال تعالى: ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾ . وقال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ . وقال تعالى: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله**﴾ . وقال تعالى مخاطباً أمة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ . وقال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ . وقال تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ .

وقال ﷺ : « أدبني ربي فأحسن تأديبي ». وقال: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، ـ إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق ـ إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » وقال: « أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة » وقال: « أرسلني الله للناس كافة ، وأرسلني رحمة للعالمين ». أرسله الله سبحانه وتعالى بالهدى ودين الحق وسلحه بمحاسن الفضائل ومكارم الأخلاق وأيده بمعجزة القرآن العظيم فحفظه وطبقه وعلمه وبينه وامتزج به روحاً وقلباً وجسماً وتخلق بأخلاقه فامتزج به القرآن عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً ، ومن كان خلقه القرآن العظيم ـ مأدبة الله في الأرض ـ كان أسوة حسنة وكان على خلق عظيم .

كان رسول الله ﷺ أكثر الناس شجاعة ، وإقداماً ، وأحسنهم عقلاً وخلقاً ، وأجودهم خيراً وفضلاً ونبلاً ، واعظمهم حياء وتواضعاً ، وألينهم جانياً وحديثاً ،

وكان أعلم الناس وأشدهم خشية لله تعالى .

كانت حياته كلها لله . فكان قمة في كل شيء: في العلم، والحلم، والصدق، والأمانة، والوفاء، والعدل، والرحمة، والإخلاص، والإحسان، والخير، والتقوى، والفضائل، والأخلاق، والتربية المتكاملة الشاملة لجوانب العقيدة والأخلاق والتشريع .

تخلق بأخلاق أكمل كتاب رباني، فكان أكمل رسول، وكان أجود الناس كفاً وأجرأهم صدراً، وأصدقهم لهجة، وأوفاهم ذمة والينهم عريكة وأكرمهم عشرة .

قال ﷺ : « إن الله عزّ وجل . اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم » .

كنت نبياً وآدم بين الماء والطين . إني عبد الله وخاتم النبيين . وأن آدم لمنجدل في طينته . إني دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى، ورؤيا أمي .

أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . . ألا إن الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين . فجعلني من خير الفرقتين ثم جعلهم قبائل، فجعلني من خير قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلني من خيرهم بيتاً، وأنا خيركم بيتاً ونفساً » .

أنا محمد، وأنا أحمد، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، و لحاشر، والمقفى، ونبي الملاحم » .

نسبه الشريف:

خطب النبي ﷺ فقال: « أنا محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن

عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، ابن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان وعدنان. سمي بهذا الاسم لأن أعين الجن والإنس كانت إليه، وأرادوا قتله، وقالوا: لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من سوس البشر، فوكل الله به من يحفظه.

أما نسب ما بعد عدنان، فقد إختلف العلماء فيه، ومن العلماء من كره رفع النسب بعد هذا كالإمام مالك، ولكن علماء تاريخ الأنبياء يقولون: إن عدنان هو بن آو، بن أود، بن اليشع، بن الهيسع، بن سلامان، بن ثابت، بن حمل، بن قيذار، بن اسماعيل، بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ـ ثم ينتهي نسبه إلى نوح، ثم إلى إدريس، ثم إلى آدم، عليهم الصلاة والسلام.

تعريف النسب:

عبد الله: هو والد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وكان أصغر أولاد عبد المطلب وأحبهم إليه، وهو الذبيح الثاني المفدى بمائة من الإبل، وذلك أن عبد المطلب كان قد نذر حين لقي من قريش ما لقي من حفر زمزم ـ لئن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة، فلما تكامل بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم إئتوني. ففعلوا، فدخل بهم على هبل. في جوف الكعبة وكان عند هبل قداح سبعة، وهي الأزلام التي كانوا يتحاكمون إليها. فلما استقسم بالقداح خرج القدم على ابنه عبد الله، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى أساف ونائلة ليذبحه. فقامت إليه قريش من أنديتها ومنعته، وأشارت عليه أن يذهب إلى المدينة، فإن بها عرافة لها تابع فيسألها عن ذلك، ويفعل ما تأمره به من الذبح أو غيره. فانطلقوا حتى أتوها بالمدينة، ولما أخبروها الخبر استمهلتهم إلى

الغد حتى تسأل تابعها، ولما عادوا إليها في اليوم التالي قالت لهم: قد جاءني الخبر. كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل - قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم. فلما رجعوا قربوا عبد الله وعشرا من الإبل، فخرج القدح على عبد الله.. فزادوا عشراً فخرج القدح على عبد الله أيضاً. فلم يزالوا يزيدون عشراً عشراً ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة. ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل. فعندئذٍ قالت قريش لعبد المطلب: لقد رضي ربك يا عبد المطلب فقال: لا، حتى أضرب عليها بالقداح ثلاث مرات، فضربوا ثلاثاً، وفي كل مرة يقدح القدح على الإبل فنحرت. ثم تركت لا يصد عنها إنسان.

وكان عبد الله صورة، طبق الأصل، من أبيه عبد المطلب، ولو أمهله الزمن لتولى مناصب الشرف التي كانت بيد عبد المطلب، وكان شعاره الذي التزمه طيلة حياته ممثلاً في قوله: «أما الحرام فالممات دونه» وتقول له فاطمة الخثعمية: «إني لأعرف فيك نسك أبيك».

وإذا نظرنا إلى رسول الله ﷺ من ناحية والده وأسلافه ومن ناحية والدته وأخواله. فإننا نجدهم من أشرف بيوت مكة وأكرمها وأسماها خلقاً، وعراقة أصل.

عبد المطلب:

اسمه شيبة الحمد. لشيبة كانت في رأسه، ولكثرة جوده وكرمه وكنيته: أبو الحارث هو أكبر أولاده - وسبب تسميته بعبد المطلب: أن أباه هاشماً في إحدى المرات التي مر فيها بالمدينة في طريقه إلى الشام للتجارة تزوج سلمى بنت عمر الخزرجية من بني النجار فولدت ابنها شيبة في منزل أبيها بالمدينة، ولما بلغ سبع

سنين وكان أبوه قد مات بغزة أخذه عمه المطلب إلى مكة ـ وكان قد أردفه على راحلته وهو بهيئة رثة . فكان إذا سئل عنه قال هو عبدي، حياء من أن يقول هو ابني لهيئته الرثة ، فلما رأته قريش خلف عمه ظنوه عبده، فقالوا: عبد المطلب، فاشتهر بذلك ـ وساد عبد المطلب في قريش ،صارت له السقاية والرفادة بعد عمه المطلب، وهو الذي جدد حفر بئر زمزم بعد أن كانت مطمورة من عهد جرهم، فأصبح يسقي الحاج من زمزم، ويحمل الماء من زمزم إلى عرفة فيسقيهم، وكانت زمزم سقياً من الله .

لقد أتى عبد المطلب هاتف في المنام عدة مرات، فأمره بحفر بئر زمزم ووصف له موضعها فقيل له: (احفر طيبة)، فقال: (وما طيبة؟) فلما كان اليوم الثاني أتاه فقال له: (احفر برة) فقال: (وما برة؟) فلما جاء اليوم الثالث وهو نائم في مضجعه ذلك قال له: (أحفر المضنونة) فقال: (وما المضنونة؟) أين لي ما تقول؟ فلما كان اليوم الرابع أتاه في منامه فقال له: (احفر زمزم) قال: (وما زمزم؟) قال: لا تنزح ولا ىزم، تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم ـ فلما حدد لها موضعها، غدا عبدالمطلب، بمعوله ومسحاته، وحفر هو وابنه الحارث حتى وصل إلى الماء فكانت زمزم .

وكان عبد المطلب من حكماء العرب، ومن حكام قريش وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها: كالمنع من نكاح المحارم. وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموؤودة: ويصف المؤرخون عبدالمطلب فيقولون: « كان أحسن قريش وجهاً، وأطول جسما. وأوفر حلماً، وأجود كفاً، وابعد الناس عن كل موبقة تفسد الرجال، لم يره ملك قط إلا كرمه وشفعه، وكان سيد قريش حتى مات ـ وهو أول من زين أبواب الكعبة بالدهب من غزالتي الذهب اللتين وجدهما في زمزم عند حفرها، وقد عاش مائة وأربعين سنة

هاشم:

اسمه عمرو وأمه عاتكة بنت مرة بن هلال، وسمي هاشماً لأنه كان يهشم

الثريد مع اللحم لقومه في سني الحرب، وهو أول من سن رحلتي الشتاء والصيف. فكانت رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى الشام وغزة، وكان هاشم رجلاً شريفاً طموحاً ذكياً عريض الثراء: «وكان إذا حضر الحج قام في قريش فقال: «يا معشر قريش إنكم جيران الله، وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله، يعظمون حرمة بيته، فهم ضيف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به وحفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره: فأكرموا ضيفه وزواره».

عبد مناف:

ومناف اسم الصنم الذي يقال له مناة، وأصل اسمه المغيرة، وأمه حي بنت خليل، آخر من ولي البيت من خزاعة، وكان قد رأس في زمن أبيه ولقب بعبد مناف؛ لأن أمه أخدمته صنماً اسمه مناة، ثم إن أباه رآه يشبه عبد مناة بن كنانة فحوله عبد المناف.

ومما يذكر بالنسبة لعبد مناف: أن رسول الله ﷺ اقتصر عليه حين أنزل الله تعالى عليه قوله: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ فإنه حينما نزلت هذه الآية الكريمة واجتمع اليه بنو عبد مناف تلبية لندائه قال لهم:

«إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وأنتم الأقربون من قريش وإني لا أملك لكم من الله حظاً، ولا من الآخرة نصيباً، إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله، فأشهد بها لكم عند ربكم وتدين لكم بها العرب وتذل لكم بها العجم».

قصي:

اسمه زيد، وسبب تسميته قصياً: أن أمه تزوجت بعد وفاة أبيه بربيعة بن حزام. فأقام مع أمه عند زوجها ببلاد قضاعة. وهي بلاد بعيدة عن قومه وبلاده - فسمي قصياً أي بعيداً بسبب ذلك. ثم لما كبر عاد إلى مكة، وجمع قريشاً من

مختلف البلاد وأزاح يد خزاعة عن البيت، وأجلاهم عن مكة، وصار رئيس قريش على الإطلاق. وكانت إليه الرفادة والسدانة والحجابة واللواء. وهو الذي سن السقاية، كما أنه هو الذي أسس دار الندوة، وهو أول من أحدث وقيد النار بالمزدلفة، ليهتدي إليها من يأتي من عرفات، وهو كذلك أول من أحدث الرفادة، وهي إطعام الحجاج أيام الموسم إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم ففرض على قومه ذلك حيث قال لهم في إحدى خطبه: «يا معشر قريش: إنكم جيران بيت الله وأهل مكة أهل الحرم وإن الحجاج ضيوف الله وزوار بيته، وهم أحق بالضيافة فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم»، ففعلوا، فكانوا يخرجون لذلك في كل عام من أموالهم خراجاً فيدفعونه إليه فيضعه طعاماً للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الإسلام.

ثم جرى في الإسلام بعد ذلك مدة طويلة وفي صيرورة ولاية البيت إليه اقوال منها: أن قصياً لما تزوج حي بنت حليل جعل حليل هذا ولاية البيت إلى ابنته حي واستناب عنها أبا غيشان (من خزاعة) وكان رجلاً سكيراً، فاشترى منه قصى ولاية البيت بزق خمر، وقعود. فكان يقال: (أخسر من صفقة أبي غيشان). ولما رأت خزاعة ذلك اشتدوا على قصى فاستنصر أخاه فقدم بمن معه وكان بينهم ثم تداعوا إلى التحكيم، فتحاكموا إلى يعمر بن عوف الذي حكم بأحقية قصي في البيت.

كلاب:

وكلاب اسمه حكيم، وسمي كلاباً، لحبه كلاب الصيد، وكنيته أبو زرعة وهو أول من حلى السيوف بالنقد.

مرة:

وكنيته أبو يقظة.

كعب:

وكنيته أبو هصيص، وهو أول من قال: (أما بعد) وأول من جمع يوم الجمعة الذي كانت قريش تسميه يوم العروبة ـ فكان يجمع قريشاً يومها، فيخطبهم ويذكرهم، ويبشرهم بمبعث النبي عليه الصلاة والسلام وأنه من ولده فكان يقول: (أما بعد، فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا: ليل ساج أو نهار ضاح ـ والأرض مهاد، والسماء بناء، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، والأولون كالآخرين، فصلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم، فهل رأيتم من هالك رجع؟ أو ميت نشز.. الدار أمامكم والظن غير ما تقولون. حرمكم زينوه وعظموه، وتمسكوا به، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم وكان بين موت كعب ومبعث النبي ﷺ خمسمائة وستون سنة.

لؤي:

أمه سلمى بنت عمر الخزاعي وهو أخو تيم الأدرم، ولؤي تصغير لأي، بوزن عصا وهو الثور الوحشي.

غالب:

وأمه ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة وهو أخو الحارث ومحارب.

فهر:

اسمه قريش وإليه تنتسب قريش فيما قاله جماعة، فما كان فوقه فكناني وأمه جندلة بنت الحارث بن مضاض الأصغر.

مالك:

كنيته أبو الحارث وأمه بنت سعد بن الظرب العدواني وسمي مالكاً لأنه ملك العرب.

النضر:

اسمه قيس ولقب النضر لنضارة وجهه وجماله، وقد كان رأى في منامه أنه خرجت من ظهره شجرة خضراء، ولها أغصان من نور فجذبت إلى السماء فأولت بالعز والسؤدد. قال ابن هشام: النضر هو قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. وهذا القول أرجح مما سبق من أن قريشاً هو فهر.

كنانة:

لقب به لأنه كان ستراً على قومه، فالكنانة الساترة للسهام، حيث كان عظيم القدر يحج إليه العرب، لعلمه وفضله، وكنانة بكسر الكاف عدة قبائل، أبوهم كنانة ابن خزيمة.

خزيمة:

تصغير خزمة. والخزمة واحدة الخزم، وهو شجر يتخذ من قشره الحبال، وكنيته أبو أسد، وكان مشهوراً بالكرم والفضل.

مدركة:

واسمه عمر وكنيته أبو هزيل، وتلقيبه بمدركة، لأنه كان قد أدرك كل عز وفخر كان في آبائه.

إلياس:

كنيته أبو عمرو، وهو أول من أهدى البدن للبيت ـ قيل إنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج، وسمي: إلياساً؛ لأن أباه كبر ولم يولد له على الكبر والياس، فسمي إلياساً.

مضر:

اسمه عمرو، وكانت له فراسة وقيافة (اتباع الأثر) ومن المأثور عنه قوله: «من يزرع شراً يحصده وخير الخير أعمله، واحملوا أنفسكم على مكروهها فيما يصلحها، واصرفوها عن هواها فيما يفسدها».

نزار:

قيل: إن أباه حين ولد رأى نور النبوة بين عينيه ففرح به وأطعم كثيراً، سماه نزاراً من النزر وهو القليل من الشيء.

معد:

كان في زمن بختنصر، وكان عمره وقتذاك اثني عشرة سنة، ولما سلط الله بختنصر على العرب حمل أرمياء بن حلقيا معداً معه إلى أرض الشام فنشأ هناك مع من بقي من بني إسرائيل بعد خراب بيت المقدس، وتزوج هناك ثم عاد إلى بلاده، بعد أن هدأت الفتن، وسمي معداً، لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل. ولم يحارب أحداً إلا ورجع بالنصر. وكنيته هي أبو قضاعة.

عدنان:

وإلى عدنان لم يختلف العلماء في هذا النسب وسمي عدنان، لأن أعين الجن والإنس كانت إليه، وأرادوا قتله وقالوا لو تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسوس البشر فوكل الله به من يحفظه.

حمله عليه الصلاة والسلام

لما حملت به آمنة بنت وهب، كانت تقول: «ما شعرت أني حملت به ولا وجدت له ثقلاً كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضتي وربما كانت ترفعني

وتعود . . . وأتاني آتٍ وأنا بين النوم واليقظة ؛ فقال لي : « هل شعرت أنك حملت ؟ » فكأني أقول ما أدري . فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وذلك يوم الاثنين . فكان ذلك مما أيقن عندي الحمل . ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي . أتاني ذلك الآتي ؛ وقال : « إذا وقع المولود على الارض فقولي أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً ، » فكنت أقول ذلك . وعند ولادتي له ، رأيت في منامي كأن نوراً خرج مني ، فأضاء قصور الشام كلها .

ويقول أبو جعفر محمد بن علي : « أمرت آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ أن تسميه (أحمد) وعند ولادته أسماه جده عبد المطلب (محمداً) » .

مولده ﷺ

ولد ﷺ في عام الفيل . أي بعد حادث الفيل بخمس وخمسين ليلة ـ وذلك في ليلة الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول الموافق اليوم العشرين من شهر أغسطس عام ٥٧٠ ميلادية . في مكة ، من أسرة شريفة النسب، عريقة الأصل، كريمة المحتد، جمعت فضائل العرب وترفعت عن رذائلهم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه أحمد والطبراني: « ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبىء يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة بوم الإثنين، وقدم المدينة يوم الإثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الإثنين .

رلد رسول الله ﷺ يتيماً فقد مات أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو في بطن أمه آمنة ، ولكنه وجد جده عبد المطلب بمثابة أب رحيم ـ فكان مولده ﷺ فرحاً لا يعد له فرح بالنسبة لجده عبد المطلب فعندما وضعته أمه ﷺ أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه ، فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت به أن تسميه . فاستقبله باستبشار وسرور ورأى فيه عوضاً عن أبيه عبد الله ، فكلأه بعنايته ورعايته ، ثم أخذه ودخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج إلى أمه فدفعه إليها وسماه محمداً وما كان يدري أنه في هذه التسمية مسير لا مخير . وأن محمداً مسجل عند ربه منذ القدم ، وأن آدم عليه السلام رأى مكتوباً على عرش الله . لا إله إلا الله محمد رسول الله : فقد ثبت أنه لما عصى آدم ربه بالأكل من الشجرة وأدرك أنه

وقع في المعصية استغفر ربه ودعاه قائلاً: «رب بحق محمد فاغفر لي، فقال الله عزّ وجل، لقد أقسمت عليّ بحبيب لدي فكيف عرفته؟ قال: وجدت اسمه مكتوباً على ساق عرشك فعرفت أنك لا تكتب اسمه إلا وهو مقرب لديك. فبه أسألك.. فقال الله تعالى: **حقاً إنه لحبيبي من نوره خلقتك وهو ابن من أبنائك.**

وثبت أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» وقال ﷺ: «قبض الله قبضة من نوره فقال كوني محمداً ثم خلق منه أرواح الملائكة والنبيين وأرواح الخلق ثم خلق الأرض والسموات»

لماذا سمي محمداً؟

لما ولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه قيل لجده عبد المطلب لم سميته محمداً؟ فقال: «لقد رأيت في منامي كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهري لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق.وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منا نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها وقد عبرت لي بمولود يكون من صلبي يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض؛ ولذلك سميته محمداً.

ولقد تحدث الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيما بعد عن أسمائه فقال فيما رواه الإمام أحمد: «أن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحى به الكفر، وأنا العاقب» وفي رواية أخرى «أنا محمد، وأنا أحمد، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، والحاشر، والمقفى، ونبي الملاحم».

واسم محمد اسم جديد على العرب لم يسم به أحد قبل سيدنا محمد ﷺ وقد أحس العرب بقرب مولده ونبوته قبل أن يولد عليه الصلاة والسلام. فلما قرب مولده أخذ العرب يسمون أولادهم بهذا الإسم رجاء أن يكون هو.

وروى البيهقي في الدلائل بسنده عن أبي الحكم التنوخي.. قال بعد كلام طويل..: «فلما كان اليوم السابع ذبح عنه جده عبد المطلب ودعا قريشاً. فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه، ما سميته؟ قال: سميته محمداً. قالوا ولم رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض».

حادث الفيل:

روى أن أبرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل النجاشي، بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج، فلم ينصرف العرب عن الكعبة فحلف ليهدمها فخرج بجيش كبير يتقدمه فيل عظيم، فلما اقترب من مكة خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ويرجع عن هدم الكعبة فأبى وتقدم بجيشه فأرسل الله عليهم طيراً مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيصعقه ـ ورد الله كيد أعداء بيته إلى صدورهم.

ومما قيل في هذا المقام أن أبرهة كان قد أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه فيها ـ فلما دخل عليه عظم في عينه، وكان رجلاً جسيماً، وسيماً، وقيل: هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، فلما ذكر حاجته قال له أبرهة: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدتني فيك حين كلمتني.. أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه (أي سيحميه).

وأشهر الأقوال: أن ولادته عليه الصلاة والسلام كانت بعد حادث الفيل بخمسين يوماً. ويقرب منه قول أبي جعفر الباقر أن مولده عليه السلام كان بعد هذا الحادث بخمس وخمسين ليلة ـ وذلك أن قدوم الفيل كان في منتصف محرم ـ

وكان بين هذا اليوم واليوم الثاني عشر من ربيع الأول ـ يوم مولده الشريف خمس وخمسون ليلة وقد حدد بعض المحققين يوم الميلاد باليوم العشرين من شهر نيسان ولعل ذلك هو المقصود لمن قال: إنه كان في العشرين من أغسطس سنة ٥٧٠ ميلادية .

رضاعه ﷺ

كان من عادة العرب أن يرضعوا أبناءهم خارج مكة، فيرضعونهم في الصحراء المنطلقة مكاناً وجواً ليشبوا في صحة جيدة جسماً وعقلاً ـ فأخذ عبد المطلب يلتمس لرسول الله ﷺ المراضع من بين المرضعات التي جاءت إلى مكة ليلتمسن الرضعاء . فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها: حليمة بنت أبي ذؤيب: فكان اسم أبيه الذي أرضعه عليه السلام هو الحارث بن عبد العزي، وكان إخوته من الرضاع هم عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وحذافة بنت الحارث .

وتتحدث السيدة حليمة بنت أبي ذؤيب، واشتهرت بحليمة السعدية، بأنها خرجت من بلدها ـ مع زوجها وابن لها صغير ترضعه ـ في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء وذلك في سنة شهباء لم تبق شيئاً .

قالت: فخرجت على أتان لي قمراء (خضراء اللون) معنا شارف لنا (ناقة حسنة) والله ما تبض (أي ترشح) بقطرة . وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، وكلنا كنا نرجو الغيث والفرج . . فخرجت على أتاني تلك حتى قدمنا إلى مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذ قيل لها إنه يتيم، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي . فكنا نقول: يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده؟ فكنا نكرهه لذلك . فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري .

فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. قال لا عليك أن تفعلي.. عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

قالت: فذهبت إليه فأخذته. وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، فلما أخذته رجعت به إلى رحلي: فلما وضعته في حجري ودر عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك وقام زوجي إلى شارفنا تلك، وإن ضرعها لحافل باللبن فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعا فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: اعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة.

فقلت: والله إني لأرجو ذلك.

قالت: ثم خرجنا. وركبت أنا أتاني وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليه شيء من حمرهم حتى أن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب ويحك إربعي (أي انتظري) علينا أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن بلى والله.. إنها لهي هي، فقلن: والله إن لها لشأناً.

قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به شباعاً لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم! اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب. فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته.

وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً (أي شديداً).

قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا. لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابني عندي حتى يغلظ فإني أخشى علية وباء مكة.

قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به. فوالله أنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه، لفي (بهم) لنا (البهم هي الصغار من الغنم) خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يسرع، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعـاه، فشقا بطنه.

قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً ممتقعاً وجهه فالتزمته والتزمه أبوه: فقلنا له: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو؟

فرجعنا به إلى خبائنا.

قالت: وقال لي أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك به وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟ فقلت: لقد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي، وتخوفت الأحداث عليه فأديته إليك كما تحبين.

قالت: ما هذا شأنك فأصدقيني خبرك؟ قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها، قالت: افتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: نعم.. قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لبني لشأناً. أفلا أخبرك خبره؟ قلت: بلى. قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف عليّ ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ورافع رأسه إلى السماء.. دعيه عنك وانطلقي راشدة.

ثم كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب، وجده عبد المطلب ابن هاشم في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته، وكان عمرهّ

وقتذاك أربع سنوات .

فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنوات خرجت به أمه آمنة إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به ومعه أم أيمن تحضنه وهم على بعيرين فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهراً كاملاً .

ثم رجعت به إلى مكة . فلما كانت بالإيواء وهو موضع بين مكة والمدينة توفيت ودفنت هناك ، ثم رجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين كانا معهما فكفله جده عبد المطلب ابن هاشم فأكرمه وكرمه وجعل له منزلة خاصة تفوق أولاده وحفدته حتى أنه كان يوضع لعبد المطلب فراش خاص في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ، ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له . فكان رسول الله ﷺ يأتي ـ وهو غلام شديد ـ حتى يجلس عليه . فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني ، فوالله إن له لشأناً . ثم يجلس معه على الفراش ، ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع .

ولم ينسَ الرسول صلوات الله وسلامه عليه المكان الذي دفنت فيه أمه . . فلما مرّ في عمرة الحديبية بالإيواء قال : « إن الله قد أذن لي في زيارة قبر أمي » ، ثم أتاه فأصلحه وبكى عنده . وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ . فقيل له في ذلك . فقال : أدركتني رحمتها فبكيت .

عبد المطلب يحس بنبوة محمد:

كان عبدالمطلب سيد قريش وجد النبي ﷺ يحسّ من أعماق قلبه بنبوة حفيده محمد عليه الصلاة والسلام . فكان دائماً يوصي أم أيمن برعايته ويقول لها : « يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني هذا نبي هذه الأمة » .

كفالة أبي طالب:

مات عبد المطلب وعمر النبي ﷺ وقتئذٍ ثمانية أعوام، فكفله عمه أبو

طالب. وكان عبد المطلب يوصي به عمه أبا طالب وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأب وأم. أمهما فاطمة بنت عرو ابن عائد بن عبد الله بن عمران بن مخزوم - فولى أبو طالب أمر النبي ﷺ بعد جده عبد المطلب.

بشريات النبوة

شق صدره للمرة الثانية: لتطهيره من الغل والحسد وملئه بالرأفة والرحمة.

عن أبي بن كعب فيما رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم وابن عساكر أن أبا هريرة رضي الله عنه كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: (يا رسول الله. ما أول ما رأيت في أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال: «لقد سألت أبا هريرة (أي يا أبا هريرة) إني ألفى صحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا برجل يقول لرجل: أهو هو؟ قال: نعم، فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط! فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مساً. فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه، فأضجعاني بلا قصر ولا هصر وقال أحدهما لصاحبه: إفلق صدره. فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع - فقال له: أخرج الغل والحسد. فأخرج شيئاً كهيئة العلقة. ثم نبذها، فطرحها فقال له: أدخل الرأفة والرحمة: فإذا مثل الذي أخرج يشبه الفضة ثم هزّ إبهام رجلي اليمنى. فقال: أغـدو واسلم. فرجعت بها أغـدو رقة على الصغير ورحمة للكبير».

نشأته ﷺ:

عرف محمد ﷺ في جميع مراحل حياته قبل البعثة بالخلق الطيب والإستقامة، والبعد عن مجالس الخمر والميسر، وحياة الفساد العقائدي، والأخلاقي والاجتماعي

التي كان العرب يعيشونها في ظلّ الوراثة والتقليد، وكأنما أراد الله تعالى أن يعده لتلقي رسالة النور والخير والهدى والرحمة لإنقاذ العالم مما يعانيه من جهل وضلال.

فنشأه الله وأنشأه طاهر النفس، كريم الخلق نقياً بعيداً عن الرذائل والدنس صادقاً في حديثه وفي وعده، أميناً في قوله، وفي عمله وفي عهده وفي جميع أموره. عطوفاً على من حوله، معيناً للضعفاء، فأحبه الناس جميعاً لسموه الروحي وعزوفه عن اللذائذ المادية الفاشية وكرم أخلاقه، وعظيم أدبه، ونضجه الكامل في صباه وفي شبابه وفي رجولته.

أخلاق قومه:

شب الرسول صلوات الله وسلامه عليه بين قوم أشربت قلوبهم روح القسوة ونفوسهم روح الشرّ واكتسبوا بالوراثة من أسلافهم عقيدة تأليه بعض البشر وتقديس بعض الموتى كما ورثوا تقاليد اجتماعية سيئة مثل: وأد البنات وارتياد ساحات الملذات، وشرب الخمر، وموائد القمار، والانغماس في المعاملة بالربا، والسلب، والنهب، كما قامت حياة الزعيم منهم على الطغيان والجبروت والترف، وحياة الضعفاء منهم على الاستكانة والذلة لمن فوقهم من أصحاب الجاه والصلف والكثرة حتى أضلتهم هذه الحياة عن كل سبيل يهدي إلى الخير والمثل العليا والفضيلة والشرف قبل الإسلام.

هكذا كان المجتمع العربي الذي كان يعيش فيه النبي ﷺ قبل الإسلام - لكن إلى جانب كثرتهم الضالة المفسدة - كان يعيش بينهم أناس يتطلعون بقوة وشوق إلى الخلاص من الأغلال التي كانت تكبل حياتهم الاجتماعية والدينية والفكرية، فكان لا بد لهم من داع يدعوهم إلى الخير والفضيلة، وهاد يقود جموعهم إلى مواطن الحق والهدى ويقيم بينهم موازين العدل والرحمة ويعيدهم إلى حياتهم الإنسانية الفاضلة الكريمة التي فقدوها على مرّ العصور في دهور تميزت

بالجهل الأعمى، والتعصب القديم.

فكان محمد ﷺ نبياً للخير والرحمة، ورسولاً للحق والنور والهدى متمماً لمكارم الأخلاق، وداعياً إلى الإيمان برب واحد خالق كل شيء، والإيمان بالبعث بعد الموت، والإيمان بالآخرة والثواب والعقاب، والإيمان بأن الناس جميعاً إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأن للفقير حقاً معلوماً في مال الغني. فرافقته عناية الله ولاحظته ووجهته في وسط هذا الخضم المتلاحم بالفساد والإفساد. فكان خيراً عظيماً. وكان أمة هادية، وسط ضلال ديني وأخلاقي كان يملأ مكة ورجالها.

رحلته إلى الشام:

كان عمره وقتئذ ثلاثة عشر عاماً حيث قرر أن يخرج مع عمه أبي طالب في رحلته إلى الشام مُساعداً له، وقرر عمه أبو طالب أن يكون معه في الرحلة حيث قال: ما دام ابني محمداً متعلقاً بي فوالله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً.

فخرج به عمه، وفي الطريق بأرض الشام التقى بهما الراهب بحيرى، الذي كان عنده علم النصرانية. فأخذ يتفرس في محمد فرأى معالم النبوة في وجهه، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، ثم سأل أبا طالب: ابن من هذا الغلام؟ قال: ابني - قال بحيرى: ما ينبغي أن يكون أبوه حياً.. قال أبو طالب: فإنه ابن أخي - مات أبوه وأمه حبلى به - قال بحيرى: صدقت.. إرجع به إلى بلدك وأحذر عليه يهود (إذ كانت البشارة بنبي يجيء بعد عيسى موجودة في الكتاب المقدس) فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغون به شراً. فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم - فعاد به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه إلى مكة حين فرغ من تجارته بالشام وفي أثناء الطريق شاهد عمه أبو طالب سحابة تظله: إن سار

سارت، وإن وقف وقفت.

ملامح النبوة:

شاءت حكمة الله تعالى أن يكون محمد ﷺ قوي البدن، جميل الخلقة، محفوظاً من أقذار الجاهلية، وقد عرف في أنحاء مكة جميعها، بعذب الخلال، وكرم الشمائل، ورجاحة الفكر، وسمو الروح وصدق الحديث، وحفظ الأمانة والتزام القناعة. فكان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحفظهم جواراً وأوفرهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق الرديئة وتنزهاً وتكرماً؛ حتى كان اسمه في قومه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة التي هي ملامح نبوته العظيمة.

ولما سمعت عنه خديجة بنت خويلد تأثرت بسلوكه السامي، وخلقه العالي وأمانته العظيمة مما جرى على ألسنة الناس من حديث وثناء. فأرسلت اليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجراً، يتاجر بما لها ومعه غلامها ميسرة.

قبل محمد عرض خديجة، ورحل إلى الشام وشاء الله أن يحالفه اليمن والتوفيق والبركة. فكان ربحها جزيلاً، ورزقها واسعاً وكريماً، فازداد سرور خديجة بمحمد وأدهشها أن محمداً لم يتطلع إلى مالها ولا جمالها؛ وإنما أدى ما عليه ثم انصرف راضياً مرضياً. فلم يكن من طلاب المال ولا الذهب.

زواجه ﷺ:

وفي سن الخامسة والعشرين كان شبابه يافعاً نضراً جميلاً غضاً ناضجاً فشغفت به خديجة بنت خويلد صاحبة الحسب والنسب والجمال والمال، فرغبت في الزواج منه ﷺ، فأفصحت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منية وقالت لها: إنها ترغب فيه لشرفه في قومه، وأمانته، وحسن خلقه، وصدق حديثه، وطلبت منها

أن تعمل على زواجها بمحمد .

وتحدثنا صديقتها ورسولتها نفيسة فتقول: فيما رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى : « كانت خديجة بنت خويلد بن أسد عبد العزى بن قصي ، امرأة حازمة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً ، وأكثرهم مالاً وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك . قد طلبوها وبذلوا لها الأموال . فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: « ما بيدي ما أتزوج به » قلت: فإن كفيت ذلك، ودعيت إلى الجمال والمال، والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: « فمن هي؟ » قلت: خديجة . قال: « وكيف لي بذلك؟ » ، قالت: قلت عليّ، قال: فأنا أفعل: فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه أن أئت لساعة كذا وكذا ، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها ، فحضر وتزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة . ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة .

وفي حفل الزواج وقف عمه أبو طالب يخطب قائلاً: « إن محمداً لا يوزن به فتى من قريش ، إلا رجح شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان في المال قلا . فإنما المال ظل زائل، وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك » .

فكان جواب ولي خديجة الموافقة والترحاب، وكان صداقها يسيراً ، وهو خمس وعشرون بكرة، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: (أيسرهن مهراً أكثرهن بركة) .

وزفت خديجة رضي الله عنها إلى سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ من حيث لا تدري . وظل هذا الزواج قائماً ربع قرن من الزمان حتى ماتت خديجة عن خمس

وستين عاماً كانت طوالها محل الكرامة والإعزاز فلم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

وقد ولدت لرسول الله ﷺ أولاده كلهم إلا إبراهيم، القاسم وبه يكنى ﷺ؛ والطاهر. والطيب، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة عليهم السلام.

وأما إبراهيم فأمه مارية القبطية، سرية النبي ﷺ، التي أهداها إليه المقوقس عظيم القبط في مصر.

محمد الأمين:

عاش محمد ﷺ أميناً على نفسه؛ فلم يسلمها إلى الشهوات، أو الملذات أو الأدناس، أميناً على الناس فلم ينتهك عرضاً ولم يغتب أحداً ولم يمشي بالنميمة بينهم، أميناً على الحديث. فإذا تحدث لا يكذب ولا يغالي.. أميناً على الأسرار فسماه قومه (الأمين) ولذلك كانوا يحكمونه فيما شجر بينهم ويتقاضون إليه.

ومن الأمثلة المشهورة قضاؤه ﷺ في الخلاف الذي كان بين قريش بشأن وضع الحجر الأسود فإنه حينما انتهوا من بناء الكعبة اختلفوا فيما بينهم على من يرفع الحجر الأسود ويضعه في الكعبة.

وأوشكت الحرب أن تقع بين قبائل قريش فكانت كل قبيلة تقول: نحن أحق بوضعه، فتجلت رحمة الله عليهم فاتفقوا على ان يحكموا بينهم أول من يدخل عليهم باب الكعبة ـ فكان رسول الله ﷺ أول من دخل عليهم وكان ذلك يوم الاثنين، وكان عمره وقتذاك خمساً وثلاثين سنة.

فلما رأوه فرحوا به، واستبشروا وقالوا: هذا هو الأمين. قد رضينا بما يقضي بيننا، ثم أخبروه الخبر؛ فوضع رسول الله رداءه، وبسطه في الأرض، ثم وضع الحجر الأسود فيه، ثم قال: ليأت من كل ربع من أرباع قريش رجل.

فكان في ربع بني عبد مناف عتبة بن ربيعة، وكان في الربع الثاني أبو زمعة، وكان في الربع الثالث أبو حذيفة ابن المغيرة، وكان في الربع الرابع قيس بن عدي. ثم قال رسول الله ﷺ: ليأخذ كل رجل منكم بزاوية من زوايا الثوب. ثم ارفعوه جميعاً. فرفعوه. ثم وضعه رسول الله ﷺ بيده الكريمة في موضعه الحالي.

نبوته ﷺ

بعث الله نبينا محمداً ﷺ كما بعث غيره من الرسل؛ ليقيم حجة الله على الناس بتبليغ دينه وتخويف الناس من عذاب الله تعالى وتبشيرهم، وليكون قدوة صالحة في الخير والفضيلة. تتأسى به الناس في عبادة الله تعالى وتتأثر طريقه في حسن الخلق؛ لأن الناس من شأنها أن تنظر في أعمال من يدعونها إلى الخير. فإن رأت منهم وقوفهم عندما يدعون إليه اتبعتهم، وإن رأت عملهم يخالف قولهم نبذتهم، ولذلك يقولون: «إن تأثير العمل على الناس فوق تأثير القول؛ فنبوته ﷺ جمعت إلى القول، العمل الصالح، والخلق الفاضل، والدعوة إلى الله تعالى والصبر عليها والصلابة في الحق».

بعث الله نبينا محمداً ﷺ حين بلغ من العمر أربعين عاماً رحمة للعالمين وبشيراً للناس كافة.

ومقدمات بعثه أنه ﷺ كان من خلقه وطبعه أن يهجر مكة كل عام ليقضي شهر رمضان في غار حراء، القائم في رأس جبل يشرف على مكة ويسوده السكون الشامل. وفي هذا السكون كان سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ينقطع عن العالمين متجهاً بقلبه إلى الله رب العالمين ـ فكان مهاجراً إلى ربه في كل لحظة، وفي كل نفس من أنفاسه وفي كل طرفة عين، وفي كل قبضة قلب وفي كل همسة من همسات الضمير فكانت حياته كلها لله.

كان يعبد الله على دين إبراهيم عليه السلام، وكان يطعم من جاءه من المساكين

فإذا قضى اعتكافه من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته.

وبتقدم الأيام تتضاعف عبادة الرسول، وصلاته بربه وخضوعه له حتى أصبح صلوات الله وسلامه عليه في النهاية وكأنه صفاء في صفاء ونور في نور.

وكان أول ما بديء به رسول الله ﷺ من النبوة: الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤياً إلا جاءت كفلق الصبح، وحبب الله تعالى إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

وكان إذا خرج لحاجته، وأقضى إلى شعاب مكة، وبطون أوديتها لا يمر ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله. فيلتفت الرسول حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة.

وظلّ رسول الله يرى الرؤيا الصادقة في منامه، ويسمع تحيات الطير والنبات والجماد لمقامه الكريم مدة ستة أشهر، إبتداء من يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول للسنة الأربعين من عمره إلى أن جاءه الملك جبريل عليه السلام بما جاءه من الحق في ليلة القدر من شهر رمضان من هذه السنة وكان ليلة الاثنين وهو بَغار حراء، فانبسط النور بين يدي وحي مبارك يسطع على القلب الصافي بالإلهام والهداية ونبوة عظيمة هي أصل النبوات، ورسالة كبرى هي أم الرسالات في حياتنا الدنيا ـ ويحدثنا رسول الله ﷺ فيقول:

(فجاءني جبريل وأنا نائم. بنمط (أي بوعاء) من ديباج فيه كتاب فقال: اقرأ. قلت: ما أقرأ؟ فغتني (أي فحبس نفسي) به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما اقرأ؟ فغتني به حتى ظننت أنه الموت. ثم أرسلني فقال: أقرأ: قلت ما أقرأ؟ فغتني به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال اقرأ. فقلت ماذا اقرأ؟ ما أقول ذلك إلا اقتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي. فقال: **﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم. الذي علم**

بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ قال: فقرأتها.. ثم انتهى وانصرف عني، وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً ـ فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد. أنت رسول الله وأنا جبريل. فوقفت فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد. أنت رسول الله وأنا جبريل. فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك. فما زلت واقفاً ما أقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي. فبلغوا أعلى مكة، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني.

وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة. فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ. ثم حدثتها بالذي رأيت. فقالت أبشر يا ابن عم، واثبت. فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

هل هو ملك أم شيطان:

لما حدث رسول الله ﷺ زوجته خديجة بما رأى أرادت أن تعرف هل الشبح الذي أتاه وكلمه هو ملك أم شيطان ـ فقالت له يا محمد اجلس على فخذي الأيمن فجلس فقالت له هل ترى الشبح؟ قال نعم أراه. ثم أجلسته على فخذها الأيسر وقالت انظر أمامك هل ترى الشبح؟ قال نعم أراه ـ ثم كشفت عن وجهها وساقيها وقالت هل ترى الشبح؟ قال لا قالت إنه ملك وليس شيطاناً فالملائكة لا تحضر عرى النساء.

ثم قامت خديجة فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى إبن عمها: ورقة بن نوفل وكان ورقة قد تنصر، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ـ فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ ـ.فقال ورقة: والذي نفس ورقة بيده لئن كنت

صدقتني يا خديجة. لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة.

فلما قضى رسول الله ﷺ اعتكافه، وانصرف، صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها. فلقيه ورقة وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي: أخبرني بما رأيت وسمعت؟ فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك النـامـوس الأكبر الذي جـاء مـوسى، ولئـن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل نافوخه. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى شق ذلك على رسول الله ﷺ فأحزنه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذي أكرمه بما أكرمه: ما ودعه وما قلاه فقال تعالى: ﴿**والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيماً فآوى. ووجدك ضالاً فهدى. ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ فأخذ رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سراً وإلى من يطمئن إليه من أهله.

نبي الرحمة يؤمر بحمل رسالة الرحمة

عاد الوحي إلى رسول الله ﷺ، فجاءه جبريل ملك الوحي للمرة الثالثة أثناء مشيه ليدعوه إلى حمل رسالة الرحمة، ففزع منه وذهب إلى أهله فقال: زملوني زملوني. فدثروه ثم أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿**يا أيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر**﴾.

ويحدثنا جابر بن عبد الله الأنصاري فيما رواه البخاري ومسلم فيقول: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري. فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله: ﴿**يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر**﴾. فحمي الوحي وتتابع.

عرف رسول الله ﷺ أنها الرسالة التي كلفه الله بها واشتملت هذه السورة الصغيرة على توجيهات إلهية من الإله العظيم سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم. توالى نزول الوحي المبارك، يدعو إلى وحدانية الله تعالى، حتى لا يعبد سواه، ولا يخشى غيره، ويدعو إلى الإيمان باليوم الآخر، يوم يقوم الناس لرب العالمين فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

الدعوة إلى الرحمة:

أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين. فالرحمة سرّ البعثة،

وقلب الدين، وجوهر الرسالة المحمدية، وهي شرط الإيمان. فقد وعد الله أهل الرحمة بالسلام والرحمة والبركات، ولو كان هناك آية أفضل من بسم الله الرحمن الرحيم التي جمعت كل صفات ومعاني الرحمة والخير لقالها نبي السلام والرحمة والبركة.

كان من أخص صفات رسولنا الكريم: أنه رؤوف رحيم ـ وحينما نزلت عليه الآية الكريمة: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** التفت إلى جبريل عليه السلام وقال: يا جبريل ألست من العالمين؟ قال: بلى. فقال ﷺ: فما هي الرحمة التي أصابتك مني؟ قال: لولاك ما سمعت التأمين من النار، فالله يقول في حقي: **﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾** ـ ولقد وجدت التأمين بك هو الرحمة منك».

فهو ﷺ رحمة للطير والصخر، رحمة للأنس والجن، رحمة للخادم والعامل، رحمة للصغير والكبير، رحمة للضعيــف والقــوي، رحمة للفقير والغني، رحمة للملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «إنما أنا رحمة مهداة».

ولقد قضى رسول الله كل حياته يدعو إلى الرحمة ببني الإنسان فهو يقول: «لن تؤمنوا حتى تراحموا» فقالوا: يا رسول الله كلنا رحيم فقال: «إنها ليست رحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة» أي الرحمة التي لا تقف عند حدود الأهل والأقارب والأصحاب، وإنما تتعداهم إلى كل مخلوق يحتك به المؤمنون بمحمد أو يقع عليه نظرهم وحسهم وإن اختلف الدين أو الجنس أو اللغة فهذه الرحمة بمعناها الصحيح الواسع فرع الإيمان الأساسي.

وأخذ ﷺ يدعو إلى الرحمة بالحيوان؛ فنهى عن التحريش بين البهائم فقال ﷺ: «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله تعالى يوم القيامة يقول يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة».

ـ ومرّ رسول الله ﷺ أمام قوم يجلسون على الإبل ويتمارثون ومن بينها بعير جائع ـ فقال لهم: « اتقوا الله في البهائم العجماوات فاركبوها صالحة وكلوها صالحة، ولا تجعلوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق ».

ـ ومرّ رسول الله ﷺ في طريقه بحمار قد وشم في وجهه فقال: « لعن الله الذي وشمه ».

ـ ورأى رسول الله ﷺ جزاراً قد أضجع شاة للذبح وأخذ يحد شفرته أمامها فقال له: « أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟ ».

ـ ورأى جزاراً آخر يجر شاة من رجلها ليذبحها وقد انقلبت على جنبها فقال له ﷺ: « ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً ».

وقال رجل للرسول ﷺ. « إني لا أرحم الشاة أن أذبحها. فقال له الرسول: « إن رحمتها رحمك الله ».

ـ والرسول ﷺ كان يدعو الناس إلى أن يرحموا القطط ويحدثهم عن امرأة لم تتمكن الرحمة من قلبها فقامت بحبس هرة حتى ماتت فيقول: « عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار؛ ولا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

ـ ووجه رسول الله ﷺ نظر أصحابه يوماً إلى كلب يلهث من شدة الظمأ ثم قال لهم أيكم من يريد الجنة؟ قالوا كلنا يا رسول الله. قال أسبقكم إلى البئر يغترف منه غرفة بيده فيسقي هذا الكلب الظامىء ».

وقال ﷺ: « إن الله كتب الإحسان على كل شيء. فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته ».

ـ ولقد كان رسول الله ﷺ يلاحظ تصرفات الناس وأعمالهم فإن وجد شيئاً منها لا يتفق مع مقتضى الرحمة نبه إلى الرحمة.

ـ فهو يوصي بالعامل فيقول: « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه ».

ـ ويوصي بالخادم فيقول: « ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجراً في موازينك ».

ـ ويقول: « خدمكم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما لا يطيقون. وإذا كلفتموهم فأعينوهم ».

ـ وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأله: أنا خادمي يسيء ويظلم أفأضربه؟ قال له ﷺ: تعفو عنه كل يوم سبعين مرة.

ـ وقال أبو السعود البدري: « كنت أضرب غلاماً لي فسمعت صوتاً خلفي: « أعلم أبا السعود أن الله أقدر عليك منك عليه » فالتفت فإذا هو النبي ﷺ فقلت: « يا رسول الله هو حرّ لوجه الله ». قال ﷺ: « أما لو لم تفعل للفحتك النار ».

ـ وكان ﷺ يوصي بالصغيرة فيقول: « ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقه ».

ـ وجاء رجل الى النبي ﷺ فقال: « أتقبلون الصبيان وما نقبلهم؟ فقال ﷺ: « لقد نزع الله الرحمة من قلبك ».

ـ وأطال ﷺ سجوده يوماً زيادة على المعهود فسأله أصحابه فقال: « إن ابني إرتحلني فكرهت أن أعجله » يقصد الحسن بن فاطمة بنته ﷺ.

ـ وكان ﷺ يسمع بكاء الصبي وهو يصلي فيخفف الصلاة.

ـ وكان ﷺ يوصي بالأرملة. وبالمسكين فيقول: « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ».

ـ وكان ﷺ يوصي بالجائع فيقول: « ليس منّا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم ».

ـ ويقول أيما بلد بات وفيه جائع فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ـ ويقول ﷺ: «من كان له فضل مال فليعد به على من لا مال له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له ـ ومن كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له.

ـ ويوصي ﷺ باليتيم فيقول: «خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشرّ البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه».

ـ ويقول: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ـ يشير بأصبعيه».

ـ ومرّ رسول الله ﷺ في يوم عيد الفطر المبارك بصبية يلعبون ويفرحون ويرتعون ويمرحون إلا واحداً منهم قد انزوى بعيداً عنهم واختلط التراب بدمع عينيه، فدنا منه ﷺ وسأله: لم لا تلعب مع إخوانك؟ قال إن أبي قد مات قبل العيد ـ قال ﷺ: «ولِمَ لَمْ تك عند أمك؟» قال: وقد ماتت قبله، فقاله ﷺ: «هل ترضى بمحمداً أباً وعائشة أماً وفاطمة أختاً؟» فرضي اليتيم وسرّ بذلك.

ـ وكان رسول الله ﷺ ينهي عن الأمور التي تنافي الرحمة فمن ذلك.

١ ـ نهى عن الكي والإحراق بالنار لحي أو ميت.

٢ ـ نهى عن إفساد الزرع والثمار.

٣ ـ نهى عن إحراق الدور والأمتعة.

٤ ـ نهى عن الإتلاف والإفساد.

٥ ـ نهى عن المثلة (التمثيل بالناس).

٦ ـ نهى عن التعذيب بشتى صوره.

٧ ـ نهى عن الإجهاز على الجريح.

٨ ـ نهى عن قتل المرضين والنقالة وكل من يستخدمون الإسعاف والجرحى ولو كانوا من الأعداء.

ويقول ﷺ: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا».

وهكذا تبدو لنا طبيعة الرسول، والرسالة وسماحة الدعوة والداعية ، والرحمة المتناهية التي يدعو إليها رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه في كل ميدان وفي كل مجال.

فما أشد حاجة العالم الآن لمعرفة الله ولمعرفة جوهر الدين وهو الرحمة بالجميع كافة وخاصة.

رسول الله ﷺ يقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن» ويقول: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» ويقول: «لا تنزع الرحمة إلا من شقى».

أجل! ما أشد حاجة العالم المعذب إلى لواء الرحمة والسكينة والسلام الذي رفعه رسول الله ﷺ بعد أن استطاع الإنسان الشقي أن يكشف سرّ الذرة، وأن يصنع الأسلحة الذرية والنووية، والهيدروجينية والبيولوجية لإبادة البشر عندما يريد، ولو أنه استخدم الذرة في أغراض الرحمة والسلام والمحبة لساق للإنسانية خيراً كثيراً يحيي آمالها.

بدء الدعوة:

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أن يبدأ دعوته للدين الجديد بقوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾. فقام عليه الصلاة والسلام إلى أهله وخلصائه فدعاهم إلى دين الله الإسلام فآمنت به زوجه السيدة خديجة وعلي بن أبي طالب وهو يومئذٍ ابن عشر سنين، وأبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، فكانوا أول السابقين إلى الإيمان. بل كانوا الأساس الأول لبناء دعوة الإسلام، وكانوا هم الحواريون في الإسلام، وقد مكثت الدعوة الإسلامية سرية ثلاث سنوات.

الجهر بالدعوة:

جاء أمر الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد ﷺ بالجهر بالدعوة في قوله تعالى:

﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ فصعد على الصفا، فقال يا معشر قريش . . فقالت قريش: محمد يهتف فأقبلوا واجتمعوا فقالوا: مالك يا محمد؟

قال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟

قالوا: نعم . . أنت عندنا غير متهم . . وما جربنا عليك كذباً قط . .

قال: « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، يا بني زهرة ـ حتى عد الأفخاذ من قريش ـ إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله ».

فلم يرد عليه أحد إلا أبا لهب ـ فقال: « تباً لك ألهذا جمعتنا؟ ». ثم انصرفوا ساكتين فنزلت سورة المسد رداً على أبي لهب: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم. تبت يدا أبي لهب وتب. ماأغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد﴾** .

مضى رسول الله ﷺ على أمر الله ـ مظهراً لأمره لا يرده عنه شيء. فتصدى له كثير من السفهاء يسألونه عن معجزاته التي تثبت رسالته ـ يسألونه عن معجزات كمعجزات موسى وعيسى، يسألونه تحويل جبل الصفا والمروة إلى ذهب، وكثرت التحديات، وقبل النبي ﷺ التحدي.

تتابع الوحي، وحمى، ونزل القرآن الكريم تباعاً وبكثرة، واشتدت الدعوة وحمى وطيسها واشتدت معارضة المشركين. وقالوا له:

ـ لماذا لا نرى نحن جبريل؟

ـ لماذا لا ينزل القرآن مخطوطاً من السماء؟

ـ لماذا يا محمد لا تحيي الموتى؟

ـ لماذا لا تحرك الجبال؟

ـ لماذا لا تفجر لنا من الأرض ينبوعاً؟ .

ـ وقالوا[1]: «لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالملائكة قبيلا».

ـ وجاء أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بال قد تكسر فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرم ـ ثم فته في يده. ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ ـ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، أنا أقول ذلك. يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك الله النار، فأنزل الله تعالى فيه: **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه. قال من يحي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾**.

وهكذا ضلت قريش، وجهلت حقيقة الدعوة، وسخروا من محمد وصحابته وغدروا بهم في المجالس والأندية وقالوا يا محمد لم يتبعك إلا أراذلنا بادي الرأي فكيف نؤمن بك؟ يا محمد كيف لا ينزل القرآن على عظيم؟ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، يا محمد. هل الله لم يجد في مكة سواك أنت أيها الفقير اليتيم؟ هل مكة نضبت من الرجال ومن العظماء؟

ولكنه كان يرد عليهم بمنطق الحق، ومنطق القرآن، وعندما يعجزون يقولون: إنه كاهن يهمس إليه الجن بما يقول، ويحدثه الوهم بأنه الحق. ثم يصوغه في ألفاظ منمقة وعبارات مسجوعة يستطيع أن يقولها الشعراء وغير الشعراء.

ويقول قائل: إن هذا الرجل شاعر يهيم في أودية الخيال، ثم يطرب الناس بعذب المقال.

وقائل آخر يقول: إنه ساحر يفتن الناس بما تحدثـه [illegible]

وقال عمالقة قريش: إنه مجنون أصابه مسّ [illegible] الجن خرج [illegible] بين لا وسفه آلهة الأجداد، ولا بد من موقف حاسم معه، [illegible]لسوف تنتهي بنا [illegible] سخرية إ[illegible]

حتمية ضرب أتباعه .

انتشار الدعوة:

انتشر الإسلام في مكة على الرغم من معارضيه برغم أنوف الكفار والمشركين والمستكبرين والمنافقين، وذاع نبأ هذا الدين في جزيرة العرب ودخل الناس فيه أفواجاً، رجالاً ونساء .

وبدأ رسول الله ﷺ يهاجم دين الكفار ويذكر آلهتهم بالسوء ويتوعدهم بالعذاب الأليم؛ حتى ساء الأمر بينه وبين قومه، وبدأت العداوة تسري في قلوبهم نحوه . فاجتمعوا ، وأتمروا ، وفكروا ، ودبروا ، وأحسوا بخطر الإسلام على دينهم وتبادلوا الرأي فيما بينهم . . كيف نقضي على هذا الدين؟

أرادوا أولاً أن يأخذوا محمداً بالحسنى فلم يستمع إليهم .

قالوا يا محمد تعال نتفق على أن نعبد ربك يوماً ، وتعبد آلهتنا يوماً . . فأجابهم بما أمره الله تعالى به : **﴿قل يا أيها الكافرون ولا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم، ولي ديني﴾** . فذهب فريق من أشرافهم إلى عمه أبي طالب وقالوا له مهددين متوعدين : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا ، وعاب ديننا . وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا . فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه ؛ وانظر يا أبا طالب إن كان محمد يريد مالاً أعطيناه حتى يكون أغنانا ، وإن كان يريد ملكاً ملكناه علينا ، وإن كان به مس من الجن عالجناه . فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً . فانصرفوا عنه .

مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ـ يظهر دين الله ، ويدعوهم إليه ـ ثم اشتد الأمر بينه وبينهم؛ فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى . فقالوا : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإنا

والله لا نصبر على هذا: من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنّا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه.

فدعا أبو طالب رسول الله ﷺ، وحدثه بما تحدث به طغاة قريش وقال له: يا ابن أخي. أبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق.. فظن رسول الله ﷺ أن عمه قد ضعف عن نصرته، وأنه بدأ يخذله. فنظر إليه نظرة المؤمن بربه، المؤمن بنفسه، المؤمن برسالته، المؤمن بعقيدته، المؤمن بمكانته، وقال حكمة الصمود الخالدة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه». ثم بكى رسول الله ﷺ وقام منصرفاً.. فناداه عمه أبو طالب وقال له: أقبل يا ابن أخي. فأقبل رسول الله ﷺ فقال أبو طالب: إذهب ياابن أخي فقل ما أحببت. فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق الناس حسناً:

يذكر الآلوسي: أنه لما ظهر النبي ﷺ بمكة، ودعا إلى الإسلام بعث أكثم بن صيفي ابنه (حبيشا) فأتاه بخبره فجمع بني تميم وقال لهم فيما قال:

«إن ابني شافه هذا الرجل مشافهة، وأتاني بخبره، وكتابه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان، وترك الحلف بالنيران. وقد حلف (عرف) ذو الرأي منكم. أن الفضل فيما يدعو إليه وأن الرأي ترك ما ينهي عنه، ثم يقول هذه الكلمة الرائعة: «إن الذي يدعو إليه محمد لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق الناس حسناً».

إسلام حمزة:

وحين أسلم حمزة بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ، قوي الإسلام واشتد عضده، وزاد عدد أصحاب الرسول ﷺ وأنصاره ولما رأت قريش أن دعوة محمد

تنمو وتكبر وتقوى قالوا لعتبة بن ربيعة وكان سيداً فيهم: يا أبا الوليد . قم إليه وكلمه وأعرض عليه أموراً تغنيه وتكفيه وتبعده عن طريقه هذا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء .

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال له: « يا ابن أخي إنك منّا حيث قد علمت، من البسطة في العشيرة والكمال في النسب، وإنك قد آتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم، وكفرت من مضى من آبائهم. فاسمع حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل مني بعضها ـ فقال رسول الله ﷺ: « قل يا ابا الوليد أسمع » .

قال: « يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً: جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه » .

فلما فرغ عتبة من كلامه ـ قال له رسول الله ﷺ: « اسمع مني يا أبا الوليد . فأخذ يقرأ: « بسم الله الرحمن الرحيم﴿**حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه**﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد . ثم قال: « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك » .

فقام عتبة إلى أصحابه . فقال بعضهم لبعض . نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ـ فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا

بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش. أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه. فاعتزلوه. فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وأن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم!!

مؤتمر قريش يناقش الرسول:

عقد زعماء قريش مؤتمراً كبيراً ودعوا النبي ﷺ لمناقشته ـ وقد حضر هذا المؤتمر عتبة بن ربيعة. وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام عليه لعنة الله، وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل، نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وأمية بن خلف.

اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قالوا: إبعثوا إلى محمد لنكلمه ونخاصمه حتى نغلبه. فبعثوا إليه. أن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلموك فأتهم فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وجلس إليهم ـ فقالوا له: يا محمد: إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك. وما بقي أمر قبيح ألا قد جئته فيما بيننا وبينك، وإن كنت غير قابل منّا شيئاً عرضناه عليك. فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ولا أقل ماء ولا أشد عيشاً منّا. فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به... فليسير عنّا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام، والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا.

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: ما بهذا بعثت إليكم. إنما جئتكم من الله بما بعثني به. وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم. فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أن أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: فإذا لم تفعل لنا فخذ لنفسك حذرها ـ فقام عنهم النبي ﷺ حزيناً آسفاً لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مساعدتهم إياه.

الغضب يستبد بقريش:

استبد الغضب بقريش: كيف يضعف سادة القوم وأعاظم العرب أمام هذا اليتيم الفقير؟ كيف يعتز عليهم بأتباعه البؤساء والضعفاء؟ كيف يكفر عبيدهم بالآلهة، ويؤمنون بما يقول محمد؟.

وانفجر بركان الإيذاء بمحمد وأتباع محمد.

فهذا بلال الحبشي يلقى على وجهه وعلى ظهره عارياً فوق الرمال الملتهبة، ويوضع أضخم الصخور على صدره أو ظهره ويقول له سيده. أمية بن خلف الكافر ـ أذكر محمداً بالسوء واذكر آلهتنا بالخير. فيجيب بلال في مثل حشرجة الميت أحد أحد ـ فيقول سيده: ستظل هكذا يا عبد السوء، حتى تكفر بمحمد، ويجيب بلال في عناد مرير: أحد أحد.

وهذا عمار بن ياسر أسلم هو وأبوه وأمه وزوجه فكانت قريش تشوي وجوههم بلفحة الهجير، وظهورهم بالسياط، ويمر النبي بهم وهو يقول: «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» وتعجل ياسر الموت، لينجو من العذاب، وماتت زوجته بطعنة في قلبها من أبي جهل فكانت أول شهيدة في الإسلام.

أما النبي فقد تصاعد الأذى إليه برغم حماية بني هاشم له فكانوا يضعون الشوك والجمر في طريقه، كانوا يعفرون وجهه بالتراب أينما سار، كانوا يغرقونه بماء الذبيحة وهو ساجد في الكعبة، ودميت قدماه في ثقيف حينما سلط عليه سفهاؤها أطفالها فطاردوه بالحجارة واستند إلى جوار حائط بعد أن تعثرت خطاه وهو يقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي».

وبرغم كل هذا العذاب والتعذيب لم تلن لمحمد وصحابته قناة، ولم تتزعزع

فيهم عقيدة، إيماناً بأن الحق لا بد أن ينتصر والباطل لا بد أن يندثر.

« وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ».

إسلام عمر:

دعا رسول الله ﷺ ربه فقال: « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين »، عمر بن الخطاب أو عمر بن هشام، فاستجاب الله دعاءه وأسلم عمر بن الخطاب.

تقلد عمر بن الخطاب سيفه ودخل على رسول الله ﷺ في مجلسه بين أصحابه فقال: يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله. فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله أن عمر قد أسلم.

وبإسلام عمر بن الخطاب، وإسلام حمزة بن عبد المطلب، قوي الإسلام واشتد ساعده، ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد زاد عددهم وقويت بهم شوكته، وأن دعوة محمد قد أخذت تفشو بين قبائل العرب، أخذوا يتصايحون ويتآمرون لإخماد هذه الدعوة والقضاء على أصحابها فقرروا تجويع محمد وآله، وأصحابه، وأنصاره.

معاهدة التجويع:

رأى كفار قريش وكان ذلك في أول المحرم سنة سبع من نبوته ﷺ، أنه لا جدوى من السخرية والاستهزاء، ولا فائدة من التعذيب والإيذاء وأنه لا سبيل إلى المساومة والإغراء ـ فقد قوي محمد وقويت دعوته بإسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ـ ولم يعد أتباع محمد ضعفاء ـ كما رأوا أن أمر محمد وأصحابه يكبر وخطرهم يتضاعف وأن الإسلام ينتشر.

حينئذ أجمعوا أمرهم كيداً وحسداً على تجويع بني هاشم وبني عبد المطلب وكتبوا معاهدة فيما بينهم تقول: « لا بيع، ولا شراء من بني هاشم وبني عبد

المطلب ولامزواج من بناتهم . ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة .

حوصر بنو هاشم وبنو المطلب بنسائهم وأطفالهم في شعاب مكة وأحكمت قريش عليهم الحصار ، وقطعت عنهم الأسواق وحرمتهم من أي طعام واشترطت شرطين لرفع هذا الحصار :

١ ـ إما أن يتخلى محمد عن دعوته .

٢ ـ وإما أن يتخلى عنه أتباعه ويسلمونه إلى قريش لتقتله .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم ، وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه ، واجتمعوا إليه وخرج من بني هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهرهم .

لم يقبل المسلمون . . ولم يرضخ بنو هاشم وبنو المطلب . . لقد جاعوا حتى ربطوا الحجارة على بطونهم ـ وكانت شعاب مكة تهتز لصراخ الأطفال من الجوع . .

وذاع نبأ الحصار في الجزيرة كلها ـ واستمر الحصار ثلاث سنوات كاملات ، والمسلمون يأكلون الحشائش ، وأوراق الشجر حتى ضاق بهم الكفار واختلفوا فيما بينهم حتى نزع بعضهم الصحيفة من الكعبة .

وفشلت سياسة التجويع والحصار الاقتصادي لأن الله كان مع نبيه وأتباعه كان إيمانهم الزاد ، وصبرهم الري . كانوا أكبر من فدائيين وأعظم من أبطال حتى يئس أعداؤهم فتخلوا عن الحصار .

محمد القوي المعجز:

كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش فخلا يوماً برسول الله ﷺ في بعض شباب مكة ، فقال له رسول الله : « يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليك؟ » قال : إني لو أعلم أن الذي تقول حق

لاتبعتك ـ فقال له رسول الله ﷺ : أفرأيتَ إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم. قال: فقم حتى أصارعك، فقام إليه ركانة يصارعه فلما بطش به رسول الله ﷺ وأضجعه أصبح لا يملك من نفسه شيئاً. فقال: عد يا محمد. فعاد فصرعه. فقال له: يا محمد، والله إن هذا لعجب! أتصرعني؟ فقال رسول الله ﷺ : وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه ـ إن اتقيت الله واتبعت أمري؟ قال: ما هو؟ قال: أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني، قال: ادعها. فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال لها: ارجعي إلى مكانك، فرجعت إلى مكانها.

فذهب ركانة إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف. ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قط ـ ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع.

مبايعة أهل المدينة لرسول الله على الخير والفضيلة:

يقول ابن سعد في الطبقات: «أقام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله، ويعرض نفسه عليهم كل سنة بمجنة وعكاظ ومنى أن يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة ـ فلم تستجب له قبيلة من العرب.

وكان يؤذى، ويشتم حتى أراد الله إظهار دينه، ونصر نبيه وإنجاز وعده فساقه إلى هذا الحي من الأنصار. لما أراد الله بهم من الكرامة.

وكانوا ستة نفر، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن فأسلموا، ووعدوه أن يلتقوا به في العام القادم، ولما عادوا إلى المدينة بشروا بالإسلام في قومهم، فأسلم من أسلم، وكثر في المدينة الحديث عن الإسلام.

فلما كان العام الذي يليه حضر اثنا عشر رجلاً. فبايعوا الرسول كما تحدثوا بذلك عن أنفسهم: «على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف».

قال: « فإن وفيتم فلكم الجنة، ومن غش من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله: إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه».

كانت هذه البيعة بيعة فضيلة وخير، بيعة على العمل بالمثل الأخلاقية العليا ونشرها، حيث عاد المسلمون إلى المدينة بأخلاق أخرى، وبوجوه عليها نور الإسلام، وبقلوب انغمست في محيط الرحمة فأخذوا يدعون إلى الله مبشرين ومنذرين.

معجزة الإسراء والمعراج

إن الذي يهمنا في معرض أخلاق محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام هو أن نذكر الجوانب الخلقية في موضوع إسرائه ومعراجه ذاكرين القصة بالإجمال.

فلقد شرف الله هذا الموضوع بقوله تعالى: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** وشرف نبيه في حديثه الصادق عن إسرائه، ومعراجه، بقوله تعالى: **﴿والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى ـ لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾**.

ومجمل القول أن رسول الله ﷺ بينما كان نائماً: أتاه جبريل فأيقظه وخرج معه فإذا أمامهما دابة بيضاء هي البراق. وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله، وهي دابة بين الحمار والبغال. فركبها رسول الله ﷺ، وسارت الدابة به ومعه جبريل، على حد تعبير النبي ﷺ: «لا يفوتني ولا أفوته» حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، وقد

جمعوا له فصلى بهم . ثم أتى ﷺ بأوان ثلاثة ، إناء فيه لبن وإناء فيه خمر وإناء فيه ماء ـ فقال رسول الله ﷺ : « فسمعت قائلاً يقول حين عرضت علي : إن أخذ الماء غرق ، وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هدى وهديت أمته ، وقال فأخذت إناء اللبن فشربت منه فقال لي جبريل عليه السلام : « هديت وهديت أمتك يا محمد » . وفي رواية أخرى : « هديت للفطرة ، وهديت أمتك ، وحرمت عليكم الخمر » .

ولما انتهى صلوات الله وسلامه عليه من بيت المقدس عرج به إلى السماء وأخذ يرتقي سماء سماء ، ثم تجاوزها جميعاً إلى سدرة المنتهى ، وإلى قاب قوسين أو أدنى ، وهناك حيّا الرسول صلوات الله وسلامه عليه ربه فقال : « التحيات لله والصلوات والطيبات » .

فحياه الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**﴾ فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله » .

وفي هذه اللحظات الخالدات فرض الله سبحانه وتعالى الصلاة على الأمة الإسلامية .

عاد رسول الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر ، فقال أكثر الناس هذا والله الأمر البين . . والله إن الطير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً مقبلة . أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ؟ فارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ؟ يزعم أنه قد جاء هذه الليلة ببيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ـ فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بل ها هوذا في المسجد يحدث به الناس ـ فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟ ! فو الله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة

من ليل أو نهار فأصدقه. فهذا أبعد مما تعجبون منه. ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله. أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت ببيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم. قال: يا نبي الله فصفه لي فإني قد جئته. فقال رسول الله ﷺ: فرفع لي حتى نظرت إليه ـ فجعل الرسول يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقت أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئاً، قال: صدقت أشهد أنك رسول الله. حتى إذا انتهى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصديق، فيومئذ سماه الصديق.

وحادث الإسراء والمعراج ينطوي على توجيهات وأخلاقيات هامة منها:

كان رسول الله ﷺ خاتم النبيين، وخاتم الأنوار التي أرسلها الله إلى الناس على مرّ العصور، من بدء أن خلق الله الأرض وما عليها إلى عهد نبوته العظيمة، لبخرج الناس من جهلهم وضلالهم إلى حيث معرفة الله خالق الكون ورازق العباد.. وكان الكتاب الذي أنزل عليه، والنور الذي أرسل به، وهو القرآن الكريم، خاتم الكتب السماوية وأكملها.

وحيث تخلق الرسول صلوات الله وسلامه عليه بخلق أكمل كتاب رباني، وأعظم تشريع سماوي وهو القرآن العظيم، كان أكمل رسول وأعظم نبي!.

ويتضح ذلك من إمامته ﷺ بالرسل والأنبياء في بيت المقدس ليلة أن أسرى به، ومن تجاوزه السموات ووصوله إلى سدرة المنتهى، وهو ما لم يصل إلى البشر، بل لم يصل إليه جبريل نفسه عليه السلام ـ فلقد قال جبريل له: «وما منا إلا له مقام معلوم»، لقد وصل إلى النهاية، حبث لم يظل إليه ملك، ولا نبي ولا رسول!.

لقد رأى من آيات ربه الكبرى، هذا هو مقام الرسول صلوات الله وسلامه علبه، وبدل هذا على معانٍ كثيرة منها:

أولاً ـ ان اصطفاء الله تعالى لنبيه محمد واختصاصه بحادث الإسراء والمعراج،

الذي فرض فيه أعظم رسالة روحية وخلقية، وأفضل تشريع ديني وسياسي، واجتماعي للناس جميعاً إلى يوم القيامة: يدلنا على أنه ﷺ كان على أعظم جانب من الخلق، والعلم، والدين، والمسؤولية الإنسانية الكبرى إلى أبد الآبدين.

ثانياً - كان من توجيهات الإسراء وأخلاقياته الرمزية ذات الفضائل العليا والحكمة البالغة التي أوحاها الله تعالى لنبيه، أثناء مسراه، وصورها له في صور رمزية، ذات دلالات هاتفة، هادفة، مؤثرة، والتي بينها الرسول صلوات الله وسلامه عليه في حديثه للناس ما يأتي:

١ - سار رسول الله ﷺ في مسراه، فمرّ على قوم يزرعون ويحصدون في يوم. كلما حصدوا عاد ما حصدوه كما كان - فقال ﷺ لجبريل عليه السلام: ما هذا؟ قال هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله. تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف. وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين.

٢ - ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء - فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال هؤلاء هم الذين نتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

٣ - ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقـاع، يسرحـون كما نسرح الأنعام، يأكلون الضريع والزقوم، ورضف جهنم. فقال: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، وما ظلمهم الله، وما ربك بظلام للعبيد.

٤ - ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج طيب، في قدر طيب، ولحم خبيث نيء في قدر خبيث. فجعلوا يأكلون من الخبيث النيء، ويدعون النضيج الطيب، فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال جبريل: هذا مثل الرجل من أمتك، تكون عنده المرأة الحلال الطيب، فيأتي امرأة خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح، ومثل المرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح.

٥ ـ ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة، لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ـ فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل الرجل من أمتك يكون عليه أمانات للناس لا يقدر على أدائها، وهو يريد أن يزيد عليها.

٦ ـ ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت، لا يفتر عنهم من ذلك شيء. قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.

٧ ـ ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم. فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع. فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها.

٨ ـ ثم أتى على واد فوجد فيه ريحاً طيبة باردة كريح المسك، وسمع صوتاً ـ فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت الجنة تقول: يا رب آتني ما وعدتني، فقد كثرت غرفي، واستبرقي، وحريري، وسندسي، وعبقرتي، ولؤلؤي ومرجاني، وفضتي، وذهبي، وأكوابي، وصحافي، وأباريقي، ومراكبي، وعسلي، ومائي، ولبني، وخمري، فآتني ما وعدتني.. قال: لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي، وعمل صالحاً ولم يشرك بي شيئاً، ولم يتخذ من دوني أنداداً؛ ومن خشيني فهو آمن، ومن سامني فقد أعطيته ومن أقرضني جازيته، ومن توكل علي كفيته، إنني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد، قد أفلح المؤمنون، وتبارك الله أحسن الخالقين قالت: قد رضيت.

٩ ـ ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً، ووجد ريحاً منتنة. فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت جهنم تقول: رب آتني ما وعدتني. فقد كثرت سلاسلي، وأغلالي، وسعيري، وحميمي، وضريعي، وفساقي، وعذابي، وقد بعد قعري، واشتد حري، فآتني ما وعدتني.

قال: لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكل جبار لا يؤمن بيوم

الحساب قالت: قد رضيت.

فسار حتى أتى بيت المقدس.

إن الصور الأخلاقية الرمزية التي رآها الرسول ﷺ في مسراه تدلنا على أن التوجيه الإلهي لرسولنا العظيم ليتعرف بها على معالم دينه ومقوماته وليعلم منهـا أن الأخلاق مرتبطة بالدين ارتباطاً لا ينفصل، منه تتبع وعلى أساسه، تقوم وعنه تصدر.

إنها جزء من الدين الإسلامي، لا يتجزأ. مصدرها هو مصدر إلهي رباني.. وأن الدين الإسلامي بقرآنه الكريم وسنته الشريفة هو المقياس الصحيح للأخلاق الحسنة التي رضيها الله لعباده وهدى إليها.

وليس الضمير أو المصلحة العامة أو المصلحـة الشخصيـة كما يقـول بـذلـك المتعالمون.

فالضمير لا يصلح أن يكون أساساً ومقياساً للأخلاق، لأن الضمير ينمو ويتكون، ويصنع، وتتكيف نزعاته واتجاهاته بتكييف الثقافة والبيئة.

والمصلحة العامة لا تصلح أن تكون مرجعاً صحيحاً للأخلاق، ذلك أن كل من يتحدث باسم المصلحة العامة، إنما يتحدث عنها من وجهة نظره، وحسب تقديره. والتقدير الشخصي قد يكون صواباً وقد يكون خطأ.

وقاعدة التقدير على هذا الأساس تكون قاعدة غير مضمونة.

والذين يرجعون بالأخلاق إلى المصلحة الشخصية او إلى اللذة أو إلى المنفعة إنما هم يتحدثون بالفلسفات الغربية الملحدة.

رؤيا الهجرة:

أرشد الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ في منامه إلى طريق جديد في الدعوة، فأراه دار هجرته التي ستكون سبباً في نشر الدعوة ونصر الرسالة وإقامة الدين.

فقد روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: « رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي (أي ظني) إلى أنها اليمامة أو هجر (قاعدة البحرين) فإذا هي المدينة (يثرب) ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين. ورأيت فيها أيضاً بقراً، والله خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد، وثواب الصدق الذي أتانا الله به بعد يوم بدر ».

ولما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين ضاقوا ذرعاً بمقامهم بمكة.. فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأمر الرسول أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال: « إن الله عزّ وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها وقد أخبرت بدار هجرتكم، وهي يثرب. فمن أراد الخروج فليخرج إليها ».

فخرجوا أرسالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكة، ينتظر أن يأذن الله له في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة.

محاولة قتل النبي محمد ﷺ:

لما فشلت سياسة كفار قريش حيال محمد ﷺ ودعوته النامية، ولا سيما بعد حادث الإسراء والمعراج - لم يروا بداً من إتباع سياسة جديدة تهدف إلى قتل محمد والتخلص منه، فاجتمعوا للمرة العاشرة في مؤتمر كبير وخطير، وحضر إبليس مؤتمرهم الإجرامي، في زي أعرابي من نجد، ائتمروا ليرسموا خطة قتل محمد بطريقة مأمونة العاقبة.

اقترح عليهم إبليس أبو الشياطين أن يختاروا من كل قبيلة فتى شجاعاً، وفي لحظة واحدة ينزل كل الفتيان عليه بسيوفهم ضربة واحدة. فيتفرق بذلك دمه بين القبائل. فأطربهم الرأي، وأقسموا عليه باللات والعزى، واتفقوا على تنفيذه.

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. فلما جاء الليل بظلامه اجتمعوا على باب محمد يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه. فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي، وتمسح ببردي هذا الحضرمي، الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم. وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام.

وخرج عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب في يده وجعل الله تعالى على أبصارهم غشاوة حتى لا يراه أحد، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو الآيات من سورة يس: ﴿**يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم**﴾، إلى قوله تعالى: ﴿**فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾ حتى فرغ رسول الله ﷺ من هذه الآيات فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب. فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال لهم: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا محمداً. قال خيبكم الله، والله لقد خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته: أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب. ثم أخذوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش مسجى ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً، عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا.

فقام علي رضي الله عنه من الفراش. فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا ـ ثم خرجوا مذعورين مبهوتين مما حدث!!

الهجرة إلى المدينة

أذن الله لرسوله في الهجرة، بعد أن تجمعت قريش حول داره تحاول أن تقتله ﴿**وإذا يمكر بك الذين كفروا، ليثبتوك، أو يقتلوك، أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾.

خرج النبي ﷺ فألقى عليهم التراب، ومضى إلى بيت صاحبه (الصديق) فركبا إلى غار ثور، وهو جبل بأسفل مكة، فدخلاه واختبآ فيه ثلاثة أيام، وأنزل الله السكينة والأمن على نبيه وصحبه في الغار، وقال النبي لأبي بكر: «لا تحزن إن الله معنا» وكانت قريش تنهب الأرض نهباً وتتبع الآثار وتعرض مائة ناقة لمن يرده عليهم. وتصل قريش إلى باب الغار ثم ترتد عنه وقد غشاه العنكبوت، وباض على بابه الحمام: ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا. فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا**﴾.

وبعد ثلاثة أيام وقد ضل سعي الكفار عن رسول الله ﷺ وصحبه، خرج النبي ورفيقه أبو بكر من الغار ليلة الاثنين، الرابع من شهر ربيع الأول، وركبا راحلتيهما، إلى حيث أمر الله، وكان معهما عامر بن فهيرة، مولى أبو بكر، وعبد الله بن أريقط دليلهما.

وحيث كانت قريش في حمأة جنون البحث أقبل عليهم رجل من الجن من أسفل مكة، يتغنى بأبيات من شعر العرب الغنائي وكان الناس يتبعون صوته وما يرَوْنه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد

فلما سمعت قريش ذلك الصوت الشعري الغنائي عرفت وجهة محمد وصاحبه وأنها إلى المدينة، حيث أنصاره الجدد، فخاب ظنهم، وعميت بصائرهم وارتدت سهامهم إلى قلوبهم.

وفي ضحى يوم الإثنين المبارك الموافق الثاني عشر من ربيع الأول قدم رسول الله ﷺ وصحبه المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله عز

وجل بثلاث عشرة سنة .

ويقول رجال من أصحاب رسول الله ﷺ : لما سمعنا بخروج رسول الله من مكة كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسولنا الكريم ، فوالله كنا لا نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال . فإذا لم نجد ظلاً دخلنا وذلك في أيام حارة حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ـ وقدم رسول الله حين دخلنا البيوت ـ فكان أول من رآه رجل من اليهود ، فصرخ بأعلى صوته : « يا بني قيلة (أي الأنصار) هذا جدكم قد جاء » فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنه وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله قبل ذلك ـ وأقبل الناس وما يعرفونه من أبي بكر ـ حتى زال الظل عن رسول الله فقام أبو بكر ، وأظله بردائه ، فعرفناه بذلك ، ثم استقبلنا رسول الله ﷺ بالنشيد الآتي :

طلــع البــدر علينــا ... مــن ثنيـــات الوداع
وجــب الشكــر علينــا ... مــا دعــا لله داع
أيها المبعــوث فينــا ... جئـت بـالأمـر المطـاع
جئــت شرفــت المدينــة ... مــرحبـاً يــا خير داع

سار النبي ﷺ في طريقه على ظهر ناقته في جوف المدينة بين حفاوة المهاجرين والأنصار البالغة ، وترحيبهم العظيم ، فكانت كل قبيلة تحاول أن تعرض عليه نفسها ، لبأوي إليها وتنادي : هلم إلى المتعة والقوة والثروة يا رسول الله . فيقول لهم : خيراً . وناقته ماضية في طريقها ، وقد أرخى زمامها . فلم تزل سائرة به حتى بركت بمربد بني سهل وسهيل من بني النجار . ومن مبركها بنى النبي مسجده وعمل فيه بيديه . ثم بنى مساكنه إلى جواره ـ وأقام رسول الله ببيت أبي أيوب الأنصاري سبعة أشهر .

ثم بدأ عمله في المدينة بكتابة أمان ، وموادعة لليهود . ويعد هذا الأمان من

أعظم وثائق التاريخ الإسلامي. وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وآخى بين تسعين رجلاً من المهاجرين والأنصار، وظل الإخاء مقدماً على القرابة حتى اشتد ساعد الدعوة فنسخ التوارث المؤاخاة بعد غزوة بدر.

قال أنس بن مالك: «لما قدم النبي ﷺ، نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف. فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم إنه أرسل إلى ملأ من بني النجار. قال فجاءوا متقلدين سيوفهم. قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وأبو بكر ردفه، وملأ بني النجار حوله ـ حتى ألقى بفناء أبي أيوب ـ قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم ثم مرّ بالمسجد فأرسل إلى ملأ من بني النجار فجاءوا، فقال: «يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا» فقالوا: والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله. قال فكان فيه ما أقول لكم: كانت فيه قبور المشركين، وكان فيه حرث وكان فيه نخل ـ فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت وبالحرث فسويت وبالنخل فقطع ـ قال: فصفوا النخل إلى قبلة المسجد، وجعلوا عضاديته حجارة. قال: وجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة».

بيعة نساء أهل المدينة:

عن أم عطية فيما أخرجه الإمام أحمد والبخاري: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، جمع نساء الأنصار في بيت. ثم بعث إليهن عمر بن الخطاب. فقام على الباب فسلم، فرددن عليه السلام ـ فقال: «أنا رسول رسول الله ﷺ إليكن ـ قلن: مرحباً برسول الله ورسول رسول الله وقال: «تبايعن على ألا تشركن بالله شيئاً، ولا تزنين، ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينه في معروف». قلن: نعم فمددنا أيدينا من داخل البيت، ومد يده من خارج البيت. ثم قال: «اللهم أشهد» وأمرنا أن نخرج العتق والحيض، ونهى عن اتباع الجنائز ولا جمعة لنا».

اليهود يجادلون النبي:

عن أنس: أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء. فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي.. ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكل أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟

قال: «أخبرني به جبريل آنفاً» قال ابن سلام. ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة. فزيادة كبد الحوت، وأما الولد. فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد» قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قال يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي: فجاءت اليهود فقال النبي (ﷺ) أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: جدنا وابن جدنا وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبي ﷺ: «أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك فأعاد عليهم. فقالوا مثل ذلك، فخرج عليهم عبد الله بن سلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا ونقصوه قال: «هذا كنت ما أخافه يا رسول الله».

أخلاقيات الهجرة

هجرة رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة، هجرة إلى الله ورسوله، وهي بهذا المعنى هجرة روحية تتجاوز ظروف الزمان والمكان قبل أن تكون هجرة مادية تاريخية، فقد ترتب عليها قيام أعظم دين سماوي وأكبر رسالة روحية.

وهذه الهجرة ليست فراراً من الأعداء، ولكنها انتصار عظيم عليهم، إنها فرار إلى الله والفرار إلى الله انتصار.

والمسلمون مأمورون بالفرار إلى الله، أي الهجرة إليه قال تعالى: **﴿ففروا إلى الله، إني لكم منه نذير مبين﴾** وقال سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام: «إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم».

وقال سيد الخلق، وخاتم النبيين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل إمرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

وقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهي عنه».

فالهجرة إلى الله والفرار إليه من صفات المؤمنين الصادقين الفارين إلى الخير والمهاجرين إلى الحق ـ الخير الذي يعرف بمقياس الدين، والحق الذي يعرف عن طريق القرآن الكريم.

الفارون إلى الله بعلمهم، المهاجرون إليه بعملهم الصالح.

فالصلاة بحركاتها، وتلاوتها: هجرة إلى الله من ماديات الحياة.

والزكاة ذهاب إلى الله بذهاب جزء من المال إلى الله تعالى.

والصوم تزكية للنفس، وقربى إلى الله بابتعاد النفس عن ملذات الدنيا.

والحج تجرد إلى الله من ضغط الحياة.

وتتجلى صور هذه العبادات على اختلاف أنواعها في أروع مظاهر الهجرة الروحية إلى الله تعالى في قوله العظيم: **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾**

الدولة الإسلامية

لما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة، واطمأن بها، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار، استحكم أمر الإسلام، وانتقل إلى مرحلته الطبيعية: مرحلة الدولة الإسلامية ذات الطابع والدستور الإلهي.

فما كانت هجرته ﷺ وأصحابه إلى المدينة إلا من أجل تحقيق إرادة الجهاد المقدس في سبيل الله وإعلاء كلمته وإقامة حكمه بين الناس.

بدأت الخيوط البيضاء للدعوة والدولة تنمو، وتتزايد، وتتسع، وتنشر أنوارها، وترسل أضواءها وأشعتها الربانية بين شعب المدينة.. وبدأت رسالة السماء تعلن بقوة كلمة الله للناس جميعاً بالإيمان والخير والسلام، وتهيء لهم حياة مشرقة بالفضائل والآداب، فأقيمت الصلاة، وأعلن الآذان، وفرضت الزكاة، والصيام، وقامت الحدود؛ ففرق بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام، ووضح الخير والشر.

ثم قامت الدولة الإسلامية الجديدة على رسالة ورسول، على منهاج واضح وأسوة حسنة، على قواعد القرآن والسنة، ونبي القرآن والسنة، وبدأت تتضح معالمها لنظام اجتماعي واقتصادي وسياسي ديني جدي، أساسه محاسن الفضائل، ومكارم الأخلاق كالعدل والسلام، والإخاء، والرحمة، والرفق، والخير، والإحسان، والأمانة، والصدق والإخلاص، والوفاء، والعلم، والحلم، والعقل، والتسامح، والصلح، والكرم، والشجاعة، والمروءة، والصبر، والعفة، والعفو عن

الناس، والحياء، والاتحاد، والعزة، والتواضع، وإنكار الذات، وحفظ الجار، وبر الوالدين، وتوقير الكبير، والاعتراف بالفضل لذويه.

فقد كان منهج الرسالة هو القرآن الكريم، معجزة الله الباقية في الأرض إلى أن تقوم الساعة.. مثلا أعلى للكتب المقدسة، والرسالات السماوية.

فمن عظيم ما قاله الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ في قرآنه العظيم: «**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**» (سورة النحل).

ومن أخلاق القرآن ووصاياه: قول الله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾.

(سورة النحل)

﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر، والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾

(سورة البقرة)

﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾

(سورة الأعراف)

﴿**يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾.

(سورة الأعراف)

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ «أي دولتكم وقوتكم»
(الأنفال)

﴿وأولـو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ .
(الأنفال)

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ .
(الرعد)

﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾ .
(التوبة)

﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ .
(الأنفال)

﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ .
(يوسف)

﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً﴾ .
(البقرة)

﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق. قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة. كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ .
(الأعراف)

﴿وابتغ فيا آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ .
(القصص)

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ .
(البقرة)

﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ .

(البقرة)

﴿فلا تركوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ .

(النجم)

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ .

(آل عمران)

﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ .

(النساء)

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله﴾ .

(المائدة)

﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ .

(البقرة)

﴿فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

(الأعراف)

﴿واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ .

(البقرة)

﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾ .

(المائدة)

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فعليها﴾ .

(الإسراء)

﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ .

(الرعد)

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

(الحجرات)

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن. ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ . (الحجرات)

﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ .

ونختم هذه الآداب والوصايا والأحكام والأخلاق الإلهية بهذه الآيات الكريمة ونكتفي بذلك.

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا. ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا، وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا: إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً، وإما تعرضن عنهم إبتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً،

ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر؛ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق؛ نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً، ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا، وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا، ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ـ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ـ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ (سورة الإسراء).

وقد كان رسول الإسلام هو القدوة الصالحة للرسالة والدعوة والقرآن بين الناس جميعاً مثل أعلى للخلق الذي يدعو إليه من خلال آياته، ومبادىء الدين الجديد.

فقد كان رسول الإسلام والقرآن سيدنا محمد ﷺ أحسن الناس أخلاقاً، وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم أمانة وأبرهم وعداً وعهداً وأشجعهم رأياً، وأجودهم كفاً وبذلا، وأكرمهم عطاء، وأعدلهم قضاء، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً وكان يقول: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً».

لقد مدحه الله تعالى بقوله الكريم: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** وفي قوله تعالى **﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾** وفي خطابه تعالى إلى أمة محمد **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾**.

ـ ومدحته زوجته خديجة وهي أول امرأة دخلت في الإسلام فقالت: «إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق».

ـ ومدحه خادمه أنس فقال: « خدمت النبي ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا . . . وهلا فعلت كذا » .

ـ وقال: « إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وكان إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه. ولم يرَ مقدما ركبتيه بين يدي جليس له يعني أنه ينحفظ مع جلسائه فلا يتكبر » .

وعن عائشة أنها قالت: « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً . فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم، وما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى .

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه » .

وفي رواية أخرى: « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

وعن جرير أن النبي ﷺ قال: « إن الله عز وجل ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق (الحمق) وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق، ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا الخير كله » .

وعن عبد الله بن الحارث: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ .

وعن أنس: كان رسول الله أصدق الناس خلقاً، وكان لي أخ فطيم، يسمى أبا عمير ـ لديه عصفور مريض اسمه النغير، فكان رسول الله يلاطف الطفل الصغير ويقول له: يا أبا عمير ما فعل النغير؟

ـ والمعروف في شمائل الرسول ﷺ أنه كان سمحاً لا يبخل بشيء أبداً،

شجاعا لا ينكص عن حق أبداً، عدلاً لا يجوز في حكم أبداً، صدوقاً أميناً في مراحل حياته كلها.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنا كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق نتقي برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى عدو منه.

ـ كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الطبع لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فاحش ولا عياب ولا مداح.

ـ وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله: ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك».

ـ وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «ما صحبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم».

وكان يمازح أصحابه، ويخالطهم، ويجاريهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره.

ـ ويجيب دعوة الحر، والعبد، والأمة، والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

ـ وكان يكرم من دخل عليه، وربما بسط رداءه له، ويؤثره بالوسادة التي تحته.

ـ وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، وكان يكنيهم ويدعوهم بأحب أسمائهم، تكرمة لهم، ولا يقطع على أحد حديثه.

ـ وعن أنس كان النبي ﷺ إذا أتى بهدية قال: اذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة خديجة، إنها كانت تحب خديجة.

ـ وكان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

ـ وعن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصا.. فقمنا له فقال: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضا».

وعن أبي قتادة: لما جاء وفد النجاشي قام النبي ﷺ يخدمهم فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم».

ـ وقال: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد». وكان يركب الحمار، ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، ويجلس حيث انتهى به المجلس.

ـ وحج رسول الله ﷺ على رحل رث، عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة.

ـ وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة، يعرض عمن تكلم بغير الحسنى.

ـ وكان ضحكه تبسماً، وكلامه فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير.

ـ وكان ضحك أصحابه عنده التبسم، توقيراً له واقتداء به.

مجلسه مجلس حلم وخير وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تخدش فيه الحرم، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير.

قال ابن أبي هالة: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر، وقالت عائشة: كان يحدث حديثاً لو عده العاد أحصاه.

لقد بعث الرسول ﷺ لتتمم مكارم الأخلاق، التي خلقها الله تعالى لعباده وهدى إليها. وهي أسس دين الله تعالى.

وببعثه، وإتمامه لآداب الله وفضائله وأخلاقه بين الناس، تم دين الله لهم؛ إذ لا دين بغير خلق ـ ولا خلق بغير دين، كما أنه لا حياة بغير خلق ودين مجتمعين.

فكان دستور الدولة الإسلامية هو قرآن الله وسنة رسوله القائمين على الأخلاق والفضائل الإلهية، ومن هذا الدستور: العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج وهي اركان الإسلام.

وهذه العبادات ليست طقوساً بقدر ما هي تربية وتعويد وإكساب للأخلاق، والاداب.

فالصلاة المفروضة قبل أن تكون عبادة فهي خلق طيب؛ لأنها تنهي عن الفحشاء والمنكر، وذلك بالابتعاد عن الرذائل والتطهير من سوء القول، وسوء العمل: فقد قال الله تعالى: ﴿**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر**﴾.

وقال النبي ﷺ فيما برويه عن ربه: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم ببت مصراً على معصبتي، وقطع النهار في ذكرى، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب».

فالذي يقف للصلاة بدون خشوع ولا أدب ولا تواضع لله فلا يقبل الله له صلاة لأنه لا أدب عنده ولا أخلاق له، والذي يتطاول على الناس بالإثم والبغي والعدوان وببيت مصراً على عدوانه ومعصبة الله: لا تقبل له صلاة، لأنه مجرم عدو الأخلاق، والذي لا يرحم المسكين وابن السبيل والأرملة والمصاب لا تقبل صلاته، لأنه نزعت من قلبه الرأفة والرحمة فلبس على شيء من الأخلاق.

وإبتاء الزكاة: خلق طب، وعبادة اجتماعبة لأنها تغرس، في النفوس مشاعر الرأفة والرحمة والحنان والعطف وتطهرها وتزكيها لربها، قبل أن تكون عبادة دىنىة. فالمزكي عن نفسه وماله، وعمن بعول، إنما يزكي الله عن طريق مساعدته الناس في كل الظروف، بما بعبنهم وينفعهم في شؤون حباتهم.

قال الله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ فتنظيف النفس مں ادران النقص، والنسامي بالمجتمع إلى مستوى أفضل وأنبل هو الحكمة من الزكاة والصدقات.

- ولقد بينَ لنا سيدنا رسول الله ﷺ أنواعاً من الصدقة فقال: «تبسمك في وجه اخىك صُدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة،

وإرشادك الرجل في أرض الضلال: لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق: لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك: لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة».

- والصيام خلق طيب، وأدب جم، لأنه تقرب روحي، ومحبة الله تعالى. قال النبي ﷺ: «ليس الصيام على الأكل والشرب. إنما الصيام عن اللغو والرفث. فإن سابك احد أو جهل عليك فقل إني صائم».

والقرآن العظيم يوضح لنا فضل الصوم فيقول: «وأن تصوموا خير لكم».

والحج خلق عظيم. قبل أن يكون عبادة ذات سفر ومناسك، لأنه تجرد روحي وخلقي لله تعالى من الفسوق والعصيان والجدال والرفث. قال تعالى: ﴿**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب**﴾

ومنها المعاملات:

١ - فيقول ﷺ في الرجل الذي ينكب، جيرانه ويرميهم بالسوء: «والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه».

٢ - وفي المحافظة على الجار: ورد عن النبي ﷺ، أن رجلاً قال له: يا رسول الله ان فلانة تذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها. غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال: «هي في النار» ثم قال: يا رسول الله. فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وانها تتصدق بالأثوار من الأقط (بالقطع من الجبن) ولا تؤذي جيرانها. قال: «هي في الجنة».

٣ - ويقول ناهيا عن اللغو والثرثرة والهذر: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

٤ ـ ويقول موجهاً إلى خلق الحياء: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر».

وفي الأدب مع الناس فقد سأل أصحابه يوماً: أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام. ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

ويضرب لنا مثلاً في أن الخلق الحسن يمحو الخطايا فيقول: «الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل».

ويقربرا لصلة العبادة بالأخلاق الحسنة يقول ﷺ: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان».

وقال في رواية أخرى: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم».

وقال كذلك: أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر».

وفي الحث على التخلق بالأخلاق الحسنة:

ـ عن أسامة بن شريك قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير: ما يتكلم منا منكلم. إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «أحسنهم خلقاً».

ـ وفي رواية أخرى: ما خير ما أعطى الإنسان؟ قال: «خلق حسن».

ـ وقال « الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس اسلاما احسنهم خلقا ».

ـ وسئل أي المؤمنين اكمل إيمانا؟ قال: « أحسنهم خلقاً ».

ـ وعن عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ألا أخبركم باحبكم الي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة: فأعادها مرتين أو ثلاثاً ـ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « أحسنكم خلقاً ».

وقال « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن: إن الله يكره الفاحش البذيء. وإن صاحب الخلق الحسن ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة ».

ـ وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة. واشرف المنازل. وإنه لضعيف العبادة ـ وإنه ليبلغ لسوء خلقه اسفل درجة جهنم ».

ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ».

وفي رواية أخرى: « إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار »

ـ وعن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله بحسن خلقه وكرم طبيعته ».

ـ وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: « كرم المؤمن: دينه ومروءته: عقله وحسبه: خلقه ».

ـ وروي عن أبي ذر: « قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليماً، ولسانه صادقاً، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة ».

بدأت الدعوة تقوى وتنتشر، وبدأ نظام الدولة يتضح بخططه في أهدافه ووسائله، وبدأ مع هذا صراع جديد يواجه المسلمين في بناء دينهم ودولتهم، صراع من نوع آخر يختلف عمّا لقيه المسلمون بمكة.

فقد كان في المدينة يهود وهم قوم جدلون خصمون ـ وقد طال جدلهم وطال بهم التآمر بعد أن أظهر الله أمر رسوله.

فقد نصب أحبار يهود لرسول الله ﷺ العداوة بغياً وحسداً وضغناً لما خصّ الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم، وانضم إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كانوا على ضلالة وجاهلية. فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالرسالة والرسول. إلا أن الإسلام قهرهم. بظهوره، وجرفهم بإيمان قومهم به، فتظاهروا بالإسلام واتخذوه ستراً ووقاية لهم من القتل. فنافقوا في السر وكانت قلوبهم مع اليهود، وأفواههم مع المسلمين يقولون بأفواههم ما لس في قلوبهم.

وكانت أحبار يهود ينصبون أنفسهم لمجاهدة الرسول في رسالته، ودينه، فكانوا يكثرون سؤاله، ويتعنتونه، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل. فكان القرآن ينزل فيما يسألون عنه إلا قليلا من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها.

١ ـ فها هو بنتل بن الحارث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى بنتل بن الحارث؛ حيث كان رجلاً جسيماً، أسود، ثائر شعر الرأس، أحمر العينين، أسفع الخدين. فكان يأتي رسول الله ويتحدث إليه فيسمع منه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين. وهو الذي قال: إنما محمد أذن، من حدثه شيئاً صدقه، فأنزل الله عز وجل فيه: **﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن، قل أذن خير لكم يؤمن بالله، ويؤمن للمؤمنين، ورحمة للذين آمنوا منكم، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾**.

وهذا عبد الله بن أبي بن سلول. وكان رأس المنافقين الذي قال: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» في غزوة بني المصطلق وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها.

٢ ـ وكان ممن تعوذ بالإسلام ودخل فيه من المسلمين وأظهره. وهو منافق من أحبار يهود: زيد بن اللصيت. الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسوق بني قينقاع، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته!! فقال ﷺ ـ وقد جاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله، ودل الله تبارك وتعالى رسوله الكريم على ناقته ـ: «إن قائلاً قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها». فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كما وصف.

٣ ـ ورافع بن حريملة، وهو الذي قال عنه الرسول ﷺ حين مات: «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين».

٤ ـ وكان حي بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب من أشد يهود العرب حسداً؛ إذ خصهم الله تعالى برسوله ﷺ وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى فيهما: **﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، فاعفوا، وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾**.

٥ ـ وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم. فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض. فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً، وفي هؤلاء من أحبار

اليهود والمنافقين من الأوس والخزرج، نزل صدر سورة البقرة إلى الآية المائة منها.

٦ ـ وكان يهود يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ـ فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور، أخو بني سلمة: يا معشر يهود: اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك.

وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي نذكره لكم. فأنزل الله في ذلك من قولهم: **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾** .

٧ ـ وقال رافع بن حريملة، ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ: «يا محمد ائتنا: بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: **﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾** .

٨ ـ ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ. فقال رافع ابن حريملة: ما أنتم على شيء وكفر بعيسى وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء وجحد بنبوة موسى، وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: **﴿وقالت اليهودُ ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء. وهم يتلون الكتاب، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾** .

٩ ـ وقال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ: أيا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول. فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله تعالى في ذلك من

قوله: ﴿**وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتنا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون**﴾ .

١٠ ـ ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ـ وقد صرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ ـ أتى رسول الله ﷺ رفاعة بن قيس وآخرون ـ فقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها؟ وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك. وكانوا يريدون بذلك فتنته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ .

النصارى يناقشون الرسول ويحاجونه:

قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران، وهم ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم وهم:

(١) العاقب: أميرهم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، واسمه عبد المسيح.

(٢) وسيد كتابهم وصاحب مجتمعهم. واسمه الأيهم.

(٣) وأبو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل. أسقفهم، وحدهم، وإمامهم، وصاحب مدارسهم.

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم. ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه، ومولوه، وأخدموه، وبنوا له الكنائس وبسطوا له الكرامات؛ لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له موجهاً إلى رسول الله ﷺ وإلى جنبه أخ له يقال له كوز بن علقمة فعثرت بغلة

أبي حارثة . فقال كوز : تعس الأبعد : يريد رسول الله ﷺ : فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست . فقال : ولم يا أخي ؟ قال : والله إنه للنبي الذي كنا ننتظر . فقال له كوز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم : شرفونا ومولونا وكرمونا . وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منّا كل ما ترى ، فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة ـ حتى أسلم بعد ذلك .

ولما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة ـ دخلوا عليه مسجده حين صلى العصر وكان عليم ثياب الحبرات (جبب وأردية) في جمال بني الحارث بن كعب ، وقد حانت صلاتهم . فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون ، فقال رسول الله : دعوهم ، فصلوا إلى المشرق .

فكلم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح والايهم السد ـ وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف في أمرهم يقولون : هو الله ، ويقولون هو ولد الله ، ويقولون هو ثالث ثلاثة .

ـ فهم يحتجون في قولهم : « هو الله » بأنه كان يحي الموتى ، ويبرىء الأسقام ويخبر بالغبوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً طائراً .

ـ ويحتجون في قولهم : « إنه ولد الله » بأنهم يقولون لم يكن له أب معلم ، وقد تكلم في المهد ، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم .

ـ ويحتجون في قولهم : « إنه ثالث ثلاثة » يقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا وقضينا . فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلت وقضيت وأمرت وخلقت فلما كلمه الحبران ـ قال لهما رسول الله ﷺ : اسلما . قالا : قد أسلمنا . قال : إنكما لم تسلما فأسلما . قالا : بلى قد أسلمنا قبلك . قال : كذبتما . يمنعكما من الإسلام دعاؤه لله ولدا ، وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير ـ قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ فلم يجبهما فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها .

ولما أمر رسول الله ﷺ بما أمر من ملاعنتهم دعاهم إلى ذلك فقالوا له: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما تريد أن تفعل فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه، ثم خلوا بالعقاب ـ وكان صاحب الرأي فيهما ـ فقالوا له: يا عبد المسيح. ماذا ترى؟

فقال: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وأنه للاستئصال منكم إن فعلتم. فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا رسول الله ﷺ. فقالوا: يا أبا القاسم. قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ـ ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنكم عندنا رضا.

فبعث النبي ﷺ معهم أبا عبيدة الجراح، وقال له: «أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه».

جهاده ﷺ

إن نبي الرحمة هو نبي الجهاد ـ لأن جهاده كان في سبيل الله، وكل ما كان في سبيل الله فهو رحمة .

وسنتحدث إجمالاً عن جهاد رسول الله ﷺ ، وغزواته في سبيل الله لنقف على أخلاقه ﷺ في حربه كما وقفنا ، وسنقف على أخلاقه في سلمه .

فقد كان رسولنا العظيم صلوات الله وسلامه عليه شجاعاً مقداماً لم يتراجع في غزوة قط، وكان الأبطال يتراجعون، والصناديد من المهاجرين والأنصار يفرون أحياناً ولكنه ﷺ كان يثبت ثبات الجبال الراسيات لا يتزحزح عن موقفه ولا يزول عن مكانه، وقد ثبت في مكانه في غزوة أحد التي غلب فيها المسلمون. ووقف ثابتاً في غزوة حنين، وقد فرّ المسلمون على كثرتهم إذ ذاك وكيف لصاحب رسالة أن يفر وأن يتراجع وهو أوثق الناس برسالته وجهاده وربه . ومع ذلك فقد كان رحيماً في حربه مع أعدائه كما هو رحيم في سلمه بالناس جميعاً .

فقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إنه بلغه أن رسول الله ﷺ ، كان إذا بعث سرية، اي فرقة من الجيش، يقول لهم: « اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله . لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً » .

فقد كان المسلمون في حروبهم لا يقتلون امرأة ولا صبيا ، ولا كبيراً هرماً ولا يقطعون شجراً مثمراً ، ولا يخرجون عامراً ، ولا يعقرون شاة، ولا بعيراً الا

لمأكلة، ولا يحرقون نخلاً، ولا يغرقونه، ولا يغلون، ولا يجبنون.

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بطولة رسول الله ﷺ وشجاعته وصبره على الجهاد والبلاء: «كنا إذا حمى الوطيس، أي (الحرب) اتقينا برسول الله ﷺ ـ أي احتمينا به وفبه، فيكون أقربنا إلى العدو».

وكان صلوات الله وسلامه عليه مع التجائه إلى ربه وتفويضه الأمر إليه تعالى كان يحكم الأمر تماماً بحيث لا يدع في نغرة. ثم يدعو الله ويتضرع إليه ويستغيث به ويستنجز وعده بالنصر. فينصره الله تعالى.

غزوة بدر

وكانت غزوة بدر الكبرى أول معركة حربية في الإسلام، وأول صدام حقيقي بين المسلمين والكافرين حيث تجلت روعة الإيمان، وقوة اليقين، وكانت معجزة النصر التي قدمت المثل العالي لثبات المؤمن، ونصرة الحق، وهزيمة الباطل.

خرج رسول الله ﷺ بجيش من المسلمين عدده مائة وثلاثة عشر رجلاً على سبعين بعيرا لثمان خلون من رمضان من السنة الثانية من الهجرة حتى نزلوا بدراً ـ فاتخذوا مكانهم ومواقعهم في مواجهة جيش المشركين الذي بلغ عدده ألفاً من الرجال.

وفي صبيحة يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان نشبت الحرب بين المسلمين والكفار في بدر، والتقى الجمعان ـ وقد أيد الله رسوله بالآيات والملائكة والمطر ثم امده بالنصر.

انتصر المسلمون في بدر حين بلغت قوة العقيدة في نفوس المؤمنين منزلة تسمو على صلات الرحم. فقد كان الرجل منهم يقتل أباه، أو أخاه، أو عمه من المشركين. لا تأخذه فيه شفقة أو رحمة ـ وقتل بلال معذبه وواضع الحجر على صدره: (أمية بن خلف)، وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصا فرمى بها قريشاً

وهو يقول: (شاهت الوجوه)، ونصر الله المسلمين نصراً مؤزراً، وأذل الله رقاب المشركين ببدر.

اعتز المسلمون بهذه الغزوة حتى أسموها: «غزوة الفرقان؛ لأن الله سبحانه وتعالى فرق بها بين الحق والباطل وأعز الله بها دينه وأذل أعداءه». فقتل رؤوس قريش، وأسر كبراؤهم مع قلة عدد المسلمين وقلة أسلحتهم.. وقد ألقى نصر الله للمسلمين في بدر الفزع والرعب في قلوب القبائل والبطون، ومن ثم بدأ اليهود يأتمرون فأخذهم رسول الله بالقوة بعد أن لم تفلح المهادنة فقتل المسلمون منهم أبا عفك، وعصماء وكعب بن الأشرف. وقد كانوا يعيبون الإسلام ويؤذون النبي.

ثم حاصر المسلمون بني قينقاع فأجلوهم عن المدينة.

غزوة أحد

أرادت قريش ان تثأر لنفسها من بدر، فأخذت تتجهز وتتهيأ لقتال المسلمين. فسارت جموعهم إلى المدينة وبلغ خبرها إلى رسول الله ﷺ قبل أن تتحرك. فشاور أصحابه فقال بعضهم بالتحصن بالمدينة ورأى البعض الآخر لقاء العدو خارج المدينة.

ولكن رسول الله ﷺ لبس درعه وتقلد سيفه فتراجع المسلمون إلى الرأي القائل بالبقاء في المدينة فقال النبي الشجاع الجريء الحاسم: «قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم وما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه. انظروا ما آمركم به فاتبعوه والنصر لكم ما صبرتم».

وخرج المسلمون إلى أحد. وفي الطريق تخاذلت كتيبة ابن سلول فقفلت راجعة إلى المدينة. وكان ذلك من الخير فلا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك. والتقى الجمعان بعد أن وضع رسول الله ﷺ الرماة فوق الجبل وأمرهم ألا يبرحوا أماكنهم.. انتصر المسلمون أو هزموا.

وقاتل المسلمون مستبسلين حتى إذا ظهرت علائم النصر وبدأ المسلمون يغنمون عندئذ ترك الرماة أماكنهم فاغتنمها الكفار فرصة فأغاروا على الباقين منهم فقتلوهم وداروا برجالهم وراء جيش المسلمين ومن ثم دارت الدائرة على المسلمين.

وقد حدث أن اجتمع على رسول الله ﷺ نفر من المشركين يرجمونه بالأحجار والنبال، وهو يدافع عن نفسه بقوسه وأصحابه يذودون عنه وشجت جبهته وشظيت رباعيته ودميت شفتاه، ودخلت حلقتان من مغفرته في وجنته وسمع ﷺ يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

وكان انهزام المسلمين في غزوة أحد: شذوذاً في القاعدة. وما كان ذلك إلا لأنهم خالفوا متأولين ـ أوامر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ غير أن ثقته بربه لم تفارقه لحظة واحدة؛ إذ أنه بعد أن انهزم المسلمون في غزوة أحد مباشرة أمرهم صلوات الله وسلامه عليه بلم شعثهم وتضميد جراحهم والاستعداد فوراً لمعركة من جديد.

غزوة الأحزاب

عندما اغتر المشركون بالنصر الذي أحرزوه في أحد جمعوا جموعهم من جديد وساروا ليضربوا المدينة فجأة ـ ولكن رسول الله ﷺ علم بالأمر. فتشاور مع صحابته ـ وكان رأي سلمان الفارسي أن يحفروا خندقاً بمدخل المدينة ليعوق الجيش المهاجم.

فقام المهاجرون والأنصار يتقدمهم الرسول ويعمل معهم بالفأس في حفر الخندق قبل وصول الجيش المعتدي.

وأقبلت قريش في عشرة آلاف مقاتل ومعهم حلفاؤهم من بني كنانة وقبائل تهامة وغطفان ونجد وكان جيش المسلمين لا يزيد عن ثلاثة آلاف مقاتل.

وقف المعتدون على مقربة من الخندق نحو شهر وهم يحاولون اقتحام الخندق

والإغارة على المسلمين وقد اشتد الأمر على المسلمين وذلك قوله تعالى: **﴿وإذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾** .

أما المؤمنون فقد قالوا حين رأوا الأحزاب: «هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً».

عندئذ جاء نصر الله للمسلمين فأرسل الله جنوده فجاءت الريح العاتية والعاصفة الصرصر فاقتلعت خيام المشركين والأحزاب وكفأت قدورهم وملأت نفوسهم رعباً وفزعاً فتطيروا ودب في نفوسهم اليأس وقفلوا راجعين إلى بلادهم خاسرين خائبين وكفى الله المؤمنين القتال نعمة منه وفضلاً.

صلح الحديبية

تتابعت الحوادث فأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتأهب للحج بمكة وسر المسلمون لذلك لما في نفوس المهاجرين من حنين إلى مكة وما في نفوس الأنصار من شوق إلى بيت الله الحرام.

فتجمع المسلمون على الفور وساروا في ألف وخمسمائة رجل إلى مكة قاصدين بيت الله الحرام تعظيماً له وزيارة وتكريماً وكانوا راغبين في السلام والأمن وكان ذلك بعد الهجرة بست سنوات.

ساقوا أمامهم الهدى ـ الخراف وغيرها ـ لإطعام الفقراء والمساكين. ولبسوا ملابس الإحرام لتأمن الناس ويطمئنوا ويعلموا أن رسول الله ﷺ خرج زائراً ومعظماً للبيت ولم يخرج محارباً.

وعلمت قريش بخبر خروج الرسول وصحبه فخرجت لمنعه وأصحابه من دخول مكة ولو أدى ذلك إلى الحرب ـ ولكن حدث أن دارت المفاوضات بين الجانبين وحرص رسول الله ﷺ على السلم، لأن نيته كانت الحج لا الحرب فقبل

التعاهد معهم على أن يعود هو ومن معه من أتباعه دون حج في هذا العام ويكون لهم الحج في العام المقبل مع بعض شروط أخرى ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

ولكن قريشاً غدرت بعهدها فنقضت صلح الحديبية فأنزل الله تعالى هذه الآيات:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم. إنا فتحنا لك فتحاً مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ ، ففرح المسلمون واستبشروا لما في هذه الآيات من رضوان إلهي على نبيه ، وبشرى من الله بفتح مبين، ونصر عزيز وهدى، ونعمة وغفران .

وهذه المنح الإلهية لرسول الإسلام قد فسرها بعض المسلمين بفتح مادي حربي يعود على الإسلام بالخير ، وفسرها البعض الآخر بمعاني روحية سامية، ومثل عليا من الصور الأخلاقية والسمو النفساني تعود على بني الإسلام، وقد فسرها البعض الثالث بالمعنيين معاً .

رؤيا الفتح وغزوة الفتح

ثم بعد هذه الآيات خبر عظيم . فقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد ﷺ مناماً بأنه سيدخل مكة فاتحاً آمناً ، فقص رؤياه على أصحابه ففرح المسلمون بهذه الرؤيا الصادقة التي تبشرهم بدخول مكة آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين غير خائفين، وصدق الله رسوله الرؤيا بالحق، فدخل مكة فاتحاً بجيش من المسلمين عدده عشرة آلاف رجل دون حرب ولا مشقة .

كان أول ما فعل بعد دخوله مكة أن طاف بالبيت سبعاً ثم دخل البيت فرأى فيه صور الملائكة على هيئة نساء، ورأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها . فقال: قاتلهم الله : جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام . . . ما شأن ابراهيم والأزلام؟ ـ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً

مسلماً، وما كان من المشركين .

وأمر بطمس الصور كلها واتجه إلى الأصنام فحطمها مردداً قول الله تعالى: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾ .

العفو عند المقدرة:

لقد دخل الرسول ﷺ مكة فاتحاً ظافراً ومظفراً في قوة عظيمة وقدرة من الله هائلة . وكان في استطاعته أن ينتقم لربه ولرسالته، ولنفسه ولأصحابه ولكنه كان رسولاً المعفو عن الناس وللعفو عمن ظلمه وأهانه .

فحينما اجتمعت قريش إليه نظر إليهم وقال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم . فقال وهو يبكي: اذهبوا فأنتم الطلقاء، أقول لكم ما قاله أخي يوسف لإخوته: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين» .

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله، يا سيد العافين والمتسامحين والكرماء .

غزوة حنين

أقام رسول الله ﷺ بمكة، ولم يلبث أن أرسل السرايا الى القبائل لنشر دين الله وتحطيم الأصنام . فأرسل خالد بن الوليد، وأرسل علي بن أبي طالب ثم علم النبي ﷺ أن (حنين) تستعد لغزو مكة فبادرهم في اثني عشر ألفاً من المسلمين، تحركوا زاحفين إلى حنين ـ وقد ملأهم الإعجاب بالكثرة والعدد، فوصلوا مع المساء فنزلوا على أبوابها حتى أصبح الصباح وقالوا لن نغلب اليوم من قلة ولكنهم ما لبثوا أن انحدروا حتى واجهتهم عاصفة من النبال في عماية الصبح، فاختلط أمرهم وانفرجت صفوفهم، وانقلبوا فارين ورسول الله في مؤخرة الجيش . يرى هده الجموع وقد أخذت تفر وتنحدر من حوله يميناً وشمالاً وهو واقف على فرسه

ثابت كالطود، يردد في رباطة جأش قولته البالغة:

« أنا النبي لا أكذب. أنا ابن عبد المطلب ».

وأدنى إليه العباس وأخذ يلقي إليه أن ينادي: يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة: إن محمداً حي فهلموا ـ ورددت جنبات صوته أنحاء الوادي وأجاب المسلمون (لبيك. لبيك).

وسمع المسلمون كلمة البيعة، فعادوا في قوة واستبسال، ونزل بعضهم عن أفراسهم، وشدوا على العدو في عنف وقوة واستماتوا وقد اشتد عودهم فلم يستطع خصومهم أن يثبتوا على المقاومة طويلا.

ونظر رسول الله ﷺ فرأى رجاله يقبضون على ناصية الموقف ونادى: « الآن حمى الوطيس. إن الله لا يخلف رسوله وعده » وذلك قول الله تعالى: **﴿ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله، وعلى المؤمنين﴾**.

واستشهد عدد كبير من المسلمين في هذه الغزوة، وأسر المسلمون، وغنموا أكثر مما غنموا في أي معركة من قبل.

غزوة تبوك

بعد المعارك الطويلة والكثيرة داخل الجزيرة مع قريش وحلفائها. خرج المسلمون إلى لقاء الروم في جيش تعداده ثلاثون ألفاً. وكان جيش الروم يزيد على مائة ألف.

في هذه الغزوة كان الناس في عسرة، وكانت الأرض مجدبة ـ فتخلف بعض المسلمين ولكن إيمان الرسول ﷺ بالحق جعله يمضي إلى الغزوة برغم كل العقبات، والصعاب، والمشاق.

وعندما وصل الجيش المحمدي إلى تبوك لم يجد فيها أحداً من الأعداء فقد تحصن الروم خلف حدود الشام، وجاءه في تبوك يوحنا بن روبة موفداً من هرقل، فصالح النبي على الجزية، وكان معه وفد كبير من أهل أيلة ـ وكان نصراً مبيناً بدأ بعده نور الإسلام يسطع خارج الجزيرة العربية.

عام الوفود:

لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من حنين وتبوك. وأسلمت ثقيف وبايعت. وعرفت العرب أنه لا طاقة لها بحرب الرسول ﷺ، ولا بعداوته.

عندئذٍ أخذت وفود العرب تأتيه من كل مكان مبايعين له وكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً، حتى سمي هذا العام بعام الوفود ـ ومن ثم لم يعد للمشركين بمكة مقام

الحج الأكبر

لما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة أذن في القبائل بالحج فأخذوا يتجهزون ويعدون العدة لذلك.

وفي الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة العاشرة من الهجرة تجمع مائة ألف مسلم من شبه الجزيرة وساروا متطلعين إلى بيت الله الحرام ملبين محرمين فلما اجتمعوا في عرفات استقبلهم رسول الله ﷺ وعلمهم مناسكهم وسنن حججهم، وخطب فيهم خطبته الجامعة. وفي هذه الحجة أنزل الله قوله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** فلما سمعها أبو بكر رضي الله عنه أخذ يبكي لأنه فهم من هذه الآية الكريمة أن رسالة النبي ﷺ قد تمت، وأن يوم لقائه بربه قد قرب.

مرضه ﷺ

رجع رسول الله ﷺ بعد أن أتم الله عليه نعمة الحج الأكبر، وبعد أن شهدت هذه الأفواج الضخمة معه هذا الموسم وأخذ يعد العدة لغزو الروم بقيادة أسامة بن زيد.

وإذا برسول الله ﷺ يمرض فيطول مرضه، ويضطرب الأمر بالمسلمين ثم ينتقل إلى بيت عائشة، وتشتد به الحمى، ويخرج إلى المسجد معصباً في صباح يوم الاثنين، ثم يعلو منبره ويقول للناس: «إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا والآخرة، وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، إني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي وأكرم يداً من أبي بكر. وأني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً: ولكن صحبة وإخاء وإيمان حتى يجمع الله بيننا (انفذوا بعث أسامة) يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيراً فإن الناس يزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم كانوا عيبتي التي آويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا من مسيئهم».

وفاته ﷺ

تقول عائشة رضي الله عنها ـ رجع إلي رسول الله ﷺ في ذلك اليوم (يوم الاثنين) حين دخل من المسجد فاضطجع في حجري فدخل علي رجل من آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظراً عرفت أنه يريده. فقلت يا رسول الله أتحب أن أعطيك هذا السواك، قال: نعم، فمضغته له حتى لينته ثم أعطيته إياه فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ـ ثم وضعه ووجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجري فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخص وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة، فقلت خيرت فاخترت والذي بعثك بالحق».

لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ـ وجاء أبو بكر فنظر إلى وجه رسول الله ، وهو مسجى في برده فقبله وقال: « بأبي أنت وأمي يا رسول الله ـ ما أطيبك حياً وما أطيبك ميتاً » .

عمره عليه الصلاة والسلام

عن عكرمة عن ابن عباس قال:

ـ « بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه القرآن وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة » . رواه أحمد والبخاري

أخلاقه وشمائله

ﷺ

كرم الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أعظم تكريم، وأثنى عليه في كتابه الكريم، وكلامه القديم، القرآن العظيم: الثناء الخالد، إلى يوم الدين فقال تعالى مخاطباً نبيه الحبيب:

١ - **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** .

٢ - **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** .

٣ - **﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله﴾** .

٤ - **﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾** .

(الأحزاب)

٥ - **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** .

(الأحزاب)

٦ - **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾** .

(الأحزاب)

٧ - ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله خاتم النبيين﴾ .

(الأحزاب)

٨ - ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله، وتعزروه، وتوقروه، وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ .

(الفتح)

٩ - ﴿والذين آمنوا به، وعزروه، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ .

١٠ - ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ .

(الفرقان)

١١ - ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ .

(الفتح)

١٢ - ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمور﴾ .

(آل عمران)

١٣ - ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ .

١٤ - ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين. والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا - ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما﴾ .

(النساء)

١٥ - ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ .

(الأعراف)

١٦ - ﴿وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً﴾ .

(النساء)

١٧ - ﴿وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ .

(الجمعة)

١٨ - ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ .

١٩ - ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ .

وقال ﷺ عن نفسه:

١ - «أدبني ربي فأحسن تأديبي» .

٢ - «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .

٣ - «إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق» .

٤ - «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» .

٥ - «أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة» .

٦ - «أرسلني الله للناس كافة وأرسلني رحمة للعالمين» .

ارسله الله سبحانه وتعالى بالهدى ودين الحق، وسلحه بمحاسن الفضائل ومكارم الأخلاق، وأمده بمعجزة القرآن العظيم. فحفظه وطبقه وعلمه وبينه ءامتزج به روحا وقلبا وجسما وتخلق أخلاقه. فامتزج به القرآن عقيدة وأخلاقاً وتشريعا. ومن كان خلقه القرآن العظيم مأدبة الله في الأرض كان أسوة حسنة، وكان على خلق عظيم

كان رسول الله ﷺ أكثر الناس شجاعة وإقداماً وأحسنهم عقلاً وخلقاً، واجودهم خيراً وفضلاً ونبلا، وأعظمهم حياء وتواضعاً، وألينهم جانباً وأطيبهم حديثاً، وكان أعلم الناس، وأشدهم خشية لله تعالى.

كانت حياته كلها لله. فكان قمة في كل شيء. في العلم والحلم والصدق

والأمانة والوفاء والعدل والرحمة والإخلاص والإحسان، والخير والتقوى والفضائل والأخلاق العالية والتربية المتكاملة لجوانب العقيدة والأخلاق والتشريع ـ تخلق بأخلاق أكمل كتاب رباني فكان أكمل رسول.

كان أجود الناس كفاً وبذلاً، وأجرأهم صدراً، وأصدقهم لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة.

وقال ﷺ:

٧ ـ «إن الله عز وجل اصطفى من ولد إبراهيم (إسماعيل)، واصطفى من بني إسماعيل (كنانة)، واصطفى من بني كنانة (قريشاً) واصطفى من قريش (بني هاشم)، واصطفاني من (بني هاشم)».

٨ ـ «كنت نبياً، وآدم بين الماء والطين، إني عبد الله وخاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته. إني دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى ورؤيا أمي».

٩ ـ «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. إلا أن الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلني من خير قبيلة ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً، وأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً».

١٠ ـ «وأنا محمد، وأنا أحمد، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، والحاشر، والمقفى، ونبي الملاحم».

١١ ـ «إن مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ـ فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء. فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ـ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

١٢ ـ « إنما مثلي ومثل أمتي . كمثل رجل استوقد ناراً . فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه » .

١٣ ـ « وقال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير ، فكان أجود ما يكون في شهر رمضان . إن جبريل عليه السلام كان يلقاه كل سنة في رمضان حتى ينسلخ ويعرض عليه ﷺ القرآن . فإذا لقيه جبريل ، كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة .

١٤ ـ وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً . فقد خدمته مدة عشر سنين في السفر والحضر والله ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا اشيء لم أصنعه لم تصنع هذا هكذا ؟ .

١٥ ـ وقال موسى بن أنس عن أبيه (ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه قال فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال : يا قوم اسلموا ، فإن محمداً ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة .

١٦ ـ وعن أبي سعيد الخدري قال : (كان رسول الله ﷺ أشد الناس حياء من العذراء في خدرها وكان ، إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه) .

١٧ ـ وقالت عائشة رضي الله عنها : « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كاز أبعد الناس عنه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل » .

١٨ ـ ومن أخلاقه ﷺ : أنه مرّ على رجل من الأنصار كان كثير الحياء فعاتبه أخوه ووعظه أن يقلل بعضاً من حيائه حتى لا يمنعه حياؤه الكثير من استيفاء بعض حقوقه ، فرد النبي ﷺ قائلاً له : « دعه فإن الحياء من الإيمان » .

١٩ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق » .

٢٠ ـ وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيم ببيت في ربى الجنة

لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه».

٢١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

التوراة تبشر بسيدنا محمد ﷺ وتثني عليه:

كرم الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ في التوراة بالنص الآتي:

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأميين ـ أنت عبدي ورسولي، أسميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعيناً عمياء وآذاناً صماء وقلوباً غفلا.

ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني».

الإنجيل يبشر بسيدنا محمد ﷺ:

بشر إنجيل عيسى عليه السلام بسيدنا محمد ﷺ، وقد وضح الله سبحانه وتعالى ذلك في القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، كما وضحه في الإنجيل الذي أنزله على رسوله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام. فقال تعالى في كتابه الكريم العظيم في سورة الصف:

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم، مصدقاً لما بين يدي من التوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾.

وقال ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى».

وقد جاء هذا التبشير صراحة بإنجيل (برنابا) أحد الأناجيل المتداولة وهو

يطابق ما جاء على لسان عيسى بن مريم في القرآن والإنجيل. ونشرنا ذلك في صفحات ٦٥، ٦٦، ٦٧ من هذا الكتاب.

ولو ظهر إنجيل المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام للناس في الماضي أو في الحاضر، لقرأ الناس ولقرأنا حتماً وبالضرورة التبشير بنبينا العظيم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، ولكن أين هو إنجيل عيسى؟ إنه غير موجود في الأرض.

الهندوسية والبوذية والمجوسية تبشر بنبوة سيدنا محمد ﷺ:

انبعث نور البشائر بمبعث نبينا الكريم، ورسولنا الهادي الأمين: سيدنا محمد نبي الرحمة والهداية، قبل ظهوره ﷺ، وقبل ظهور المسيح عليه السلام بآلاف من السنين، على لسان رجال الأديان القديمة.

ونذكر هنا البشارة الهندوسية القديمة التي ظهرت في بلاد الهند قبل مبعثه ﷺ بألفي سنة، وقبل ظهور المسيح بألف وخمسمائة سنة نقلاً عن كتاب البشائر لمؤلفه صارم الهندي، وقد نقلها من كتاب الفيدا الهندي، وقد جاء فيها ما يأتي: في (كلجك) يولد هادٍ كبير في الثاني عشر من الشهر القمري (سدى ماه بيساكي) يوم الاثنين في الصباح، ويكون في هذا العهد في إيران (ساكوديب) ملك عادل.

وفي (متهرا وكاشي وكناج) بلاد مشهورة في الهند. حكومة الضالين. (مليجة راج) ويكون اسم أبيه (وسنوبس) عبد الله واسم أمه (سومتى) آمنة ويموت أبوه قبل مولده. وأمه في طفولته، ويبدأ عبادة الله في الجبل، ويجيئه إذ ذاك (برش رام) روح الله ليعلمه، وتخطبه أميرة (سينل ديب) ويكون عمه وثلاثة من إخوانه أحياء في ذلك الحين، ثم يصعد على براق إلى السموات، فيشاهد منها ما شاء الله، ثم يروح إلى جبال الشمال (أنر).

وشرح هذه البشارة: أن النبي الكريم، ولد صباح يوم الاثنين. وهو اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وكان في إيران في ذلك الحين ملك عادل اشتهر عدله

وهو (أنو شروان) وكانت في الهند وقت ذاك حكومة الضالين (آنية تواريخ) ألفه (راجه شيوه برشاد) وكان اسم أبيه عبد الله، واسم أمه آمنة، وتوفي أبوه قبل ولادته، وماتت أمه وهو في السادسة من عمره وتعبد الله أولاً في غار حراء. وهو من جبال مكة، وأتاه هناك جبريل عليه السلام، وقال له: إقرأ. قال: ما أنا بقارىء.. الخ»، وقد خطبته لنفسها السيدة خديجة. وكانت سيدة قومها ـ وكان عمه أبو طالب حياً وكذلك إخوانه الثلاثة علي وعقيل وجعفر.

وقد عرج إلى السماء على البراق في ليلة الإسراء، ثم هاجر من مكة إلى جبال الشمال أي إلى المدينة المنورة.

ونذكر كذلك البشارة البوذية التي ظهرت قبل ميلاد المسيح بخمسمائة سنة وقد كتبت في كتاب بوذي مقدس اسمه (مها واكبا) جمع وصايا (كوتم بوذا) مؤسس الديانة البوذية، فعندما حضرت (كوتم بوذا) الوفاة بكاه تلميذه المخلص له (آتد) وقال له:

يا سيدي: من يعلم الناس طريق الهدى بعدك؟.

فأجاب كوتم بوذا: أنا لست أول الهداة، ولا آخرهم، بل سيجيء بعدي هادٍ آخر الزمان، وهو رجل كريم منور مطهر، عاقل، يبين الحقائق الأبدية التي بينتها لكم، ويدين بدين كامل.

آتد: وكيف نعرفه؟

كوتم بوذا: يكون اسمه محمداً «متريا» ولقبه: «رحمة للعالمين».

وأيضاً البشارة المجوسية: فقد جاء في كتاب الدين المجوسي: «نامه شست سانين» ما يأتي:

سيولد في العرب رجل كبير يأخذ أصحابه حكومة إيران، ويطهر بيت إبراهيم من الأصنام، ويصلي إلى جهة الكعبة، ويكون لأصحابه سلطة كبيرة على البلاد، ويدخل في دينه رجال من إيران ومن البلاد الأخرى.

وجاء في الدساتير « كتا للمجوس » في شأنه ﷺ : « ويطهر بيت آدم، ويصلي إلى الكعبة ، ويستولي أصحابه على بلاد الفرس » .

الفاتيكان والكنيسة البابوية يكرمون الإسلام ونبي الإسلام:

أصدر مجمع الفاتيكان الثاني بموافقة أمراء الكنيسة تصريحاً بالإجماع، هذا نصه : (تنظر الكنيسة بعين الإكرام إلى المسلمين الذين يعبدون الله ، الأحد ، الحي القيوم، الرحمن، القدير، فاطر السموات والأرض، الذي كلم البشر، فالمسلمون دأبهم التسليم من صميم نفوسهم لأحكام الله الخفية، كما استسلم لله إبراهيم الذي يتخذونه لإيمانهم اسوة مستحبة » . « أجل أنهم لا يدينون بيسوع إلهاً، ولكنهم يجلونه نبياً . كما أنهم يكرمون والدته السيدة العذراء مريم، وهم إلى ذلك يترقبون يوم الدين، يوم يجازي الله جميع الناس بعد إذ يبعثون. ومن ثم فهم يراعون مكارم الأخلاق، ويعبدون الله ، خصوصاً بالصلاة ، والصيام ، والزكاة » .

محمد ﷺ

دعوة إبراهيم عليه السلام

يحكي القرآن الكريم أن إبراهيم الخليل، وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام كانا يدعوان الله: **﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾** (سورة البقرة) فاستجاب الله هذه الدعوة. فأرسل في العرب رسولاً منهم، معلماً وحكيماً ومزكياً وأمينا. بل شاهدا ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

يقول النبي ﷺ: (أنا دعوة أبي إبراهيم)

من صفاته الخلقية ﷺ

كان رسول الله ﷺ كثير الضراعة والابتهال، دائم السؤال لله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، فكان يقول في دعائه:

(اللهم حسن خَلقي وخُلقي).

(اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخُلق).

(اللهم جنبني منكرات الأخلاق).

فاستجاب الله دعاءه وفاء بقوله عز وجل: **﴿ادعوني أستجب لكم﴾**. فأنزل عليه القرآن، وأدبه به. فكان خلقه القرآن.

قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها ـ فسألتها عن اخلاق رسول الله ﷺ . فقالت: « أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى . قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن» وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض الجاهلين﴾** وقوله: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾** وقوله: **﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾** وقوله: **﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾** . وقوله: **﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾** . وقوله: **﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر لكم﴾** . وقوله: **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾** . وقوله: **﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾** . وقوله: **﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضكم﴾** .

ولما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد، أخذ الدم يسيل على وجهه، فكان يمسح الدم ويقول: « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى: **﴿ليس لك من الأمر شيء﴾** تأديباً له على ذلك وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا حصر لها وهو عليه الصلاة والسلام المقصود الأول بالتأديب والنهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق؛ فإنه تأدب بالقرآن وأدب الخلق به، ولذلك قال ﷺ : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ولما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** . فالله تعالى زينه بالخلق الكريم وأجرى على لسانه عليه الصلاة والسلام هذا الحديث العظيم: « **إن الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها** » .

كان ﷺ أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه .

وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من

يعطيه، وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه.

وقد كان يخصف نعله، ويرقع ثيابه، ويخدم في البيت، وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ويكافىء عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه. كان يؤثر على نفسه لا فقراً ولا بخلاً ـ يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس.

وكان أشد الناس تواضعاً، وأسكنهم في غير كبر، وأبلغهم في غير تطويل وأحسنهم بشراً، لا يهوله شيء من أمور الدنيا. ويلبس ما وجد. فمرة شملة، ومرة برد حبرة يمانيا، ومرة جبة صوف، ما وجد من المباح.

وخاتمه فضة، يلبسه في خنصر يده اليمنى واليسرى ـ يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم. ويتألف أهل الشرف بالبر لهم.

وكان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، لا يجفو أحداً، يقبل معذرة المعتذر إليه. يمزح ولا يقول إلا حقاً، يضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره ـ يسابق أهله، وترفع الأصوات عليه فيصبر وكان له عبيد وأماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى. أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه ـ لا يحتقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوياً قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة.

ومما رواه أبو البختري، قالوا: ما شتم رسول الله ﷺ أحداً من المؤمنين

بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة، وما لعن امرأة قط ولا خادماً بلعنة ـ وقيل له وهو في القتال، لو لعنتهم يا رسول الله؟ فقال: « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً ».

وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر، عام أو خاص، عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له.

وما ضرب بيده أحداً قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى، وما انتقم من شيء صنع له قط إلا أن تنتهك حرمة الله، وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما، وإلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم. فيكون أبعد الناس من ذلك. وما يأتيه أحد حراً كان، أو عبداً، أو أمة ألا قام معه في حاجته.

وقال أنس رضي الله عنه: « والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته، ولا لامني نساؤه ألا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر ».

قالوا: وما عاب رسول الله ﷺ مضجعاً، إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض.

وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأول فقال: (محمد رسول الله عبديَ المختار، لا فظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه. دعاه للقرآن والعلم، يتوضأ على أطرافه وكذلك نعته في الإنجيل).

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومن استوقفه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ.

وكان إذا لقي أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة، ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها.

وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله.

وكان لا يجلس إلبه أحد وهو يصلي إلا خفض صوته وأقبل عليه فقال: ألك حاجة؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته.

ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه، لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس.

وما رؤي قط ماداً رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه.

وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة.

وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه علبه.

وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

وكان يدعو أصحابه بكناهم، وإكراماً لهم واستمالة لقلوبهم. ويكني من لم تكن له كنية، فكان يدعى بما كناه به، ويكني أيضاً النساء اللاتي لهن أولاد واللاتي لم يلدن يصبغ لهن السكنى، ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم.

وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً.

وكان أرأف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس، ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات.

وكان إذا قام من مجلسه قال: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك» ثم يقول علمنيهن جبريل عليه السلام.

أخلاقه ﷺ وآدابه في الكلام:

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «بعثت بجوامع الكلم» فكان أفصح

الناس منطقاً وأحلاهم كلاماً، ويقول: «أنا أعرب العرب، وأنا أفصح العرب» وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد ﷺ.

وكان نزر الكلام، سمح المقالة، إذا نطق ليس بمهذار.

قالت عائشة رضي الله عنها: «كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا: كان كلامه نزراً، وأنتم تنثرون الكلام نثراً».

وكان أوجز الناس كلاماً، وبذاك جاءه جبريل، وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول، ولا تقصير. كلام يتبع بعضه بعضاً.

بين كلامه توقف، يحفظه سامعه ويعيه.

وللترمذي من حديث عائشة: «كان كلام النبي ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه، وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة».

وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة، ولا يقول المنكر، ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق، ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره.

وكان إذا سكت تكلم جلساؤه، ولا يتنازع عنده في الحديث، ويعظ بالجد والنصحة ويقول: «لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه أنزل على وجه» أي أن القرآن يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض.

وفي رواية في ذم الكلام: إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض.

وفي رواية له: أفبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟.

وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف».

وكان أكثر الناس تبسماً، وضحكاً في وجوه أصحابه، وتعجباً مما حدثوا. وخلطا لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه! وكان ضحك أصحابه

عنده التبسم اقتداء به وتوقيراً له .

وكان إذ سر، ورضي: فهو أحسن الناس رضا ، فإن وعظ وعظ بجد ، وإن غضب فلا يغضب إلا لله .

وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله ، وتبرأ من الحول والقوة ، واستنزل الهدى فيقول: « اللهم أرني الحق حقاً ، وارزقني اتباعه ، وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشتبه علي ، فاتبع هواي بغير هدى منك ، واجعل هواي تبعاً لطاعتك ، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية ، واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

أخلاقه وآدابه في الطعام:

كان ﷺ يأكل ما وجد ، وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف ، والضفف ما كثرت عليه الأيدي .

وكان إذا وضعت المائدة قال: « بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة » .

وإذا فرغ من الطعام قال: « الحمد لله اللهم لك الحمد ، أطعمت فأشبعت ، وسقيت فأرويت ، لك الحمد غير مكفور ، ولا مودع ، ولا مستغنى عنه » .

وكان إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه ، كما يجلس المصلي إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول: « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » . وكان لا يأكل الحار ويقول: « إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه » . وكان يأكل مما يليه ويأكل بأصابعه الثلاث ، وربما استعان بالرابعة ولم يأكل بإصبعين ويقول: « إن ذلك أكلة الشيطان » .

وكان يشرب في ثلاث دفعات ، وله فيها ثلاث تسميات ، وفي أواخرها ثلاث

تحمبدات . وكان يمص الماء مصاً ولا يعب عباً .

وكان في بيته أشد حياء، ولا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل، وما أعطوه قبل، وما سقوه شرب . وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو بشرب .

أخلاقه وآدابه في اللباس:

كان ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك .

وكان يعجبه الثياب الخضر، وكان أكثر لباسه البياض ويقول: « ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم » .

وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول: « إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد » .

وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة .

وكان يتختم وربما خرج . وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء، وكان يختم على الكتب ويقول: « الخاتم على الكتاب خير من التهمة » .

وكانت له عمامة تسمى السحاب .

وكان إذا لبس ثوباً لبسه من قبل ميامنه ويقول: « الحمد لله الذي كساني، ما اواري به عورتي وأتجمل به في الناس » وإذ نزع ثوبه أخرجه من مياسره .

وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول: « ما من مسلم يكسو مسلماً من سمل ثيابه، لا يكسوه إلا لله، إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما وراه حياً وميتاً » .

عفوه ﷺ

كان ﷺ أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع المقدرة .

١ ـ فقد روى أنس: أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها. فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت أردت قتلك. فقال: «ما كان الله ليسلطك على ذلك». قالوا أفلا تقتلها؟ قال: (لا).

٢ ـ وروى جابر أنه ﷺ كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال ـ فقال له رجل: يا رسول الله إعدل.. فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل. فقد خبت وخسرت إن كنت لا أعدل» فقام عمر فقال ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي».

٣ ـ كان رسول الله ﷺ ذات مرة نائماً في ظل شجرة. فدنا منه رجل من أعداء الله، وأيقظه من نومه، وشرع سيفه في وجهه وقال له: من يمنعك مني؟ قال ﷺ: «الله»، فسقط السيف من يده. فالتقطه رسول الله ﷺ ورفعه على الرجل وقال له: «من يمنعك أنت مني؟» فقال الرجل: عفوك، فعفا عنه ﷺ، فرجع الرجل إلى أصحابه وقال لهم: جئتكم من عند خير الناس.

٤ ـ وقال ﷺ: «إن الله تعالى جعلني عبداً كريماً، ولم يجعلني جباراً عنيداً».

٥ ـ وقد سجل الله ذلك لنبيه فقال سبحانه وتعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر﴾**.

٦ ـ وكان ﷺ يقول: «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

سخاؤه ﷺ

كان ﷺ أجود الناس، وأسخاهم، وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا.

وقد وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: « كان رسول الله أجود الناس كفاً، وأوسعهم صدراً، وأصدقهم لهجة، وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أرَ قبله ولا بعده مثله، وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه، وإن رجلاً أتاه فسأله، فأعطاه غنماً، سدت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه وقال: أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة، وما سئل شيئاً قط فقال: لا ».

وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها، فما رد سائلا حتى فرغ منها.

وجاء رجل فسأله. فقال: « ما عندي شيء ولكن ابتع علي. فإذا جاءنا شيء قضيناه، فقال عمر: يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه. فكره النبي ﷺ ذلك. فقال الرجل: « أنفق ولا تخشى من ذي العرش إقلالا » فتبسم النبي ﷺ، وعرف السرور في وجهه.

شجاعته ﷺ

كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، وأنجدهم، وأجرأهم صدراً.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً ».

وقال أيضاً: « كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ».

ومن حديث ابن عمر قال: « ما رأيت أنجد، ولا أجود، ولا أشجع، ولا أرمى من رسول الله ﷺ ».

وقال عمران بن حصين: « ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب.

وقالوا: كان قوي البطش، ولما غشيه المشركون في غزوة حنين، نزل عن بغلته وأخذ يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» فما رؤي يومئذ أحد أشد منه.

تواضعه ﷺ

كان رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعاً، وكان في سلوكه سمحاً، ليناً هيناً، يحب التواضع، ويحبب الناس فيه بأحاديث كثيرة منها:

- «ما نقصت الصدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً. وما تواضع الله إلا رفعه الله».

- «ألا أخبركم بأهل الجنة. كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره» أي لو دعاه لأجابه.

- «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد».

- ولقد جمل الله نبيه بالتواضع واللين، فكان يعفو عن الناس إذا أساءوا إليه.

- خرج رسول الله ﷺ على جماعة ذات يوم فقاموا له إجلالاً واحتراماً، فقال ﷺ: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً».

- وكان رسول الله ﷺ يبغض الناس في الكبر، وينهاهم عنه ويروي ﷺ عن ربه أنه قال: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار».

ويقول ﷺ: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء».

ويقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر».

ويقول: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه (يتكبر ويحتقر الناس) حتى يكتب في الجبابرة.

كان ﷺ يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم . فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه ، حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً يعرفه الغريب فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه .

وقالت له عائشة رضي الله عنها : كل ـ جعلني الله فداك ـ متكئاً فإنه أهون عليك . فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض . ثم قال : « بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » .

وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال لبيك .

ومن مظاهر التواضع التي دعا إليها رسول الله ﷺ . أن تبدأ الناس بالسلام وترد على تحياتهم بأحسن منها ، وأن تزور من قطعك وتحسن إلى من أساء إليك وأن تلين معهم بالكلام وتعاملهم بالرفق .

فهو ﷺ يقول : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

ويقول : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » .

دعوته إلى المحبة والسلام والتراحم

جعل سيدنا محمد ﷺ إلقاء السلام ورد السلام وحب السلام من أهم فروع الإيمان ليمتلىء المجتمع سلاماً ووئاماً ومحبة . ثم ليتقارب الناس ويتحابوا وليسهل اجتماعهم على معاني الرحمة وحب الخير والتعاون على البر .

ولقد تحدث رسول الله ، ورسول الإسلام عن شعار المسلمين وتحيتهم فقال :

« لما خلق الله آدم قال : اذهب فسلم على أولئك (نفر من الملائكة) فاسمع لما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال لهم : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فكان السلام تحية لأمتنا ، لأهل ذمتنا . وشعاراً للمسلمين

يفيـدان دينهم دين السلام والأمان » .

وكان سيدنـا محمد ﷺ يسلم على الرجـال والصبيـان والنسـاء ويحمـل السلام للغائبين عنه ويتحمل السلام لمن يبلغه إليه ـ وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويرد عليه مثل تحيته أو أفضل منها .

وهذه طائفة من أحاديثه الشريفة يدعونا بها أن نبدأ غيرنا بالتحية والسلام:

« والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا . أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

« ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه » .

« يا أيها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » .

« إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه : فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه » .

وسئل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير ؟ فقال: « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

وإذا كان إلقاء السلام سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ فإن رده فريضة لازمة .

فالله تعالى يقول: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾ أي إذا سلم عليكم أحد محيياً لكم فواجب عليكم أن تردوا التحية بتحية مثلها أو أحسن منها وأفضل فـإن قال السلام عليكم فالرد بمثلها (وعليكم السلام) والرد الأفضل (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) .

ويقول ابن عباس رضي الله عنه: « من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسياً ».

وصدق الله تعالى إذ يقول للمسلمين: **﴿ولا تقولوا لمن ألقى عليكم السلام لست مؤمناً﴾**.

وقال ﷺ لأنس: « يا بني إذا دخلت على أهلك فتسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك ».

وقال ﷺ: « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة ».

وقال ﷺ: « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا ».

وفي رعاية الوالدين يقول ﷺ:

« إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات »:

« كل الذنوب يؤخر الله ما يشاء منها إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجل لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات ».

« ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين ».

« يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار، ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة ».

وقل ﷺ: « إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه ».

وفي رعاية الأزواج يقول النبي ﷺ:

« استوصوا بالنساء خيراً ».

« الرجل في أهله راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة في مال زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها ».

« إن حسن طاعة المرأة لزوجها وطلبها مرضاته وأتباعها موافقته يعدل ذلك » .

« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله » .

وفي رعاية الأولاد قال ﷺ :

« الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

« من كانت له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها ورباها فأحسن تربيتها وغذاها فأحسن غذاءها كانت له وقاية من النار » .

وفي رعاية الأرحام قال ﷺ :

« اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم » .

« إن أفضل الفضائل : أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك » .

روي عن رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى أنه قال في حديث قدسي : **« أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته »** .

وقال ﷺ : « أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح (أي الذي يضمر عداوته) » .

وفي تحريم الأذى قال ﷺ :

« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

« لبس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء » .

« طوبى لمن يشغله عيبه عن عيوب الناس » .

« إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » .

« كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

« إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال ﷺ : « لو سبق صاحبه لقتله » .

وفي المحبة قال ﷺ :

« لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا » .

« والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

« من أحب الله وأبغض لله وأعطى الله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » .

« المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس » .

والمتحابون في الله أحباب الله ولهم عنده منزلة خاصة لقوله ﷺ : قال الله عز وجل : **﴿وجبت محبتي للمتحابين فيّ﴾** .

« إذا كان يوم القيامة نادى منادي من قبل الحق تبارك وتعالى : **﴿وأين المتحابون فيّ؟ أين المتزاورون فيّ؟ أين المتجالسون فيّ؟ اليوم أظلهم بجلالي يوم لا ظل إلا ظلي﴾** .

﴿ما تحاب رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه﴾ .

﴿ومن السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله . رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه﴾ .

﴿ما من عبد أتى أخاه يزوره في الله إلا ناداه من السماء أن طبت وطابت لك الجنة﴾ .

(إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء . يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى) . قيل يا رسول الله خبرنا عنهم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم ـ قال ﷺ : « هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال

بتعاطون بها . فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس . ثم قرأ ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ .

وفي الحفاظ على الجار :

سئل رسول الله ﷺ ما حق الجار على الجار ؟ فقال :

« إن استقرضك أقرضته ، وان استعانك أعنته ، وإن مرض عدته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، وإن مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها ، وإن اشتريت فاكهة فأهد له ، وإن لم تفعل فادخل بها سراً ، ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده » .

ـ ويقول : « الجيران ثلاثة · جار له حق ، وهو المشرك له حق الجوار ، وجار له حقان ، وهو المسلم له حق الجوار ، وحق الإسلام ، وجار له ثلاثة حقوق : مسلم له رحم يعني قرابة . له حق الجوار ، وحق الإسلام ، وحق الرحم » .

وقالت عائشة للنبي : « إن لي جارين ، فإلى أيهما اهدي ؟ فقال : أهدي أقربهما منك باباً » .

صورته وصفته ﷺ

كان من صفة رسول الله ﷺ ، أنه لم يكن بالطويل ، ولا بالقصير ، بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها ، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ، ونسب هو عليه الصلاة والسلام إلى الربعة .

وأما لونه . فكان أزهر اللون ، ولم يكن بالآدم ، ولا بالشديد البياض ـ

والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة، ولا حمرة، ولا شيء من الألوان.

ونعته عمه أبو طالب فقال:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ونعته بعضهم، بأنه مشرب بحمرة. فقالوا: إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة، والأزهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه.

وكان عرقه ﷺ في وجهه كاللؤلؤ، أطيب من المسك، وأما شعره، فقد كان رجل الشعر حسنه، ليس بالسبط، ولا بالجعد القطط. وكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل، وكان إلى شحمة أذنيه، وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشر شعرة ما زاد على ذلك.

وكان ﷺ أحسن الناس وجهاً وأنورهم، لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر.

وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته، وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول:

أمين مصطفى للخير يدعو	كضوء البدر زايله الظلام

وكان ﷺ واسع الجبهة، أزج الحاجبين، سابغهما، وكان أبلج ما بين الحاجبين ـ كأن ما بينهما الفضة الخالصة.

وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما، وكان في عينيه تمزج من حمرة، وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها، وكان أقنى العرنين. أى مستوي الأنف. وكان مفلج الأسنان. أي متفرقها، وكان إذا افتر ضاحكاً، افتر عن مثل البرق إذا تلألأ.

وكان من أحسن عباد الله شفتين، وألطفهم ختم فم، وكان سهل الخدين

صلبهما ـ ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم، كث اللحية، وكان يعفي لحيته ويأخذ من شاربه .

وكان من أحسن عباد الله عنقاً، ولا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه الشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة، وفي حمرة الذهب.

وكان ﷺ عريض الصدر، لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً كالمرآة في استوائها، وكالقمر في بياضه، وكان عظيم المنكبين أشعرهما، ضخم الكراديس (اي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين) .

وكان واسع الظهر، ما بين كتفيه خاتم النبوة، وهو ما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس.

وكان عبل العضدين والذراعين، طويل الزندين، رحب الراحتين، سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان الفضة. كفه ألين من الخز ـ كأن كفه كف عطار طيباً، مسها بطيب أو لم يمسها، يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه.

وأما مشيه ﷺ ؛ فكان يمشي كأنما ينقلع من صخر وينحدر من صبب، يخطو تكفيا ويمشي الهوينى بغير تبختر (والهوينى تقارب الخطا) .

وكان ﷺ يقول: «أنا أشبه الناس بآدم ﷺ وكان أبي إبراهيم ﷺ أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً».

وكان ﷺ يقول: «إن لي عند ربي عشرة أسماء، أنا محمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد، وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمي، وأنا رسول الرحمة، ورسول التوبة، ورسول الملاحم، والمقفى قفيت الناس جميعاً وأنا قثم»

قال أبو البختري: والقثم الكامل الجامع.

معجزاته الدالة على نبوته ﷺ

١ ـ أخلاقه تدل على نبوته:

من شاهد أحـواله ﷺ، وأصغـى إلى سماع قصتـه، وأخبـاره المشتملـة على أخلاقه، وأفعاله، وعاداته، وسجاياه، وسياسته مع جميـع النـاس، وهـدايتهـم، وتألفهم، وقيادتهم إلى السمع والطاعة. بالإضافة إلى ما يحكى من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة، ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي عجز ويعجز عن دقائقه الفقهاء والعلماء والفصحاء.

من فعل ذلك لم يبق له ريب في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية. بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوة إلهية ـ وإن ذلك كله لا يتصور لكذاب أو مخادع.

بل كانت شمائله وأحواله ﷺ شواهد قاطعة بصدقه، حتى إن العربي القح كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذاب!!.

فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله ـ فكيف من شاهد أخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره وموارده.

وإنما أوردنا بعض أخلاقه لنعرف محاسن الأخلاق، وليتنبه لصدقه عليه الصلاة السلام، وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله، إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب، ولم يسافر قط في طلب علم، ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيماً ضعيفاً مستضعفاً: فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب... ومعرفة مصالـح الفقـه مثلاً فقـط دون غيره مـن العلوم. فضلاً عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وغير ذلك من خواص النبوة، لولا صريح الوحي؟!.

ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك . فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية .

٢ ـ انشقاق القمر:

سالت قريش محمداً ﷺ آية صادقة على رسالته مصدقة لنبوته . فخرق الله العادة على يديه وأعطاه آية عظيمة فانشق القمر بمكة أمام الناس دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿**قربت الساعة وانشق القمر وأن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾

٣ ـ نبع الماء من بين أصابعه:

أمر الله سبحانه وتعالى الماء أن ينبع من بين أصابعه الطاهرة في أكثر من مشهد وفي أكثر من حالة ليبين للناس صدق ما نزل إليهم على يدي نبيه .

فقد قال ابن عباس: كان النبي ﷺ في سفر فشكا أصحابه العطش فقال إئتوني بماء فأتوه بإناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فشربوا وتوضئوا وحمدوا الله .

وفي خروجه ﷺ وأصحابه إلى قباء، عطش معسكره فشكوا إليه ذلك، فأتى بقدح صغير فيه ماء ثم وضع يده فيه فنبع الماء بكثرة فقال: « هلمّ إلى الشرب » .

قال أنس بصر عيني نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدح حتى رووا منه .

ومن حديث معاذ إهراقه وضوءه عليه الصلاة والسلام في عين تبوك التي لا ماء فيها ، وكذا من حديث سلمة بن الأكوع في بئر الحديبية بأن رسول الله ﷺ دعا بنبع الماء فيها فجاشتا بالماء . فشرب من عين تبوك الجيش وعدده ثلاثون ألفاً حتى رووا وشرب وتوضأ من بئر الحديبية ألف وخمسمائة رجل ولم يكن فيها قبل ذلك ماء ، وقصة الحديبية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: « عطش الناس يوم الحدبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة . فتوضأ فجهش الناس فأسرعوا

وتكاثروا نحوه فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة. فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت: (كم كنتم؟) قال: (لو كنا مائة ألف لكفانا ـ كنا خمس عشرة مائة).

٤ ـ البركة في الطعام:

في غزوة الخندق وقد استمر حصار المشركين للمسلمين في المدينة حوالي ثلاثين يوماً وقد اشتد الحال فيها على المسلمين فعز طعامهم. فانزل الله على رسوله وعلى المؤمنين آية كبرى هي البركة في الطعام ـ فقد أكل المسلمون العاملون في حفر الخندق وعددهم ألوف من قصعة كانت تملأ وتثور بالطعام الطيب الذي كان يخرج من بين يدي رسولنا الكريم في هذه القصعة.

وقد حدث مثل ذلك فأطعم عدداً كثيراً من الناس من قصعة لحم وثريد في منزل جابر وكذا في منزل أبي طلحة. كما أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير، ومرة أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها أنس في يده، ومرة عسكر الجبش من تمر ساقته بنت بشير في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم.

وأمر عليه الصلاة والسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم جميعاً منه وبقي منه فحبسه.

وقل زاد جيش كان معه عليه الصلاة والسلام فدعا بجميع ما بقي. فاجتمع شيء يسير جداً فدعا فيه بالبركة. ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملىء من ذلك.

٥ ـ إصابة الرمي وفاعليته:

وفي غزوة بدر الكبرى أمد الله نبيه بمعجزة كبرى زيادة عن المعجزات

الأخرى في هذه الغزوة فأعطاه دقة الرمي وإصابة المرمى وفاعليتها .. فأخذ بقبضة من تراب، ورمى جيش الكفار بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فوصل التراب في عين المشركين فعميت وبذلك نزل القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾

٦ ـ إبطال الكهانة:

أبطل الله الكهانة بمبعثه ﷺ وكذا أبطل استراق السمع من السماء .

٧ ـ حنين الجذع:

الذي كان يخطب إليه لما عمل له المنبر، وقد سمع هذا الحنين جميع أصحابه، وكان صوت الحنين مثل صوت الإبل . فضمه إليه ﷺ فسكن .

٨ ـ إخباره بالغيوب:

كان من آيات الله عليه ومعجزاته له الدلالة على صدق نبوته ﷺ : إخباره بالغيوب . فقد أخبر بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة، وبأن عماراً تقتله الفئة الباغية، وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين، كما أخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله : أنه من أهل النار فظهر ذلك بأن الرجل قتل نفسه .

وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله .

وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه .

واتبعه سراقة بن مالك في طريقه أثناء هجرته من مكة إلى المدينة ولحق به فساخت قدما فرسه في الأرض، فاستغاث برسول الله وقطع عهداً بأنه لا يتعرض له ولا يضره إن دعا له وعفا عنه ـ فدعا له الرسول . فخرج الفرس من الأرض

وانطلق عائداً من حبث أتى ـ وأنذره بأنه سيوضع في ذراعيه سوار كسرى فكان كذلك.

وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له.

ودعا شجرتين فأقبلتا نحوه واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا.

ودعا عليه الصلاة والسلام النصارى إلى المباهلة (المناظرة) فامتنعوا، لأنه أعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا.

وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك، وأربد بن قبيس، وهما فارسا العرب وفاتكاهم، عازمين على قتله عليه الصلاة والسلام فحيل بينهما وبين ذلك. فدعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك أربد بصاعقة أحرقته.

وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه يقتل أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أحد خدشاً خفيفاً فكانت منيته فيه.

وأطعم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو ﷺ بعده أربع سنوات، وكلمته الذراع المسمومة وقالت له: لا تأكل مني فإني مسمومة.

وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش، ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع.

وزويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها. وأبلغ بأن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها فكان كذلك.

وأخبر فاطمة ابنته رضي الله عنها أنها أول أهله لحاقاً به فكان كذلك.

وأخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به وكانت زينب بنت جحش أطولهن يداً بالصدقة فكانت أولاهن لحوقاً به رضي الله عنها.

ومسح ضرع شاة حائل لا لبن فيها فدرت. وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضي الله عنه ـ وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية أثناء

مسيرته للهجرة .

وحكى الحكم بن العاص مشيته عليه السلام مستهزئاً فقال ﷺ كذلك فسكن فلم يزل يرتعش حتى مات .

وخطب عليه الصلاة والسلام امرأة فقال له أبوها إن بها برصاً ، امتناعاً من خطبته ، واعتذاراً ، ولم يكن بها برص ـ فقال عليه الصلاة والسلام : « فلتكن كذلك فبرصت وهي أم شيب بن البرصاء الشاعر » .

ـ وأصيبت رجل بعض أصحابه ﷺ فمسحها بيده فبرئت في حينها .

ـ وبرزت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينبه وأحسنها .

ـ وتفل في عين علي رضي الله عنه وهو أرمد يوم خيبر ، فصح من وقته وبعثه بالراية .

ـ وهذه الأمور كلها أشياء إلَهية لا تعرف إلا في حينها ، ولكن حدث أن جادت المعرفة بها لا بنجوم ، ولا بكشف ، ولا بخط ، ولا بزجر ـ بل بإعلام الله تعالى ، ووحيه إليه .

٩ ـ تسبيح الحصى والطعام في يده ﷺ :

وفي حديث ابن مسعود أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه ﷺ ، وقد سبح الحصى في كفه أمام وفد جاء إليه ليختبر نبوته .

١٠ ـ القرآن العظيم :

وهو المعجزة الكبرى لرسول الله ﷺ ، الباقية على الأرض بين الخلق إلى أن تقوم الساعة .

ومن المعلوم أنه ليس لنبي معجزة باقية سواه ﷺ . إذ تحدى بها رسول الله

ﷺ فصحاء العرب، وبلغاء العالم. وجزيرة العرب مملوءة بآلاف منهم، والفصاحة صنعتهم، والعالم مليء بالعلماء، والحكماء، والبلغاء، وكان يناديهم وما زال يناديهم أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه، وقال لهم ويقول للعالم في كل زمان: «**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**». وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا. ولم يستطيعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه، ثم انتشر القرآن الكريم في أقطار العالم شرقاً وغرباً، قرناً بعد قرن، وعصراً بعد عصر. وقد مضى حتى اليوم ما يقرب من أربعة عشر قرناً من الزمان على نزول القرآن، فلم يقدر أحد في أي مكان من الدنيا بأسرها على معارضته أو منازلته، بل ظل وسيظل معجزة الله الكبرى على الأرض، وبين الناس جميعاً إلى أبد الآبدين، الدالة على صدق نبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ.

ـ إن القرآن العظيم، وهو معجزة الدهر، يتفتح في كل يوم عن معان جديدة للإنسانية، ويتفتح عن معان جديدة للشخص المتأمل المتدبر. وهذه المعاني الجديدة فوق أنها إيضاح وتأكيد للرسالة والرسول، فهي إنسانية عامة أو فردية شخصية.

ولما كانت أخلاق هذه المعجزة الكبرى وهي القرآن الكريم، قد تخلق بها سيد الخلق، وسيد المرسلين، وخاتم النبيين سيدنا محمد النبي العربي، الأمي، الصادق، الأمين فهو معجزة في أخلاقه، وآدابه، وسلوكه، وفضائله.

لقد بعث الله النبي محمداً ﷺ، آخر الأنبياء، وذكره في أولهم فقال عز وجل: **﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم، ومنك ومن نوح وإبراهيم﴾**.

ولئن كان نبي الله موسى بن عمران عليه السلام، قد أعطاه حجراً تتفجر منه العيون المائية، فليس بأعجب من معجزة النبي محمد عليه الصلاة والسلام حين نبع الماء من بين أصابعه.

ولئن كان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام قد أعطاه الله الريح غدوها شهر، ورواحها شهر. فليس بأعجب من البراق حين سرى عليه نبي الله محمد عليه السلام إلى السماء السابعة، ثم صلّى الصبح من ليلته بمكة.

ولئن كان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قد أعطاه الله معجزة إحياء الموتى، فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمت نبينا العظيم سيدنا محمداً ﷺ وهي مشوية، فقالت له ذراعها لا تأكلني فإني مسمومة.

صلّى الله عليك يا سيدي يا رسول الله وعلى آلك، وأصحابك، وأنصارك، وأمتك وسلم تسليماً كثيراً.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى الاقتداء بك في أخلاقك العظيمة، وأفعالك الحميدة وأحوالك الكريمة، وأقوالك الصادقة، وذلك بفضله وتوفيقه، فإنه وليّ التوفيق والهداية وهو نعم المولى، ونعم المصير.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين؟

أحمد الصباحي عوض الله خليل

تم تأليف هذا الكتاب بتوفيق الله في تمام الساعة الرابعة عصر يوم الجمعة الموافق ٢٢ من ذي القعدة عام ١٣٨٩ الهجري الموافق ٣٠ من يناير عام ١٩٧٠ الميلادي

وتم صدوره بحمد الله في يوم الأربعاء الموافق ١٢ من ربيع الأول عـام ١٣٩٢ الهجري الموافق ٢٦ من أبريل عام ١٩٧٢ الميلادي

وقد صدرت الطبعة الثانية منه
بعد جمع وتوحيد أجزائه الثلاثة
في كتاب واحد بتاريخ ١/١/١٩٨٣

صُورةُ النَّبي مُحَمَّدُ . .
كما رسمها الذين عاصروه .

مات النبي ﷺ فجأة، وبعد وفاته بدأ الذين لم يسعدهم الحظ برؤيته يسألون سعداء الحظ عن صفته، جسما وروحا وسلوكا وأحوالا . . فقام عدد من صحابة رسول الله ﷺ، وعدد من الذين شهدوا غزواته، بارواء غليل السائلين، وكانوا جميعا من العرب، ومن ملوك الكلام والوصف بوجه خاص .

ومن هذا بدأ تسجيل صورته الخلقية والأخلاقية الى فرع من فروع علم السنة . . له مصنفات مكتوبة ابتداء من القرن الثالث الهجري . اي منذ اكثر من الف سنة، ففي كتاب «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» للبيهقى الذي عاش بين القرن الرابع والخامس الهجري . . ترسم صورة النبي صلوات الله وسلامه عليه بمنهج تكاملي، أي أنه يورد الهيئة العامة للنبي: الجسم ومعالمه الرئيسية في حالة السكون والحركة ثم الرأس والوجه إجمالا ونفصلا ، ثم الأعضاء، ثم اللون . . . ويكمل ذلك بملامح النبي الرُّوحية والأخلاقية . . أي طباعه . .

وعلى هذه المصنفات تعتمد هذه الصورة القلمية عن محمد بن عبدالله ﷺ ، إنها صورة حية تسجل ملامحه بالضبط، مجسمة زاخرة بالحيوية . . ترسمه وهو يتحدث ويبتسم ويغضب وبتأمل ويصلي ويمشي بين صحبه أو وحيداً .

سجلها له الذىن عاصروه وعايشوه في السلم والحرب، في السوق والمسجد والبت وحققها بعدهم عشرات من العلماء ـ طبقوا عليها القواعد التي تستخدم

من تحقيق الوثائق النادرة، ثم سلموها لنا واضحة.

وستجد بين الذين رسموا هذه الصورة اجماعا على وصف الرسول ﷺ باستثناء الخلاف على أمرين.

١ - لون البشرة.

٢ - حمرة في الشعر - اختلفوا على تفسرها.. فأصحاب النظرة العابرة قالوا: انها من أثر الحناء، والذين عرفوه عن كثب قالوا: بل هي من أثر الطيب الذي كان النبي ﷺ يطسب به شعره بانتظام، وان الشيب كان قليلا في شعره..

والخلاف في هذا الموضوع كما نرى لا يغير كثيراً من الصورة.

ملامح الروح

- ما في قلبه يرتسم على وجهه..
- أشد حياء من العذراء في خدرها.
- اكثر الناس مرحا مع الاطفال.
- يخدم نفسه، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته.
- لم يضرب في حياته امرأة - أو برفع يده على خادم.
- طاهر الوضاءة، منبلج الوجه، له نور يعلوه، يمشي وراء أصحابه..
- يبدأ لم لقى بالسلام. دائم الأحزان، متواصل الفكرة، ليست له راحة.
- طوبل السكوت ولا تتكلم في غبر حاجة.
- بفتح الكلام ويختمه باسم الله، واذا تكلم أعاد الكلام ثلاثا ليفهم عنه.
- كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير.
- يعظم النعمة وان دقت.
- اذا غصب اعرض وأشاح، واذا فرح أغمض طرفه - جُلّ ضحكه التبسم.

- اذا نطق فعليه البهاء، واذا صمت فعليه الوقار .
- ازين الناس منظراً، وأحسنهم وجها، وأجودهم وأسخاهم نفسا ـ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وما سئل عن شيء قط فقال: لا، ولا ما خيّر بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً .
- أفصح العرب في كل زمان ومكان. عذب الكلام، سريع الأداء، حلو المنطق، يأخذ حديثه بالقلوب .
- قالت عائشة تصف حديثه بعد وفاته: ما كان رسول الله يسرد سردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام يبنيه ويفصله فيحفظه من يسمعه .

ملامح الجسد:

قائمة متوسطة .

وجه مستدير، مشرب بحمرة .

عينان سوداوان بأهداب غزيرة .

خد سهل، وانف طويل .

اسنان بينها مسافات .

شعر أسود يصل الى الكتفين .

أطراف ضخمة، وشامة بين الكتفين كبيضة الحمامة .

تفاصيل الملامح:

الوجه:

قال رجل للبراء: أكان وجه رسول الله ﷺ حديداً مثل السيف؟

فقال: لا، ولكنه كان مثل القمر .

وقال علي بن أبي طالب: كان في الوجه تدوير.. وكان هناك اجماع على ان النبي كان « حسن الوجه » و « مليح الوجه » .

اللون:

قال انس بن مالك: كان ابيض بياضه الى الحمرة:

وقال علي بن ابي طالب: كان رسول الله مشربا وجهه حمرة.

وهناك اجماع على ان الاجزاء غير المعرضة للرياح والشمس من جسم النبي كان لونها ابيض.

العين:

هناك اجماع على أن عيني النبي كانتا واسعتين، الحدقة شديدة السواد، والبياض فيه شيء من الحمرة. وكانت الأهداب غزيرة تتشابك من غزارتها.

قال جابر بن سمرة: كنت اذا نظرت اليه عليه السلام قلت اكحل العينين وليس بأكحل.

الجبين والحواجب:

كان واسع الجبين، دقيق الحاجبين، لا يتصلان، بل بينهما فاصل يجري فيه عرق يظهر عند الغضب.

الأنف والخدان:

كان سهل الخدين.. طويل الأنف.

الرأس:

قال علي بن ابي طالب: كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس واللحية.

وقالوا: كث اللحية، وحسن اللحية.

الفم والأسنان:

قال الحسن بن علي: أن النبي كان ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان وقالوا في وصف فم الرسول: كان حسن الثغر.

وقال بن عباس: كان رسول الله ﷺ أفلج التنيتين (أي هناك مسافة بين السنتين الأماميتين في فمه) وكان اذا تكلم رؤي كالنور بين ثناياه.

الشعر:

كان شعر رسول الله يضرب كتفيه.

وكان شعراً أسود، له موج، وكان يمشطه منسدلا بعد البعثة، ثم فرقه بعد ذلك، وكانت له خصلات يضفرها أربع ضفائر حول أذنيه أحياناً كما تقول أم هانىء.

وقد نفى أنس بن مالك أن يكون النبي قد استعمل الحناء، فقد « توفى رسول الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء » ..

وانما كانت حمرة هذه الشعرات من أثر الطيب. وكان هذا الشيب القليل عند الغفقة (أي الذي تحت الشفة السفلى) وفي الصدغين، وفي مفرق الرأس.

القامة:

وصف علي بن ابي طالب قامة رسول الله ﷺ بقوله: كان ليس بالذاهب طولا، وفوق الربعة.

وقال ابو هريرة: كان رجلا ربعة، وهو الى الطول أقرب.

الصدر والأطراف:

كان بعيد ما بين المنكبين، ضخم القدمين، ضخم الكتفين « شبح الذراعين » أي طويل الذراعين، ضخم الكراديس « أي مفاصل العظام »، قليل لحم القصب، غليظ الاصابع.

وقالت ميمونة بنت كروم « ما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه » وكانت رأته على ناقة بمكة.

وكان الرسول أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر .

الشامة أو خاتم النبوة:

كان بين كتفي النبي شامة كبيضة الحمامة ـ وكانت الشامة أقرب الى الكتف اليسرى .

وقد اقترح رجل على رسول الله ﷺ أن يعالجها له قائلاً : « يا رسول الله إني كاطب الرجال . . أفأعالجها لك؟ » فقال ﷺ : لا ! طبيبها الذي خلقها .

وقال أبو سعيد : الختم الذي بين كتفي النبي ﷺ ، لحمة ناتئة .

الصورة العامة:

قال ابراهيم بن محمد « من ولد علي » ما معناه « ان النبي ﷺ كان متوسط القامة ، شعره مموج ، غير بدين ، في الوجه تدوير ، وهو أبيض مشرب بحمرة ، في رؤوس العظام وأصابع الأطراف ضخامة . اذا التف التف معاً . شديد سواد العين . طويل الأهداب . يمشي بقوة كأنه ينزل من منحدر . . من رآه بديهة ـ أي فجأة ـ هابه ومن خالطه معرفة أحبه » .

وكان يرتدي من الألوان ، الأحمر ، والأخضر ، وفي هذين اللونين بالذات كان يبدو آية في حسن الرجولة .

ويجمع كل من وصفه عن معاشرة انه اذا كان رضى أو سر فكان وجهه كالمرآة . واذا غضب تلون وجهه واحمرت عيناه . وانه ما ضرب بيده امرأة ولا خادما ، قال ابو سعيد الخدري : كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها .

كان ـ كما قالت عائشة ـ بشرا من البشر . يحلب شاته ويخدم نفسه ، يخصف نعله ويخيط ثوبه . .

وكان ـ كما قال انس بن مالك ـ : كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس

مع صبي . وكان اذا مر على صبيان . . سلم عليهم . كان يضطجع على الحصير ويقول لمن يخفف عنه قسوة فراشه : مالي والدنيا ؟ ما أنا والدنيا ؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة . . ثم راح وتركها .

كان يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، بسيطا .

قال جابر بن سمرة : كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام .

قال إياد بن أبي رقة :

انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ ، فلما رأيته قال لي : هل تدري من هذا ؟ قلت : لا . . قال : ان هذا رسول الله . . . فاقشعررت حين قال ذلك ، وكنت أظن رسول الله ﷺ شيئاً لا يشبه الناس ، فإذا به بشر .

ـ يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في سورة الأحزاب آية ٥٦ ـ **﴿إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾** .

اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه عدد خلقك وزنة عرشك ورضاء نفسك ومداد كلماتك .

مِسك الختام

إن أفضل ما نختم به كتابنا هذا . .

وأشرف ما نتمثله شعاراً لنا . .

هو قول الله سبحانه وتعالى:

﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ .

﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ .

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ .

﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ .

﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ .

﴿واعف عنا﴾ .

﴿واغفر لنا﴾ .

﴿وارحمنا﴾ .

﴿أنت مولانا﴾ .

﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾

صدق الله العظيم

المؤلف

الكلمة الختامية

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ سيد سابق
مدير عام التدريب بوزارة الأوقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الرسل هم الصفوة المختارة من البشر، وقد نـزههم الله عن السيئات، وعصمهم من المعاصي. صغيرها وكبيرهـا، وحلاهـم بـالأخلاق العظيمـة: مـن الصدق والأمانة والتفاني في الحق وأداء الواجب، وهم وإن تفاوتوا في الفضل إلا أنهم بلغوا الغاية من السمو الروحي، والصلة بالله. والنصوص الكثيرة الواردة في القرآن بشأنهم تضفي عليهم من الطهر والنزاهة والقداسة ما يجعل منهم النموذج الحي، والصورة المثلى للكمال الإنساني.

والله سبحانه وتعالى هو الذي تولى تأديبهم وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم حتى كانوا قمماً شامخة وأهلاً للاصطفاء والاجتباء. **﴿أولئك الذين آتينـاهـم الكتـاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين. أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾**

﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾.

﴿إنهم كانوا يسارعـون في الخيرات ويـدعـوننـا رغبـاً ورهبـاً وكـانـوا لنـا خاشعين﴾.

فهذه الآيات أدلة على مدى الكمال الإنساني الذي أفاضه الله على أنبيائه

ورسله ، ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم في القلوب ، ولصغر شأنهم في أعين الناس ، وبذلك تضيع الثقة فيهم ، فلا ينقاد لهم أحد ، وتذهب الحكمة من إرسالهم ليكونوا قادة الخلق إلى الحق بل لو فعلوا شيئاً مما يتنافى مع الكمال الإنساني بأن يتركوا واجباً أو يفعلوا محرماً أو يرتكبوا ما يتنافى مع الخلق الكريم ، لكانوا قدوة سيئة ولم يكونوا مثلاً عليا ومنارات هدى .. إن رسل الله يدركون بحسهم الذي يتميزون به على غيرهم من البشر ، أنهم دائماً في حضرة القدس ، وأنهم يبصرون الله في كل شيء ، فيرون مظاهر جماله وجلاله ودلائل قدرته وعظمته وآثار حكمته ورحمته . يرون ذلك في أنفسهم وفيمن حولهم في الأرض ، وفي السماء ، وفي الليل والنهار ، وفي الحياة ، وفي الموت . فتمتلىء قلوبهم إجلالاً لله ووقاراً له ، فلا يبقى فيها مكان لشيطان ، ولا موضع لهوى ، ولا جنوح لشهوة ، ولا إرادة لشيء سوى إرادة الحق والتفاني فيه والاستشهاد من أجله .

وكان من فضل الله أن قام الأستاذ الجليل أحمد الصباحي عوض الله بإبراز الصورة المضيئة في حياة سفراء الله إلى خلقه ، وما يتميزون به من الأدب العالي والخلق الرفيع كي تكون هذه الحياة السامية نموذجاً يحتذى ، وقانوناً يتبع ، ونوراً يهتدي به في متاهات الحياة .

ولقد وفق غاية التوفيق بتأليف هذا الكتاب القيم وإخراجه إلى الناس في وقت اضطربت فيه القيم ، واختلت المقاييس ، واختفى الكثير من الفضائل التي تعطر الحياة ، فكان مجيئه كالفجر يطلع في أعقاب ليل طال ظلامه .

فجزاه الله خير الجزاء .. وتقبل منه عمله المبرور .. ونفع به .. آمين .

سيد سابق

أهم مراجع الكتاب

القرآن الكريم شرح النسفي	
الاتحافات السنية في الأحاديث	
القدسية للمعارف	زين الدين الحدادي
الأحاديث القدسية	المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
إحياء علوم الدين	للإمام الغزالي
دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام	للأستاذ محمد احمد العدوي
قصص الأنبياء	للأستاذ عبد الوهاب النجار
قصص الأنبياء	للعلامة أبي اسحاق الثعلبي
بدائع الزهور في وقائع الدهور	للأستاذ محمد بن أحمد الحنفي
فصوص الحكم	للشيخ محيي الدين بن عربي
علم الأخلاق	للأستاذ ابراهيم ابو بكر ذكري ، عبد العزيز أحمد
محمد نبي البر	للأستاذ ابراهيم الأبياري
نبي التسامح	للأستاذة زينب محمد عبد العاطي
الرسول ﷺ	للدكتور عبد الحليم محمود
محمد والمسيح	للأستاذ خالد محمد خالد
خلق المسلم	للأستاذ الشيخ محمد العزالي

مولد الرسول — للأستاذ حافظ بدوي
انجيل برنابا — ترجمة الدكتور خليل سعادة
البشائر — للأستاذ صارم الهندي
(نقلاً عن كتاب الفيدا الهندي)

الموضوع	رقم الصفحة